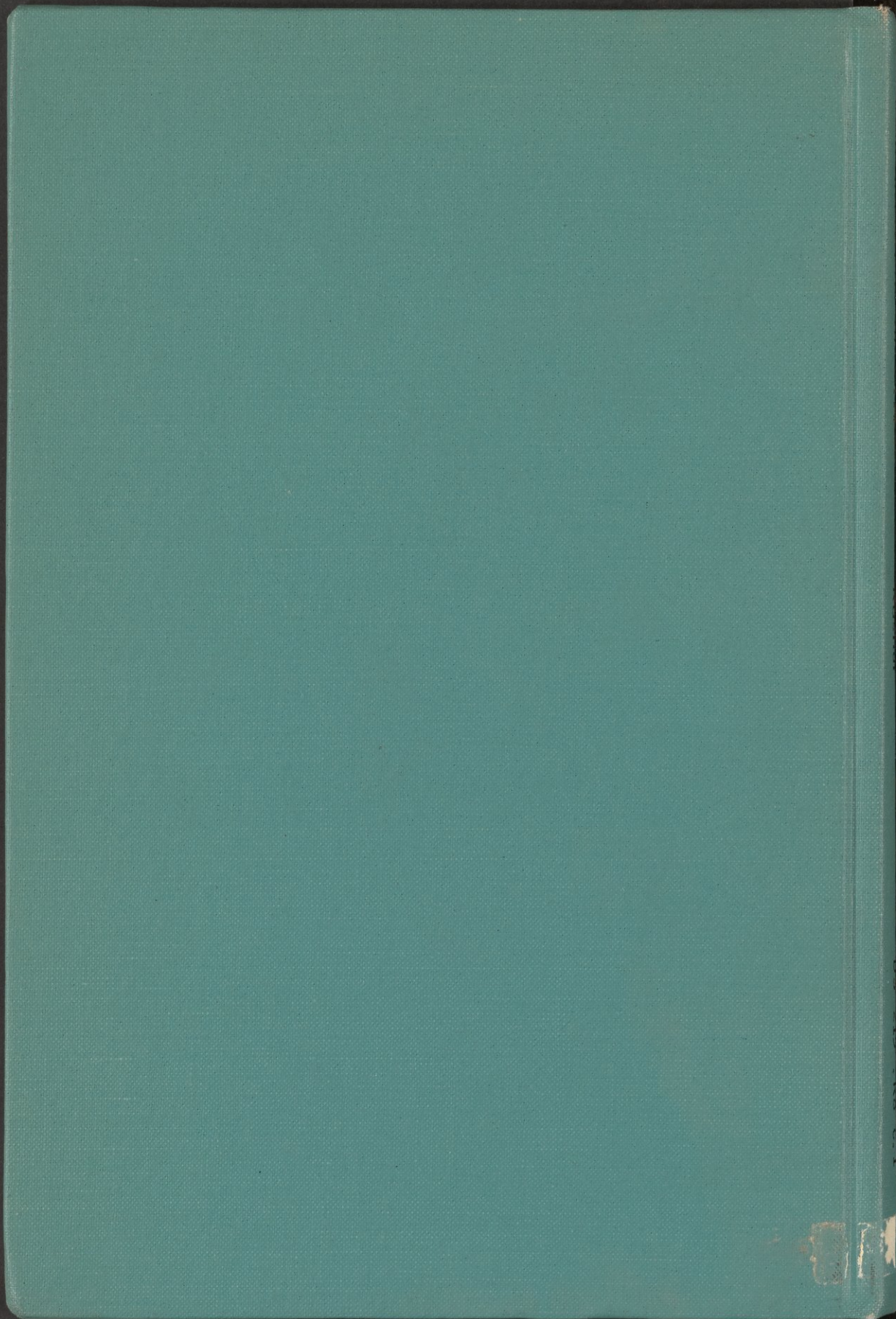
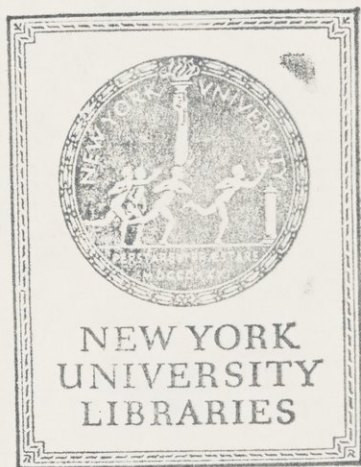




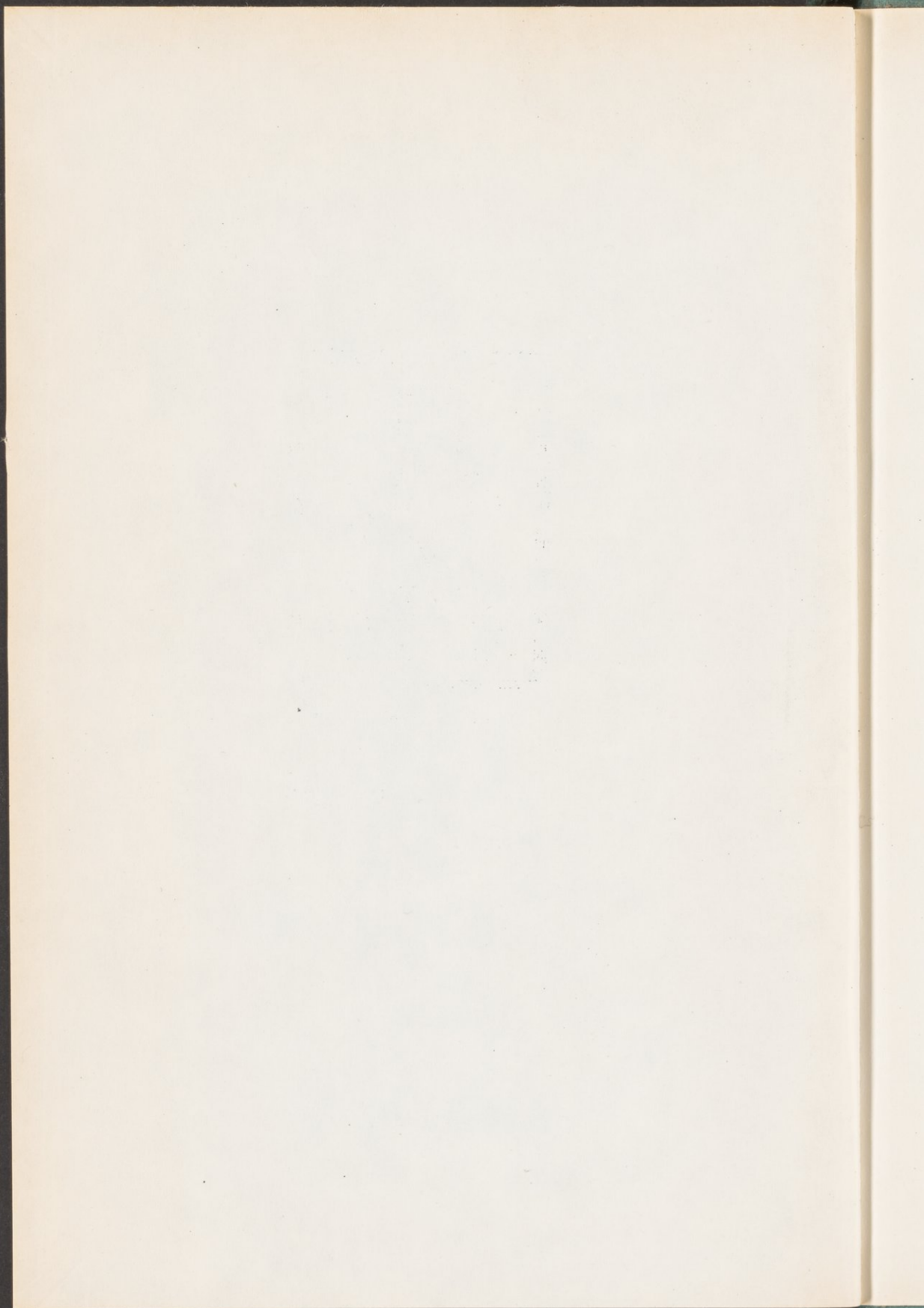
BOBST LIBRARY

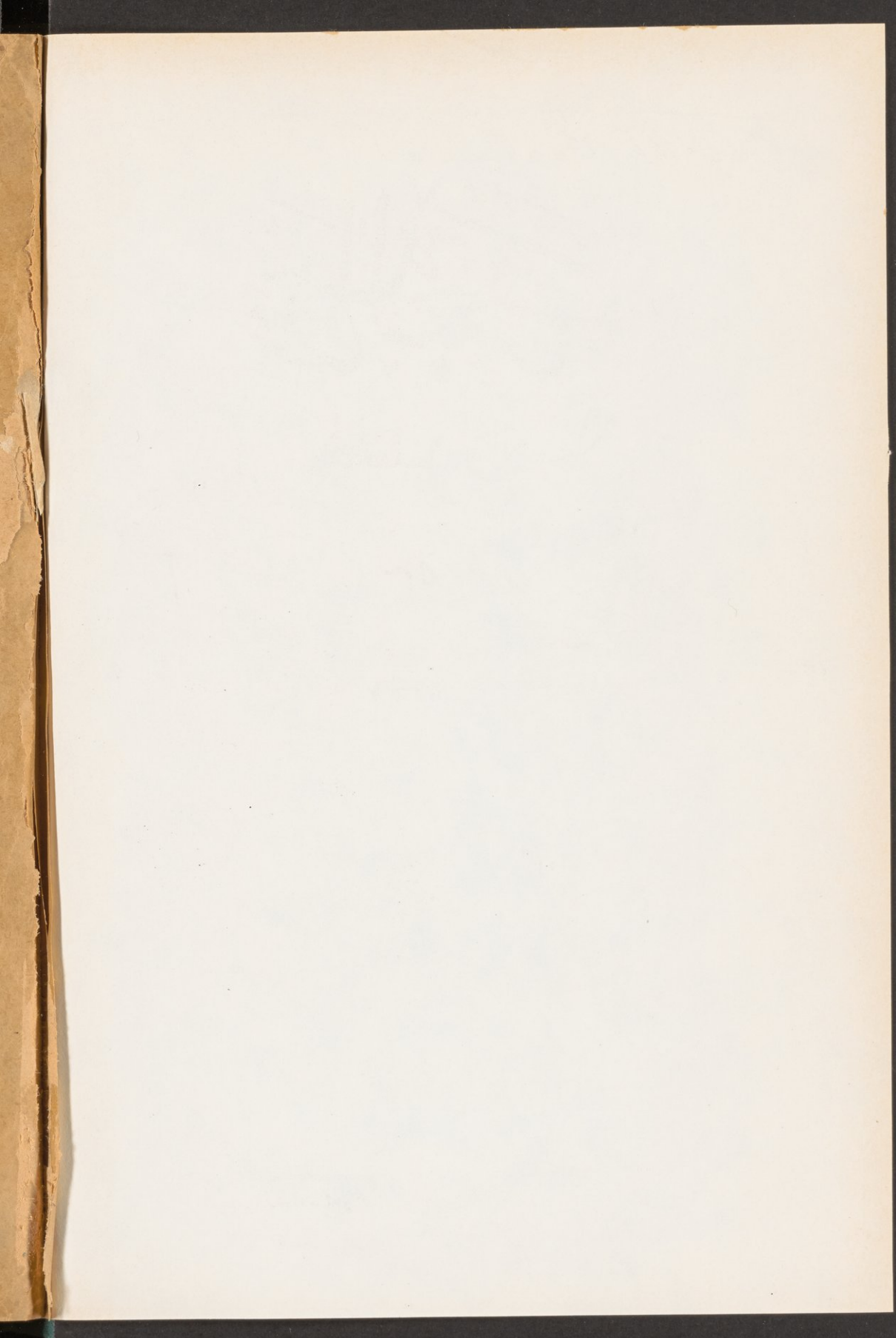


3 1142 02824 6489



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY





Rushdī, Muhammad

مدن العرب

في الجاهلية والإسلام

Madaniyat al Arab

كتاب تاريخي أدبي أخلاقي سياسي يدل على ما للعرب من الفضل
على الأمم في العلوم والفنون والصنائع والسياسة المدنية

front

تأليف

محمد رشدي

الخير امام محكمة قنا

N.Y.U. LIBRARIES

« مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م »

B

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك يا من حليت الانسان بحليمة الأدب واصطفيت من خلاصته سيد العجم
والعرب سيدنا محمد الذي تمت به مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وجعلته أفضل الأنبياء
وأتمه خير الأمم وشريعته ناسخة للشرائع عذبه وملته حنيفة سمحة خير مله فصل اللهم
عليه وعلى آله مصابيح الهدى وأصحابه أنجم الاهتدا ماشدى قرى على العصور وغردت
بلابل الأفراح فتسلى بها كل محزون

Near East

DS

215

R8

c-1

﴿ وبعد ﴾ فيقول الفقير اليه تعالى محمد رشدى الجركسى جنسا الحتكوى أصلا
المصرى موطننا انهما كانت العرب أمة قديمة الرياسة فى الأمم طائفة الصيت فى الآفاق
ونالت من العزة والرفعة مجدا أثيلا حتى بلغت من العظمة وسمو المنزلة فى المشرق ما لم تبلغه
دولة الرومان فى المغرب فكانت ممالكها تتلأأ بنور العلم والمعارف زاهية زاهرة فى أول
سطوتها معمورة بالمداين الكبيرة والمعاقل الشهيرة والأبراج المنمعة والقصور الرفيعة
والصروح الشاخطة والأبنية الباذخة التى لم يبق لها من هذا السؤدد والمجد والأبهة
والجلال إلا الذكرك فى صحف التاريخ

فاظهرا لفضله على كافة الأمم فى مدينتهم الحاضرة وضعت هذه الكتاب وأتيت فيه
على نبذ من التاريخ والسياسة والأدب وسميته مدينة العرب وجعلته رداً على من ينكر
على العرب مدينتهم التى شهد بها السائح بالجراف الذى جال فى بلادهم سنة ١٨٦٢ ميلاديه
وشهد بأنه يوجد فى بلادهم من الصنائع مهرة فى قدرتهم أن يصنعوا ما تصنعه أوروبا من الآلات
والاختراعات المتنوعة الى أن قال وما يزعجه البعض من توحش العرب فنشأه الجهل
بحقيقتهم وحقيقة بلادهم اهـ

وكان تمام تأليفه فى عصر ذى الجاه الرفيع مؤيد المعارف ومفيض العوارف
المتعالى فى كماله المترفع فى سموه وإجلاله المحفوف بالسبع المثاني خديوى مصر الحاج
عباس الثانى أدام الله أيامه وأيد بالعز دولته وأحكامه فى ظل ملك الاسلام والمسالمين
وأمر المؤمنين القائم بأمر العباد السلطان الدستورى محمد رشاد أدام الله دولته
وحرس على الاسلام طلعتة فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه النفع العميم ويمدنا بروح من
عنده انه هو السميع العليم

محمد رشدى

المقدمة

(وفيها فصلان)

الفصل الاول

لبث العرب أربعة قرون متواليه مستودع المعرفة وملجأ الحكمة فكانت دولتهم عروية وصل بين علم المتقدمين وعلم المتأخرين ولولاهم لاندثر ذلك العقد وعفا كثير من معالم العلم والعرقان

فان معظم ماتناولته الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية انما كان عن العرب وقد نبغ فيهم علماء في كل فن استجلوا الحقائق العلمية وأبقوا الخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم مباحثوا اكتشافات لو اطلع عليها عالم من علماء العصر الحاضر في الشرق لقال انها علوم خرفات وقد عنيت بالشرق خصوصاً لان علماء أوروبالم يزالوا يبحثون في كل علم وضعته العرب ويستنبطون منه ما يوافق حالة الزمن وينطبق على عقول الأمم حتى اذا وصلوا الى نتيجة حسنة ونظرية مستحسنة أظهرها وما اكتشفوه وسموه باسم غير الاسم الذي وضع له بمعرفة السلف فخذ لك مثلاً علم التنويم المغناطيسي ومناجاة الارواح الذين شاع ذكرهما بيننا وبرعت فيهما علماء أوروبالم يظهر لنا من علماء الشرق من يكشف لنا سر هذين العلمين فانك تجد العرب قد سبقتهما فيهما وبرهنوا على معتقداتهم وقوتهم الفكرية وكانوا يسمون ذلك علم الغرائم وتداول الغيب فالفوافيه كتباً كثيرة كما ألفوا في غيره من العلوم التي سيأتي ذكرها ولم نعلم بها ولم نطلع عليها ولم نشأ نتعلمها أو نبحث فيها كما يفعل غيرنا من الأمم الاوروية لاننا نعتقد انها علوم خرافية حتى أصبحنا جاهلين فيها ينطبق علينا قول أفلاطون ما من علم مستقيم الا والجهل به أقبح

فدنية أوروباماهي الامن مدينة العرب التي اتخذوها عنهم ودرسوها عليهم عند ما كانوا مقيمين ببلادهم ومع ذلك فلم تكتف أوروبابما عندها من الكتب العربية الموجودة بدور الكتب بل قام رجال من أبنائها المستشرقين وألفوا الجمعيات وسعوا في ترجمة الكتب ونقلها الى لغاتهم واجتهدوا في حل مشكلاتها العلمية الشيء الذي نحن نحسنه غافلون حتى وصلنا الى درجة متناهية في الانحطاط نحسبها رقياً في التمدن

فن الجمعيات المستشرقة جمعية بالمانيا وجمعية بانكتر وجمعية بايطاليا وجمعية بفرنسا
وقد طلب أحد رجال الجمعية الاخيرة من مصر كتابا اسمه جوامع علم النجوم والحركات
السموية لابن كثير الفرغاني أحد منجمي المأمون فاطلعت عليه فوجدت فيه مع صغر حجمه
براهين عن تكوّن الارض ودورانها حول محورها وتقسيمها الى مناطق وبروج مما
أدهشني وقد تكلم فيه مؤلفه على سبب الخسوف والكسوف وغياب الشمس عن القطب
مدة من الزمان وعلى الجو وطبيعة الكواكب وابعادها وسيرها الشيء الذي اتخذه علماء
أوروپا ودونوه في مؤلفاتهم وساروا على نمطه في علمهم وعملهم

فاذا قرن أحد العلماء الشرقيين ما في هذا الكتاب على ما لعلماء أوروپا من المؤلفات
فانه لا يجد بين المؤلف العربي القديم والمؤلف الغربي الحديث اختلافا بل يجد ان قوة
العربي في البرهنة على معتقده ومثانة التأليف تفوق برهنة العلماء الغربيين بكثير واستعمل
العرب أيضا الساعة الشمسية في حسابهم واعتبروا مبدأ اليوم من نصف نهاره وهو الحساب
الافرنجى الآن وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الالمانية وطبع الاصل مع الترجمة العربية
ومن كتبهم أيضا التي أصبحت لأصل لها في بلادنا كتاب الصور السماوية لعبد الرحمن بن عمر
ابن محمد بن سهل الصوفي ويسمى بأبي الحسن ويعرف بكتاب صور الكواكب الثابتة
وقد ترجم أيضا الى اللغة الفرنسية ونقل الى لغات أخرى

فن هنا يظهر للمطلع اهتمام أوروپا بكتب العرب وعلومهم ويتضح لك من الفصل الآتي
أنواع العلوم التي اشتغل بها أولئك القوم مع بيانها

❦ الفصل الثاني ❦

(في عدد العلوم وبيان أصولها وأسمائها)

اختلف المؤرخون في عدد العلوم المدونة في الكتب فقد روى عن الشافعي رحمه
الله تعالى انه عد في مجلس هارون الرشيد ثلاثة وستين نوعا من علوم القرآن وقال بعضهم
العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علما ودرّج فيها كتب كثيرة والبعض الآخر قال ان
العلوم المدونة ثلاثمائة وستون علما وقد زاد بعضهم كثيرا حتى انهم عدوها بالالوف وقد اطلعت
على ثلاثة كتب مدوّنة بها موضوعات العلوم وتعاريفها أحدها مفتاح السعادة

لطاش كوبر زاده الغير مطبوع ويعرف بموضوعات العلوم فانه احتوى على أصول
مائة وستة وخمسين عام من علومهم واليك بيانها مقسمة على حسب ما في الكتاب الى
ثلاثة أقسام علمية وعملية وشرعية

القسم الاول

العلوم العلمية

(في بيان فضيلة العلم والتعليم)

في شرائط المتعلم - في وظائف المعلم وآدابه - بيان النسبة بين طريق النظر
وطريق التصفية - الارشاد الى كيفية النظر وفيه دوحات

الدوحة الأولى في العلوم - الخطبة وفيها مقدمة وشعبتان

الشعبة الأولى في كيفية العلوم المتعلقة بالصناعة الخطية - علم أدوات الخط - علم
قوانين الكتابة - علم تحسين الحروف - علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها - علم
ترتيب حروف التهجي - علم الاملاء - علم تركيب اشكال بسائط الحروف - علم املاء
الخط العربي - علم خط المصحف - علم خط العروض

الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ وفيها مقدمة وشعب - المقدمة

الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات - علم مخارج الحروف - علم اللغة - علم الوضع

علم الاشتقاق - علم الصرف

الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات - علم النحو - علم المعاني والبيان والبديع

علم العروض - علم القوافي - علم قرص الشعر - علم مبادئ الشعر - علم الانشاء

علم مبادئ الانشاء - علم المحاضرات - علم الدواوين - علم التواريخ

الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية - علم الامثال - علم وقائع الأمم ورسومهم

علم استعمال الالفاظ في المعاني التشبيهية والكنائية - علم الترسل - علم الشروط

والسجلات - علم الاحاجي والاغلاط - علم الالغاز - علم المعنى - علم التصحيف - علم

المقلوب - علم الجناس - علم سامرة الملوك - علم حكايات الصالحين - علم المغازي والسير

علم تاريخ الخلفاء - علم طبقات القراء - علم طبقات المتسربين - علم طبقات المحدثين
علم سير الصحابة والتابعين - علم طبقات الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة - علم
طبقات النحاة - علم طبقات الحكماء

الدوحة الثالثة في علوم باحثة عما في الاذهان وفيها مقدمة وشعبيتان - المقدمة وفيها
مبحث يتعلق بالنرد والسطرنج

الشعبة الاولى في العلوم الآلية العاصمة عن الخطأ في الفكر والنظر - علم المنطق
والميزان

الشعبة الثانية في العلوم العاصمة عن الخطأ في المناظرة والدرس - علم أدب الدرس
علم النظر - علم الجدل - علم الخلاف

الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالاعيان وفيه مقدمة وعدة شعب
المقدمة في التوطئة

الشعبة الاولى في العلم الالهى

الشعبة الثانية في فروع العلم الالهى - علم معرفة النفوس الانسانية - علم معرفة
الملائكة - علم معرفة الميعاد - علم اماراة النبوات - علم مقالات الفرق - علم تقاسيم
العلوم

الشعبة الثالثة في العلم الطبيعى - علم الطب - علم البيطرة - علم البيرزة - علم
البزدره - علم النبات - علم الحيوان - علم الفلاحة - علم المعادن وهي ٧٩٠ معدنا
علم الجواهر - علم الكون والفساد - علم قوس قزح - علم الفراسة - علم تعبير الرؤيا
علم أحكام النجوم - علم السحر - علم الطلسمات - علم السيميا - علم الكيميا - علم
طبقات الارض

الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعى - علم التشريح - علم الكحالة - علم الاطعمة
علم الصيدلة - علم طبع الاشربة - علم قلع الآثار - علم تركيب أنواع المداد - علم الجراحة
علم الفصد - علم الحجامة - علم المقادير والاوزان الطبية - علم الشامات والخيلائن - علم
الاساير - علم الاكتاف - علم قيافة الاثر - علم قيافة البشر - علم الاهتداء في البرارى
والقفار - علم الريافة - علم استنباط المعادن - علم نزول الغيث - علم العرافة - علم
الاختلاج - علم الاختبارات - علم الرمل - علم الفأل - علم القرعة - علم الطيرة والزجر
علم الكهانة - علم النيرنجات - علم الخواص - علم الرقى - علم العزائم - علم الاستحضار

علم دعوة الكواكب - علم الفلكطيرات - علم الاخفاء - علم الحيل الساسانية - علم
كشف الدك - علم الشعبدة - علم تعلق القلب - علم الاستعانة بخواص الادوية
الشعبة الخامسة في العلوم الرياضية - علم الهندسة - علم الهيئة - علم العود
علم الارثماطيقى - علم الموسيقى

الشعبة السادسة في فروع علم الهندسة - علم عقود الابنية - علم المناظر - علم
المرآة المحرقة - علم مرا كزالات - علم جراتقال ورفعها - علم التعديل - علم
البنكومات (أى علم الآلات المقدرة للزمان) - علم الملاحة - علم السباحة - فن العمارة
علم المساحة - علم استنباط المياه ومعرفه موقعها في باطن الارض وصلاحياتها للاستعمال
علم الآلات الحريرية - علم الرمي - علم الميكانيكا - علم الآلات المبنية

الشعبة السابعة في فروع علم الهيئة - علم الزيجات والتقويم - علم كتابة التقويم
علم حساب النجوم - علم كيفية الارصاد - علم الآلات الرصدية - علم المواقيت - علم
الآلات الظلية - علم الاكر المتحرك - علم تسطيح الكرة - علم صور الكواكب - علم
مقادير العلويات - علم منازل القمر - علم الجغرافيا - علم مسالك البلدان - علم معرفة
البرور ومسافاتها - علم ضواحي الاقاليم - علم خواص الاقاليم - علم الادوار والاكوار
علم القرانات - علم الملاحم - علم مواسم السنة - علم مواقيت الصلاة - علم وضع
الاسطرلاب - علم عمل الاسطرلاب - علم ربع الدائرة وصنعه وعمله عملان - علم آلات
الساعة

الشعبة الثامنة في فروع علم الحساب - حساب التخت والميل - علم الجبر والمقابلة
علم حساب الخطائين - علم الدور في الوصية - علم حساب الدرهم والدينار - علم حساب
الفرائض - علم حساب الهواء - علم حساب العقود - علم أداء الوفق - علم خواص
الاعداد - علم التعابي والعدد في الحروب

الشعبة التاسعة في فروع علم الموسيقى - علم الآلات العجيبة - علم الرقص



العلوم العملية

(وتسمى بالحكمة العملية وفيها عدة شعب)

الشعبة الاولى - علم الاخلاق - الشعبة الثانية - علم تدبير المنزل - الشعبة الثالثة
علم السياسة وتدبير الممالك - الشعبة الرابعة - علم آداب الملوك - الشعبة الخامسة - علم
آداب الوزارة - الشعبة السادسة - علم الاحتساب - الشعبة السابعة - علم قواد
العساكر والجيوش

العلوم الشرعية

(فيها مقدمة ومطالب)

المقدمة في التوطئة - المطلب الاول في العلوم الشرعية - علوم القرآن - علم
رواية الحديث - علم تفسير القرآن - علم دراية الحديث - علم أصول الدين يعني الكلام
- علم أصول الفقه - علم الفقه وفيه فوائد في مناقب الأئمة
فروع علم الفقه - فروع علم القرآن - علم معرفة الشواذ - علم مخارج الحروف
علم مخارج الالفاظ - علم الوقوف - علم القراآت - علم رسم كتابة القرآن في المصاحف
علم آداب كتابة المصحف - علم كيفية الكتابة
المطلب الثاني في علم الحديث وفروعه - المطلب الثالث في علم التفسير وفروعه
المطلب الرابع في بيان معنى التفسير والتأويل - المطلب الخامس في فروع علم الحديث
المطلب السادس في فروع علم أصول الدين وأصول الفقه - المطلب السابع في فروع علم
الفقه - علم الفرائض - علم شروط السجلات - علم القضايا - علم معرفة حكم الشرائع
علم الفتاوى

العلوم المتعلقة بالتصنيفية

(وهي ثمرة العلم بالعمل وفيها أربعة شعب)

الشعبة الاولى - وهي العادات والعبادات والمهلكات والمنجيات وفيها فصول
وأبواب وكلها في الآداب والمعاملة الدينية والدنيوية
الشعبة الثانية - الاصل الاول من العادات وهي عشرة أصول - أدب الأكل

وفيه أربعة مطالب - الاول في أحوال المنفرد - الثاني في آداب الجماعة والأكل - الثالث في تقديم آداب الطعام - الرابع في آداب الضيافة
الاصل الثاني في آداب النكاح وفيه مطالب ستة - الاول في الترغيب فيه - الثاني في فوائد النكاح - الثالث في أوقات النكاح - الرابع في شروط العقد - الخامس في أحكام المنكوحه - السادس في آداب المعاشرة
الاصل الثالث في آداب الكسب والمعاش وفيه مطالب خمسة - الاول فضل الكسب - الثاني في بيان أحوال العقود الأربعة - الثالث في العدد والمعاملة - الرابع في الاحسان في المعاملة - الخامس في شقة التاجر على دينه
الاصل الرابع في الحلال والحرام وفيه مطالب ثمانية - الاول في فضيلة الحلال الثاني في درجات الحلال - الثالث في مراتب الشبهات - الرابع في البحث والسؤال الخامس في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية - السادس في واردات السلاطين السابع في حكم مخالطة السلاطين - الثامن في تفريق المال على الفقراء
الاصل الخامس في آداب الصحبة والمعاشرة وفيه إحدى عشر مطلباً
الاصل السادس في آداب العزلة وفيه ثلاث مطالب
الاصل السابع في آداب السفر وفيه أربعة مطالب
الاصل الثامن في آداب السماع والوجد وفيه ثلاثة مطالب
الاصل التاسع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه أربع مطالب
الاصل العاشر في أخلاق النبوة
الشعبة الثالثة في المهلكات
الاصل الاول في شرح عجائب القلب وفيه عشرة مطالب
الاصل الثاني في رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفيه ستة مطالب
الاصل الثالث في كسر الشهوتين وفيه ثلاث مطالب
الاصل الرابع في آفات اللسان وفيه مطلبان
الاصل الخامس في ذم الغضب والحقد والحسد وفيه ستة مطالب
الاصل السادس في ذم الدنيا وفيه مطلبان
الاصل السابع في ذم المال والبخل وفيه ستة مطالب
الاصل الثامن في ذم الجاه والرياء وفيه مطالب عشرة

الاصل التاسع في ذم الكبر والعجب وفيه سبعة مطالب

الاصل العاشر في ذم الغرور وفيه ستة مطالب

الشعبة الرابعة في المنجيات وفيها عشرة أصول

الاصل الاول في التوبة وفيه عشرة مطالب

الاصل الثاني في الصبر والشكر وفيه إحدى عشر مطلباً

الاصل الثالث في الرجاء والخوف وفيه خمسة مطالب

الاصل الرابع في الفقر والزهد وفيه سبعة مطالب

الاصل الخامس في التوكل وفيه ستة مطالب

الاصل السادس في المحبة والشوق والأنس والرضا وفيه سبعة مطالب

الاصل السابع في النية والاخلاص والصدق وفيه أربعة مطالب

الاصل الثامن في المحاسبة والمراقبة

الاصل التاسع في الفكر وفيه مطلبان

الاصل العاشر في ذكر الموت والبعث والنشور وفيه ثلاث مطالب

هذه هي أصول العلوم عند العرب في الاسلام ولكل واحد منها فروع تتفرع منه ومن أراد التوسع فعليه بمطالعة مؤلفاتهم للوقوف على آرائهم وأفكارهم فيها أما ثاني هذه الكتب فهو كتاب مدينة العلوم وثالثها كتاب جوامع العلوم لابن فرعين تلميذ أبي زيد بن سهل الباغلي وهو أحسن الكل وأفيدها أني به الاستاد أحمد ذكي بك من الاستانة العلية فيسهل للطالع عليه أن يقف على العلوم وفروعها والمباحثة في كل علم يريد المناظرة فيه شعر

احرص على كل علم تبلغ الأملا	ولا تموتن بعلم واحد كسلا
النحل لما رعت من كل فاكهة	أبدت لنا جوهرين الشمع والعسلا
فالشمع في الليل ضوء يستضاء به	والشاهد يري لنا الاسقام والعللا

المقالة الاولى

﴿ وفيها ثلاثة فصول ﴾

الفصل الاول

في

(جغرافية بلاد العرب وتقسيمها)

هذه البلاد واقعة في الجنوب الغربي من آسيا وتتصل بها من الشمال ويجدها شمالا بلاد فلسطين وبادية الشام ووادى الفرات وجنوبا المحيط الهندي وبوغاز باب المندب ومن الشرق خليج فارس والغرب البحر الأحمر وقنال السويس وهي محصورة بين الدرجة ١٢ والدقيقة ٤٥ والدرجة ٣٠ والدقيقة ٢٥ من العرض الشمالى وبين الدرجة ٣٢ والدقيقة ٢٠ والدرجة ٦٠ من الطول الشرقى لجزيرة جرانويتش ببلاد الانكليز ومساحة هذه الجزيرة مضمومة اليها شبه جزيرة طور سيناء ١٥٨ و ١٥٦ و ٣ كيلومترا مربعا وذلك خمسة أضعاف مملكة فرنسا

وتنقسم بلاد العرب الى ثلاثة أقسام عربية بطرانية الى مدينة بطرا الكائنة في وادى موسى وهي التي كانت عاصمة مملكة ادوم وعربية البادية في الشمال والعربية السعيدة أى الخصب في الجنوب وهي بلاد اليمن

أما من حيث العوائد والأخلاق والتهديب واللغة والمعارف فتقسم الى ثلاثة أقسام وهم البدو والبدو المتحضرون والحضر

أما البدو فهم أقوام رحالة يسكنون في بيوت من الشعر ويهيمون في كل واد ويعولون في معيشتهم على ماشيتهم التي يغذونها مما تنبت الارض من كلاً الطبيعة ويتغذون بلحومها وألبانها ويتخذون مآزاد منها ومن صوفها وشعرها وبرها السد ما بقى من احتياجاتهم من مطعم وملبس ومسكن واكتساب درهم وأكثري ما يسكنون السهول والجبال

يراقبون فيها سير الفصول والبدو وأحرص الناس على ما ورثوه من العرف والعادة إذ ماقتنوا على فطرتهم متصفين بما اتصفوا به قبل الاسلام من الحسنات والسيئات وقد تمتاز البدو بحب الضيافة والشهامة والنجدة وحفظ العهد والمحافظة على الأعراض والمدافعة عن الجار ولو جار والضيافة للقرى والغريب وعزّة النفس وباء الضيم والصبر والرضا والصدق والحاسة والذكاء والأخذ بالثأر والفصاحة وغير ذلك من مستحسن العادة

حب البدو للحرية يحملهم على احتقار أهل الحضرة لانه بمعاملتهم يتعلم منهم الخداع والمكر وفساد الأخلاق والنساء في البادية أكثر عدد من الرجال ويمتنع عن غيرهن من أبناء جنسهن بلين الجانب ورقة الطبع وحسن المعاشرة وشدة العفاف واحتمال الشدائد ومقاومة الأرواح للذيذ العيش ومرة ذوات خلق حسن تزينهن عزّة نفوسهن وللبدو أحكام تمثل الحكم الفطري لان أحكامهم موكولة الى المشايخ والأمراء فهم أحباب الحل والعقد لا يعرفون لسيطرة الحكومات معنى

القسم الثاني البدو المتحضرون - يزيدون عن البدو انهم يسكنون بمنازلهم الشعرية حول الأنهر الكبيرة وأكواخهم المصنوعة من القصب وجريد النخل والبردى ويزرعون ما جاورهم من الارض ولقد علم العهد عليهم فانهم يتحضرون ويدخلون في الحضرة

القسم الثالث الحضرة - الحضرة هم الذين يسكنون الامصار والمدن وتغالوا في الرفاهية حتى فسدت أخلاقهم وانغمست نفوسهم في الشهوات ويصنع ما قاله فيهم ابن خلدون من انهم قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعثت عليهم طرق الخمر ومسالكة بعد ما حصل لهم من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على حب المال والكذب والشهوات حتى لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فتجد الكثيرون منهم يقدعون بأقوال الفحش في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم ولا يصدحهم عنه وازع الحشمة والادب لما أخذتهم به عوائد السوء من السطاهر بالفواحش قولاً وعملاً وبالجملة هم أهل غدر ومكر وخديعة

أما تقسيم العرب الى عاربة ومستعربة ومعتربة فلا يدل على تمييز في الجنس والنسب بل هو دال على اختلاف المعيشة من حيث الحضارة والبداءة وما بينهما من أراد زيادة الايضاح ومعرفة مواطن قبائل العرب ومهاجرتهم فعليه بمراجعة معجم ما استعجم للسبكري

من صحيفة واحد الى صحيفة ٥٨ وهذا الكتاب طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غوتنجن من
أعمال المانيا ولم يوجد من يطبعه من أبناء العرب مع أن مؤلفه عربي وكذلك كتاب سبائك
الذهب في أنساب قبائل العرب

الفصل الثاني

﴿ في فضل العرب على الغرب ﴾

(في المدنية والحضارة والعلوم والمعارف)

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبقي قد مات جهلا وغيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا لاتعدوا البقاء في الجهل شيا

ابن رضوان

قال ارسطاطاليس ليس طلبة للعلم لالباع ناصيته ولا استيلاء على غايته ولكن
التماس لا يسعني جهله ولا يحسن بالعاقل خلافة فاذالم يكن للاحاطة به سبيل ولا لغايته وصول
فيجب على الطالب أن يختار من العلم أرفعه ويستعمل من العلم أنفعه - وقال حكيم آخر في
تعليم العلم ارغام للعدى وخروج من ظلمة الجهل الى نور الهدى

ان العرب فضلا على الغرب في المدنية والحضارة فهم الذين وضعوا الاساس ووطدوا
الاركان فبنى رجال الغرب المدنية المشاهدة الآن عليه وتبعوا آثاره ائنا في العلوم
والمعارف وأنوا بمخترعات أظهروها وأخالوها انهم من عندهم ولا فضل لأحد من رجال العرب
وعلمائهم فيها

فالواقفين على حقائق التاريخ يعرفون حق المعرفة ان الأمة العربية لم تسبقها أمة
أخرى اعتنت مثلها بالعلوم العامة والصناعية فغظم ما اكتشفه الافرنج وما سيكتشفونه
راجع الى الاساس الموضوع له في كتب العرب فقد قال محمود بك سالم في خطبة ألقاها
بالجمعية الجغرافية المصرية - ان جميع معضلات المسائل التي لاتزال قيد أنظار الباحثين
وغل ألبانهم ناقشها علماء الاسلام من قبل ونضرب لكم مثلامذهب دروين فقد وقف عليه
مفسروا القرآن وأفاضوا القول فيه ودروين وأباء دروين ضمير في الغيب مستتر ولمن

شاء التحقيق أن تراجع تفسير الفخر الرازي ولمن شاء أن يعرف مكانتهم في العمرانيات أن
راجع مقدمة ابن خلدون وهو أول لمؤنسيكمو الشهير وهو آخر

وشهد دروي وزر المعارف العمومية بفرنسا سابقا بفضل الأمة الإسلامية فكتب
في تاريخه - بينا أهل أوروبا نائمون في بيدا الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ
سطع نور قوى من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير
ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقير وان ومصر وتونس
وغرناطة وقرطبة مرا كز عظمة لداثة المعارف ومنها انتشر في الأمم واغتم منها أهل
أوروبا في القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون علمية وأقاموا أساس ممالكهم على
شرائع الاسلام اه

وقد أشار أيضا الى علوم الاسلام القس لوازون في خطبته التي ألقاها في القاهرة سنة
١٨٩٦ وأثبت فيها فضل الأمة الإسلامية فقال - ليس في الاكتشافات العلمية الحديثة ولا
في المسائل التي انتهى حلها والتي تحت الحل ما يغير مثل هذه الحقائق الإسلامية الوضاعة
والسهولة المأخذ ولهذا فان التوفيق الذي نبذل كل جهد نافيه معاشر المسيحيين لا يجاده بين
العقل والاعتقاد في ديننا المسيحي هو سابق موجود في الديانة الإسلامية الى أن قال ثم على م
الجدال وهما هي الحوادث والاحوال قد برهنت على ما للقرآن امام أعين الذين يفقهون من
صفات القابلية للعلم والترقي والحضارة حيث قامت في العالم الاسلامي حضارات زاهية
زاهرة فاقت بكثير ما كان يعاصره من تمدن الغرب ان صح أن لانسعى ما كانت عليه حالة
الغرب وقتئذ بلهمجية اه

فهمجية الغرب التي اعترف بها علماءهم قد انقشعت وزالت غياهاها بواسطة العلوم
التي تلقوها عن العرب في الجاهلية والاسلام فقد ذكر بعض المؤرخون ان فيثاغورس
الفيلسوف اليوناني المشهور استمد علومه الفلسفية من علوم عرب الجاهلية السابقين له في
الحياة كما اسقذت أوروبا بمعارفها وعلومها من الأمة الإسلامية العربية

فما لا يختلف فيه اثنان ان العلوم كانت موجودة عند الأمم البائدة من قديم الزمان
راسخة في صدورهم يتوارثونها جيلا بعد جيل أمة بعد أمة فلكل صنف من العلوم قريحة
تنشأ في أصل الخلقة تقرير او طبيعة تقابلة في وضع الجملة أحكاما وتديرا

فعلوم العرب التي كانت في الجاهلية كثيرة منها الطب وأحكام النجوم والأنساب
والتواريخ والألوان والشعر وأحكام اللغة وتأليف الخطب والأمثال والحكم وعلم الكهانة

والعرافة والقيافة والعيافة والزجر والتفأول والتطير وعلم الفراسة التي ليس لغير العرب فيها علم وهي أيضا للخاص منهم الفطن والمتدرب فما هو موجود من هذه العلوم عند الاور وباوين فانه موروث عن العرب مأخوذ عنهم في سالف الدهر لما كانوا متفرقين في بلادهم ومجاورين لهم في بلاد الاندلس

الفصل الثالث

﴿ في علم الكهانة والنفس ﴾

الكهانة هي علم معرفة الغائبات قبل حدوثها والاخبار بها قبل وقوعها قال المسعودي ان الكهانة علم قديم معروف عند الروم وكانت حكمة اليونان يدعون العلوم من الغيوب وقد ادعى قوم فيهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما يريد أن يكون منها وقسم قال ان الارواح الفردة وهي الجن تخبرهم وقسم من النصارى قال ان المسيح انما كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانه كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس في الاشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت إلا كان فيها الكهانة وذهب كثير حتى تقدم ان علة ذلك علل نفسية وان النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأباحت للانسان كل سر الطبيعة وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلباقتها في كثائف المعاني البعيدة فأنتفضتها وأبرزتها على الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا

فالانسان ينسب الى قسمين هما النفس والجسد فالجسد مو اتلا حركة له ولا حس إلا بالنفس وكان الموت لا يعلم شيأ ولا يوربه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الناطقة ومنها الكدر وهي النفس الجسدية والنفس النزاعية والنفس التخيلية ومنها ما قوته أزيد في الانسان من قوة الجسم ومنها ما قوته الجسم أزيد منه فلما كانت النسبة النورية في الانسان الى النفس كانت تهدي الانسان الى استخراج الغائب وعلم الآتي وكانت فطنته وظنونته أثقب وأعلم فاذا كانت النفس في غاية البروز

ونهاية الخلوص كانت تامة الزور كالملة الشعاع كان توجهها الى دراية الغائبات بحسب ما عليه نفوس الكهنة ولهذا وجد الكهان على هذا السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما الحال في شق وسطيح الذين أخبر بالرسالة وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه بزمن

﴿ رؤيا ربيعة وتأويل شق وسطيح لها ﴾

يحكى أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا هائلة فبعث الى أهل مملكته يسأل عن تفسيرها فقالوا ليمض الملك لسطيح وشق فلا يجد أعلم منه - ما بها فبعث اليهما فقدم فقال الملك لسطيح رأيت رؤيا هائلة فأتني فأخبرني بها فان ان أصبتها أصبت تأويلها - فقال سطيح رأيت طمطمه خرجت من ظلمه بأرضي نعمه فأكلت منها ذات جحيمه فقال الملك ما أخطأت منها شيئا فأتاؤيلها فقال له بطن بأرضكم الحبش وليلكن ما بين أبين ونجران فقال الملك يا سطيح ان هذا لغائظ أخبرني متى هو كائن أفي زماني أم بعده فقال بل بعده بخين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون بها أجمعين أو يخرجون منها كارهين قال الملك ومن الذي يملك قبلهم قال ارم ذى زن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا باليمن قال الملك أي يوم ملك ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي ذكي كريم عظيم يأتيه الوحي من قبل العلي قال الملك ومن هذا النبي قال رجل من ولد غالب ابن فهر بن مالك ابن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيؤون قال أحق ما تخبرني قال نعم والشفق والقمر اذا انسق ان ما أنبأتك به لحق فلما فرغ من حديثه دعا بشق وخاطبه بمثل ما خاطب به سطيح واوكم جواب سطح لينظر أيتفقان أم يختلفان فاتفقا في المقال

ومن الكهان سعلقة وزوبعة وسديف وعمران وحارثة وجهيمة وكاهنة بأهله وأشباهم وظريفة فانها كانت أشهر كهان عصرها وهي التي أنذرت عمرو بن عامر أحد ملوك اليمن بزوال ملكه وأخبرته بخراب سد مأرب واتبان سميل العرم وافساده الجنيتين وزبرا الكاهنة وفاطمة بنت مر الخثعمية صاحبة المثل المشهور (قد كان ذلك مرة فاليوم لا) فانه كان لكلامها وقع في نفوسهم وكانت كاهنة بمكة ويحكي عنها مورعجية في باب الكهانة قال الميداني أول من قال ذلك المثل فاطمة وكانت قد قرأت الكتب فأقبل عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن

كلاب فر على فاطمة وهي بمكة فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له من أنت يا فتى
قال أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فقالت هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من
الابل فقال

أما الحرام فالمات دونه والحل لالحل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تنوينه

ومضى مع أبيه فزوجه آمنة وظل عندها يومه وليلته فاحققت بالنبي صلى الله عليه وسلم
ثم انصرفت وقد دعت نفسه الى الابل فأناها فلم يرمها حرصا فقال لها هل لك فيما قلت لي فقالت
قد كان ذلك مرة فالיום لا فأرسلها مثلا يضرب في الندم والاناة بعد الاحترام ثم قالت له أي
شيء صنعت بعدى قال زوجني أبي آمنة بنت وهب فكثت عندها فقالت رأيت في وجهك
نور النبوة فأردت أن يكون ذلك في فأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يضعه حيث أحبه وقد
أورد الامام الماوردي هذه القصة في كتاب اعلام النبوة مع بعض الزيادة

﴿ أصل الكهانة ﴾

فالكهانة أصلها نفس لانها لطيفة باقية وهي في العرب على الأكثر وفي غيرهم على
الأندرو وهي شيء يتولد على حسب صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة نور النفس وإذا اعتبر
الانسان أقطابها وجدها متعلقة بعفة النفس وقع شرها وكثرة الوحدة وإدمان التفرد
وشدة الوحشة من الناس وقلة الأنس بهم وذلك لان النفس اذا تفردت تفكرت واذا
تفكرت تعدت واذا تعدت هطلت عليها سحب العلم النفسى ولحظت بالنظر الثاقب ومضت
على الشريعة المستوية فأخبرت عن الأشياء على ما هي عليه وبقاوية النفس في
الانسان فأشرقت على دراية الغائبات قبل ورودها

فالنفس اذا زادت كانت أكبر جزء في الانسان واهتمت الى استخراج البدائع
والأخبار والمستترات واستدلوا على ذلك بالانسان ر بماقوى فكره وزادت مواد
نفسه وخطره ففكر في الطارى قبل وروده وكذلك اذا النفس تهذبت كانت الرؤيا في
في النوم صادقة والزمان موجودة وقد قال فريقدان النوم هو اشتغال النفس عن
الأمور الناطرة بملاقات حوادث باطنه

ومنهم من رأى أن النفس تدرك صور الأشياء على ضربين أحدها حس والآخر
فكر فالصورة المحسوسة لا تدركها الا في هيئتها فاذا خلص علمها عندها كان إدراكها

منفردا من طينها فيكون فكرا الانسان ما لم يتم تابع للحس حتى إذا نام عدت النفس
الحواس كلها وبقيت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الأشياء قائمة كأنها محسوسة لأن
الحس لها في أعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر
فصار تصور الأشياء في النفس كأنها محسوسة يخطر على بال النائم منها كما يخطر على باله إذا
كان يقظا نال الشيء الذي قد كان وليس لذلك نظام

أما ما يراه النائم من الأشياء التي تدل على ما يريده فان ذلك لان النفس عالمة بالصورة
فاذا خلصت في المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما تريد

وقال فريق آخر إذا بطل استعمال قواها فتمتعقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص
بالقوة الروحانية التي ليست بجسم ولا بقوة الجسمية الغليظة وذلك ان القوة الجسمية
لا تدرك الأشياء إلا بلامستها اما باتصال واما بانفصال والروح تدرك المتصل والمنفصل
جميعها لا يشاركها الجسد

ومنهم من رأى ان النوم هو اجتماع الدم وحوارته الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك
هو سكون النفس وهو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما
هو من عمل الأطعمة والأغذية والطبائع ومنهم من قال ان الرؤيا من الملك وبعضهم من
الشیطان

﴿ الانسان الحساس ﴾

ومنهم من ذهب الى أن الانسان (١) الحساس هو غير هذا الجسم المرئى وانه يخرج من
البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفاته وذهب المتطهين الى
أن الأحلام من الأخلاط ويرى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وقد قال أفلاطون ان
النفس جوهر محرر للبدن وحده وما حده صاحب المنطق ان النفس كالجسم الطبيعي
وحدها من وجه آخر انه حي بالقوة فلا فرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما ان
الروح جسم والنفس لا جسم وان الروح يحويه البدن وان النفس لا يحويها البدن وان

(١) راجع كتاب سر الحياة للسعودي في النفس والانسان وكتاب النهي والكمال
وكتاب طب النفوس وكتاب النفس الناطقة وتقسيمها الى نفوس فاضلة ونفوس أصحاب
الفراسة والقيافة والأثر وغير ذلك والكلام على تشريحها وثمرته ورسالة ابن العبري في
النفس البشرية

الروح اذا فارق البدن تبطل والنفس تبطل أفعالها من البدن ولا تبطل هي في ذاتها
والنفس تحرك البدن وتبين له الحس وقد ذكر أفلاطون في السياسة المدنية ما يلحق
الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وقد تنازع أهل الاسلام في ماهية
الانسان الحساس الدارك المأمور المنهى

✽ علم العرافة ✽

هو من العلوم التي اشتغل بها العرب قديما ونبغ فيها رجال اشتهروا في الأقطار
وحازوا ثقة أهل زمانهم كرياض بن عجلة عرّاف اليمامة الذي يقول فيه الشاعر
فقلت لعرّاف اليمامة داوئي فانك ان أبريتني لطيب

وأما العرّاف فهو دون الكاهن وقد كانت العرب تستدل به على المخبات وتستنتج
منه الحوادث التالية بتطبيقها على الحوادث الماضية وتعريفه - هو الاستدلال ببعض
الحوادث الحالية على بعض الحوادث التالية بمناسبة حقيقة بينهما أما لكونها معلول أمر
واحد أو لكون مافي الحال علة مافي المستقبل أو لارتباط خفي لا يطلع عليه أحد إلا بعض
الافراد إما بكثرة التجارب أو بحالة مودوعة في نفوسهم عنده الفطرة

حكى ان الاسكندر تملك بعض البلاد فدخل هيكل افود وجد فيه امرأة تنسج ثوبا فقالت
أيها الملك أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها واولى بلد ها فقالت له ان الاسكندر
سيعزلك فغضب فقالت لا تغضب ان النفوس تعلم أمور ابعلامات وان الاسكندر لما دخل
كنت أدبر طول الثوب وعرضه وأنت لما دخلت فرغت منه وأردت قطعه فكان الأمر
كما قالت

وقد انتشر هذا العلم بين العرب في زمن الاسلام فمن اشتهر به في زمن هارون الرشيد
رجل فاقد البصر كان يستدل على المسؤل عنه بكلام صدر عن الحاضر بن عقب السؤال
فسرق يوما من خزانة هارون الرشيد بعض من الأشياء فطلب الرجل وأمر أن لا يتكلم
أحد بعد السؤال أصلا ففعلوا كما أمر والأعمى ألقى سمعه ولم يسمع شيئا فخر بيده على البساط
فوجد نواة تمر فقال ان المسؤل عنه دروز برجدو ياقوت وسقط فقال الرشيد أين هو
فقال في بر فوجدوه كما قال الأعمى فتحير الرشيد فيه فسأله عن سبب معرفته فقال وجدت
نوى تمر وقد طلع النخل أبيض وهو كالدرّة ثم يكون بسرا وهو أخضر وهو لون الزمرّد ثم
يكون رطباً وهو أحمر وهو لون الياقوت ثم لما سألتهم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو

فعرفت انه في بئرفاستحسن الرشيد فراسته واعطاه مالا جزيلا ومثل هذه النوادر كثيرة في كتب العرب نضرب عنها صفحا

* علم الغزائم *

ان هذا العلم وعلم الاستحضار هما أصل علم التنويم المغناطيسى وعلم مناجاة الأرواح اللذان شاع انتشارهما في أوروبا وأخيرًا وافترخت بهما وحسبتهما من ضمن مدينتها ورقبها في العلوم وهما معروفان عند العرب قديما كغيرهما وقد ذكرهما في كتبهم ووضعوا لهما هذان التعريفان

علم الغزائم - هو علم يعرف منه كيفية تسخير الأرواح واستخدامها في مقاصد الانسان علم الاستحضار - هو استئزال الأرواح في قوالب الاشباح وتسخيرها واستخدامها في المقاصد ومن هذا القبيل توجيه الوهم نحو شيء بعد تجريد النفس من الشواغل البدنية ليرتب على ذلك التوجيه آثار تبليغ صاحبها الى مقاصده ولا غرابة في ذلك لان النفوس القوية الخيرة والشريفة لها تأثير في النفوس الضعيفة (انظر كتاب السر المكتوم)

انتشرت هذه العلوم في القرون الأولى قبل الاسلام انتشارا كبيرا في الجاهلية حتى صار لها شأن عظيم ولما جاء الاسلام نظرت في هذه العلوم وفي غيرها مما شاكلها كالسحر والقال والتطير فظهر لعامة انها علوم لا يصح الاشتغال بها فنهى عنها صونا للأمة وحفظا لها من وقوعها في الملاهي

ظهرت آثار العلوم في الاسلام بدرجة لا مثيل لها فترجموا (١) كتب كثيرة من كتب اليونان وغيرهم من الأمم البائدة كامة الكلدان والأمة النبطية واكتشفوا علومها جديدة واخترعوا اختراعات لم تكن موجودة من قبل ولا أجل أن تثبت قوة رجال الأمة العربية في العلوم والتأليف نذكر في المقالة الآتية مقتطفات من علم الطب والجغرافيا والموسيقى للاستدلال بها على قوتهم في العلوم الاخرى

(١) راجع فهرس كتب العلوم القديمة لأبي الفرج محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادى الغير مطبوع وموجود بالمدينة المنورة

المقالة الثانية

في

﴿ العلوم والفنون والصنائع ﴾

(وفيها أربعة فصول)

الفصل الاول

﴿ في علم الطب ﴾

﴿ تمهيد ﴾

اشتغلت العرب بعلم الطب وبقية العلوم المرتبطة به وقبضوا على ناصيته وبرعوا فيه
ونبغ منهم أطباء اشتهروا بمعلوماتهم ومؤلفاتهم التي حفظت للخلف طب السلف ونبغ فيهم
أيضاً أطباء من النساء كن زينب طيبة بنى أود فانها كانت بارعة ساوت أطباء زمانها من
الرجال واختصت بطب العيون وفن الجراحة وهى القائل فيها أبو السالك الاسدى
أخترى طبيب المنون ولم أزر طبيب بنى أود على النأى زينبا
فقد كان رجال الامة العربية كما كانت نساؤهم رجال علم وعمل لا يشغلهم شاغل مع
عدم توفر المادة فى زمانهم بقدر ما هى متوفرة الآن عندنا كوجود آلات الطباعة
وسهولة المواصلات وغير ذلك من مستلزمات الحياة والعمران فلو قارنت الامة بين حالها
وحال الامة العربية فى القرون الماضية لحكمت على نفسها بنفسها انها غير راقية الرقى
الحقيقى ساقطة فى المدنية ووجدت أن مدنيها الحاضرة مدنية انحطاط تقودها الى الوراء
فلا الطبيب يكون طبيباً بشهادته ولا العالم عالماً عاملاً لابعاده الا اذا اشتغل كل منهم
واتبع قانون حرفته ونظيره يظهر العالم العامل واستنبط واخترع وأوجد واكتشف لان
العلوم المدرسية ما هى الا سلم يتدرج عليه حتى يصل درجة العلوم درجة المدنية الحققة ولا أرى

سببا يحجم الامة عن الاشتغال غير حب التواني والكسل والملاهي والملاذات والانغماس في الشهوات والاشتغال بسفاسف الامور

فالطبيب والعالم في الزمن الاول كانا أطباء وعلماء بمعنى السكامة يشهد لهم التاريخ ويفخر بهم وبأسماهم المدونة في بطون مجلداته

فقد دون العرب كتباً كثيرة وترجموا أيضاً كتب الأمم الماضية ونقلوها الى لغاتهم كما تشهد بفضلهم كتبهم الموجودة بدور الكتب بأوروبا التي نظرت لها ورأيت علماء تلك البلاد منكبين على درسا وترجمتها الى لغاتهم لاجل الاستفادة منها ونحن عنها ساهون لاهون فن الذين ألفوا في الطب وبرعوا فيه أبو زكريا الرازي طبيب المساميين فانه اشتهر في الطب والمنطق والهندسة وغيرها من العلوم الفلسفية وكان يضرب بالعود ودبر ماريستان الري ومارستان بغداد وتوفي سنة ٣٢٠ وقد أحسن صناعة الكيمياء وبلغ عددمؤلفاته في الطب وغيره ١١٦ مؤلفا

ومن المؤلفين أيضاً ابن النفيس وهو علي بن أبي حزم علاء الدين الطبيب المصري صاحب التصانيف الفائقة في الطب - منها الموجز وشرح كليات القانون وكتاب الشامل الذي لو تم لكان ٣٠٠ جزء اتم منه ثمانون مجلدا وقيل انه كان في العلاج أعظم من ابن سينا

✽ أول من تكلم بالطب ✽

كان أول من تكلم بالطب اسقليبيوس وكان يونانيا ثم أتى بعده بقراط وهو أول من دون الطب في بطون الدفاتر وكان فيلسوفا وأستاذ الطبيعيين يعالج المرضى احتسابا بطوا في البلاد ولما خاف أن يفنى الطب بعده علم الغرباء وجعلهم بمنزلة أولاده وهو القائل - ان الجود بالخير يجب أن يكون على كل أحد يستحقه قريبا كان أو بعيدا - وقال أبو الحسن علي ابن رضوان الطبيب كانت صناعة الطب قبل بقراط كنزا وذخيرة يكتنزها الآباء للابناء وظهر أيضا في اليونان أطباء أتوا بعد بقراط نضرب عن ذكرهم صفحا لان بحثنا يختص بالعرب

✽ أساس العلوم عند العرب ✽

قد جعلت العرب علم الطبيعة أساس علومها لاسيما علم الطب وقد عرفته بهذا التعريف هو علم يبحث فيه عن أحوال الاجسام الطبيعية بأنواعها وموضوعه الجسم من حيث كونه

متغيرا ومنفعة معرفة أحوال الاجسام البسيطة من الافلاك والعناصر والمركبة كالمواليد
الثلاثة وكائنات الجو وغير ذلك من الحوادث العجيبة وغرائب الامزجة والاحجار
والنبات والحيوان وقد قسم العرب هذا العلم الى سبعة فروع وبعضهم الى عشرة وهى - علم
الطب - البيطرة - الصيدلة - النبات وخواصه - الكيمياء - الفلاحة - الفلك -
الفراسه - خواص الاحجار والمعادن وقد زاد بعضهم عليه علم الموسيقى

﴿ اكتشافاتهم ﴾

ان العرب هم أول من بحث في الجيئات النقطية كالجدرى والحصبة والحجى القمرية
وحسبنا من ذلك رسالة الرازى وهم الذين لطفوا المسهلات وحسنوا صناعة التقطير
والتخمير وتشكيل الاوانى الكيماوية باشكال يسهل بها التناول واستخرجوا الكثير من
الاملاح المعدنية وكانت لهم اليد الاولى في فن تركيب العقاقير فوضعوا أسسها ووطدوا
أركانها وهم أول من اخترع السواغات لاذابة الاصول الفعالة للدوية النباتية والمعدنية
والحيوانية واخترعوا الانبيق ووضعوا الاسماء التى لاتزال مستعملة عند الافرنج
كالكحول والشراب واستعملوا التراكيب الحديدية والكبريتية والنحاس والزرنيخ
وحضه والزئبق وجنوا من اشتغالهم بالكيمياء الفوائد الجمة واستعملوا طب الخيل وهى
البيطرة والزردقة وهى طب الطيور

﴿ أطباؤهم ﴾

ان أطباء العرب كانت على جانب عظيم من العلم والعمل الحق بينما يكون الطبيب طبيا
فانك تراه فى آن واحد أديبا فاضلا أخلاقيا كريما فيلسوفا حاذقا وتنقسم الاطباء ثلاثة
أقسام أطباء وجدوا فى العصر بن عصر النصرانية وعصر الاسلام وأطباء مسامون
وأطباء موسويون

فن الاطباء الذين اشتهروا فى العصر بن الحرث بن كدة كان من الطائفت وسافر
البلاد وتعلم الطب ببلاد فارس وتقرن هناك وعرف الداء والدواء وكان يضرب على العود
وتعلمه بفارس واليمن وبقي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب
ومعاوية رضى الله عنهم وكان طبيب العرب وله معرفة تامة بما كانت تعتمد عليه العرب وتحتاج
اليه من المداواة وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره

فمن ذلك انه لما دخل على كسرى أتوا شروان أذن له بالدخول عليه فلما وقف بين يديه
منتصباً قال له من أنت قال أنا الحرث بن كلدة الثقفي قال فاصنعنا عتقك قال الطب قال أعرابي
أنت قال نعم من صميمها وبجوحة دارها قال فاتصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف
عقولها وسوء أغذيتها قال أيها الملك ان كانت هذه صفتها كانت أحوال من يصلح جهلها
ويقوم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز
موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف
ما تورده عليها ولو عرفت العلم لم تنسب الى الجهل فان الطفل ينال فيداوى والحية ترقى
فتحاوى ثم قال أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل
من قسمته أصاب وخص بها قوم وزاد فيهم شر ومعدوم جاهل وعالم وعاجز وحازم وذلك
تقدير العزيز العليم فأعجب كسرى من كلامه ثم قال يا الذي تحمد من أخلاقهم ويعجبك من
مذهبهم وسجاياهم قال الحرث أيها الملك أنفوس سخية وقلوب جريئة ولغة فصيحة والسن بليغة
وأنساب صحيحة وأحساب شريفة يفرق من أفواههم الكلام مروق السهم عن نبتة المرام
أعذب من هواء الريح وألين من سلسيل المعين مطعموا الطعام في الجذب وضاربوا
الهام في الحرب لا يرام عزهم ولا يضام جارهم ولا يستباح حرهم ولا يذل أكرهم ولا يقرن
بفضل اللئام إلا للملك الهام الذي لا يقاس به أحد ولا يؤاذه سوق ولا ملك قيل فاستوى
كسرى جالساً وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه لما سمع كلامه وقال جلسائه اني وجدته
راجحاً ولقومه مادحاً وبفضلهم ناطقاً وبما يورده من لفظه صادقاً وكذا العاقل من أحكمته
التجارب ثم أمره بالجلوس فجلس فقال كيف بصرك بالطب قال ناهيك قال فما أصل الطب
قال الأزم قال فما الأزم قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال أصبت قال فما الداء الدوى قال
إدخال الطعام على الطعام وهو الذي يقى البرية ويهلك السباع في جوف البرية قال أصبت
فما الجرّة التي تصطلم منها الادواء قال هي التخمّة ان بقيت في الجوف قتلت وان تحللت أسقمت
قال صدقت فاتقول في الحجامه قال في نقصان الهلال في يوم يحول غيم فيه والنفس طيبة
والعروق ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدوك قال فاتقول في دخول الحمام قال لا تدخله
شبعان ولا تعشى أهلك سكران ولا تقم بالليل عرياناً ولا تقعد على الطعام غضباناً وارق
بنفسك يكن أرخي لبالك وقل من طعمك يكن أهناً لنومك قال فاتقول في الدواء قال
ما لزمك الصحة فاجتنبه فان حاج داء أحسنه بما رده قبل استحكام أمره فان البدن بمنزلة
الأرض ان أصلحها عمسرت وان تركها خربت قال فاتقول في الشراب قال أطيبه أهنيوه

وأرقه امرؤه وأعذبه أشباهه ولا تشر به صر فافيو رثك صداعا ويشير عليك من الادواء أنواعا
قال فأى اللحمان أفضل قال الضان الفتى والقديد المالح مهلك للآكل واجتنب لحم البقر قال
فاتقول فى الفواكه قال كلها فى اقبالها وحين أوانها واتركها اذا أدبرت وولت وانقضى
زمانها قال اخبرنى عن أصل الانسان ما هو قال أصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه قال فما
هو هذا النور الذى فى العينين قال مركب من ثلاثة أشياء فالبياض شحم والسواد ماء
والناظر ريح قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء وهى
باردة يابسة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة والدم وهو حار رطب والبلغم وهو بارد رطب
قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم
يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر عليهما قال لم يجز لانهم ما ضدان يقتتلان قال فمن ثلاثة
قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربعة هو الاعتدال والقيام فأعجب كسرى بكلامه وأمر
بتدوينه وأعطاه صله وله نصائح كثيرة تقتصر على ذكرها وله من الكتب كتاب المحاوراة
فى الطب بينه وبين كسرى أنوشروان

ومن الاطباء المشهورين أيضا أمين الدولة ابن التميمي فإنه كان أوجد زمانه فى صناعة
الطب ومباشرة أعمالها وله تصانيف مشهورة وكان يعرف السريانية والفارسية متبحرا
فى اللغة العربية وله شعر مستظرف حسن المعانى

فمن نوادره فى الطب انه أحضرت اليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها فى الحياة هى أم فى
المهات وكان الزمان شتاء فأمر بتجريدها وصب الماء عليها صبا متتابعا كثيرا ثم أمر بنقلها الى
مجلس دفى وقبض بالعود والندود ثرت بأصناف الفراء ساعة فعضت وتحركت وقعت
وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها - ودخل عليه أنصار جيل منزف يعرف قوما فى زمن
الصيف فسأل تلاميذه كانوا أحسن نفسا فلم يعرفوا المرض فأمر أن يأكل خبز شعير مع
باذنجان مشوى ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرأ فسأله أصحابه عن العلة فقال ان دمه قد رقت ومسامه
قد انفتحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام وقد توفى فى بغداد سنة ٥٦٠
وخلف كتب كثيرة لا نظير لها فورث جميع ذلك ولده وبقي مدة ثم خنق ولده فى دهليز داره
ونقلت كتبه على اثني عشر رجلا الى دار المجدين صاحب وكان أمين الدولة أسلم قبل موته
وقدامته السيد النقيب الفاضل ابن الشريف بقصيدة طويلة منها

أرى الاشواق نحوك فى فؤادى كمثل النار فى حجر الزناد
متى ولعت به ذكراك كادت الحمر الجو تطفئ بسلادى

﴿ ومنها ﴾

إذا واليت فانظر من توالى وان عاديت فانظر من تعادى
فان أحبت تعرف ما التناهى من الاشياء فانظر فى المبادئ
﴿ وقد أنشد أمين الدولة نفسه ﴾

لولا حجاب امام الناس يمنعها عن الحقيقة فيما كان فى الازل
لأدركت كل شئ عز مطلبه حتى الحقيقة فى المعاول والعلل

﴿ وله فى الغزل ﴾

لاتحسبن سواد الخال عن خلل من الطبيعة أو احداثه غلطا
وانما قم التصوير حين جرى بنون حاجبه فى خده نقطا
وله من كتبه المشهورة كتاب الاقرباذين فى الأدوية المفردة والمركبة وكتاب فى
الأمراض الباطنية وقد بلغ عدد مؤلفاته نحو المائة مجلد غير الذى اقتناه من كتب الغير
رشيد الدين أبو خليفة - كان أوحد زمانه فى صناعة الطب والعلوم الحكيمة متقننا
فى العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفا بالمرضى مواظبا للأموال الشرعية
وكان مولده سنة ٥٩١ هـ وأقام بالديار المصرية ومن نوادره انه جاءت اليه امرأة من الريف
ومعها ولدها وهو شاب قد غلب عليه النحول والمرض فشكت اليه حال ولدها وانها قد أعيت
فيه من المداواة وهو لا يزداد إلا نحولا وأسقاما وكانت قد جاءت اليه بالعداة قبل ركوبه وكان
الوقت باردا فنظر اليه واستقرأ حاله وجس نبضه فبينما هو يحس نبضه قال لعلامه ادخل
ناولنى الفرجية حتى أجعلها على فتغير نبض ذلك الشاب عند قوله تغيرا كثيرا وتغير لونه
أيضا فحس أن يكون عاشقا ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن وعند ما أخرج الغلام وقال له
هذه الفرجية جس نبضه فوجده أيضا قد تغير فقال لو الدت ابنك هذا عاشق فقالت أى
يامولاي والله يحب واحدة اسمها فرجية

وله نوادر كثيرة فى أعمال صناعة الطب وحكايات كثيرة يميز بها على غيره من جماعة
الاطباء وكان شاعرا أدبيا ومن شعره

خليلى انى قد بقيت مسهدا الحب من مأسور الفؤاد مقيدا
بحب فتاة يخجل البدر وجهها ولا سيما فى ليل شعرا اذا بدا
ضللت بها وهى الهلال ملاحه فوا عجباً منه أضل وما هدى

لها مبسم كالدرد أخفى منظما ونطق كمثل الدرد أمسى مبددا
ومن مصنفاته مقالة في الصحة - كتاب الأدوية المفردة سماه المختار في الألف عقار
كتاب في الأمراض وأسبابها وعلامتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة ومقالة في
ضرورة الموت وذكر من التعليل في هذه المقالة أن الإنسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة
التي في داخله وبحرارة الهواء الذي من الخارج كانت نهايته إلى الفناء بهذين السببين
ومقالة في أن الملاذ الروحانية ألد من الملاذ الجسمانية إذا الروحانية كمالات وادراك الكمالات
والجسمانية انما هي دفع آلام خاصة وان زادت أوقعت في آلام آخر

الطبيب علي بن رضوان بن علي بن جعفر أبو الحسن المصري - هو من كبار الفلاسفة
في الاسلام والاطباء وكان أبوه فرانا اشتغل هذا الطبيب بالعلوم عندما بلغ من العمر ستة
سنوات وابتدأ في تعلم الطب وهو في سن الخمسة والعشرين وظل منكب على التعلم إلى أن
بلغ الثانية والثلاثين من عمره وكان يسكن داره التي أقامها بمصر القديمة في خط قصر
الشعنة واشتهرت باسمه مدة من الزمان وهي مهذبة الأركان الآن (هذه الجهة موجودة
بمصر القديمة ومعروفة بهذا الاسم لغاية اليوم) وكان فيه سعة خلق عند بحثه كثير الرد على
أرباب حرفته (انظر كتاب النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة)

بحث هذا الطبيب في حالة مصر الصحية كبحث في الشرب من ماء النيل والآبار وماء
الصهاريج التي كانت مستعملة في مصر قديما وفي الأمراض الوافدة عليها والعلل الدائمة بها

❖ ماء النيل والآبار ❖

قد وضع هذا الطبيب كتابا سماه دفع مضار الأبدان بأرض مصر ووصف فيه أرضها
وصفة اختلاف هوائها وما يتولد فيها والأسباب السيئة المحيطة بالصحة والمرض بأرض مصر
وفصول السنة وفي الوقوف على أسباب الوباء وسائر الأمراض الوافدة وحفظ الصحة
والأمراض وفيما ينبغي الطبيب أن يفعله وفي صفقة تدبير الأبدان وفيما يصلح الهواء والماء
والغذاء بها وفيما يدفع به ضرر الأمراض الوافدة عليها وقسمه إلى خمسة عشر فصلا كتب
في الفصل العاشر عن ماء النيل والآبار ما يأتي

(بما أن النيل يمر بأعم كثيرة من السودان ثم يصير إلى مصر وقد غسل ما في بلاد
السودان من العفونات والأوساخ ويشق مارا بأرض مصر في وسطها من الجنوب إلى
الشمال إلى أن يصب في بحر الروم ومبدأ زيادة هذا النهر في فصل الصيف ومنتهى زيادته في فصل

الخريف ويرتقى منه في الجو في أوقات زيادته رطوبات كثيرة بالتجمل الخفي فيرطب لذلك
يبس الصيف والخريف وإذا زاد هذا النهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الأوساخ
نحو الجيف الحيوانية وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه النقايع (يشير الطيب بذلك
إلى البرك والمستنقعات) أخذ جميع ذلك معه وقد خالطه من تراب هذه الأرض وطينها مقدار
كثير من أجل سخافتها (أي رقتها) وباض فيه السمك الذي تربي في المستنقعات ومن قبل
ذلك نراه في أول زيادته ينحصر كثيرا لكثرة ما يخالطه من مياه البرك والنقايع التي قد
اجتمع إليها العرمرض والطحلب واخضر لونهما من تعفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره بمنزلة
الحماة وإذا صفي اجتمع في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكرة وهذا من
أوكد الأشياء في رداءة هذا الماء وعفنه وبين أبقرراط وجالينوس أنه أسرع المياه إلى التعفن
ماء لطفته الشمس كمياه الأمطار ومن شأن هذا الماء أن يصل إلى أرض مصر وهو في غاية
من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فإذا اختلط بعفونات أرض مصر زاد ذلك في
استحالتها ولذلك يتولد فيه من أنواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوان والنبات
وعفونة هذا الماء وبيض السمك تصير جميعها مواد في تكون هذه الأسماك كما قال ذلك
ارسطو طاليس في كتاب الحيوان وذلك أيضا شيء ظاهر للحس فان كل شيء يتعفن يتولد
من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الفار والدود والشعابين والعقارب وغيرهما من
الهوام كثيرا بأرض مصر - وقد استبان ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة
والرطوبة وأنه ذو أجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديثان وأردأ ما يكون النيل بمصر عند
فيضانه وعند وقوف حركته وعلى ذلك فينبغي أن يغلي الماء ويبالغ في تصفيته بقلوب نوى
الشمس وسائر ما يصلح لزوجته وأجود ما يكون من مائه في طوبة عند تكامل البرد ولهذا
عرف المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في الصحاريح
ولكن على أي حالة كان شأن الماء المخزون لا بد أن يتغير

فرداءة ماء النيل ناتجة من وقوف حركته في زمن الصيف ومن حركة زيادته لانه يجلب معه
الاقطار والعفونات ولذلك ينبغي أن يسقى ماء النيل من المواضع التي فيها جريانه أشد
والعفونة فيها أقل مثاله بالفسطاط محاذاة الموضع المعروف بالكوم الأحمر مما يلي
الجيزة ويصفي

أما الأبار فان ماءها لا يصلح للشرب منه لقرب مياه القاهرة وضواحيها من وجه الأرض
مع سخافتها يوجب ضرورة أن يصل إليها بالرشح من عفونة المراحيض شيء ما ولأن بطامح

الأرض تمتلئ متى صار النيل في أيام فيضانه

وقد فضل أيضا السكنى بأرض مصر وإن كانت تفعل في الابدان رداءة في الفصل الخامس عشر بقوله - أما أرض مصر فينبغي أن تؤثر السكنى فيها لأميرين على هذا النحو (أي ما سبق ذكره في الكتاب) - وقد قلنا إن الأمراض التي تعرض للابدان بمصر منها ما يمكن زوالها وظاهر أيضا أن أخلاق النفس يمكن مداواتها كما قيل في كتب الاخلاق وعلى أن شرور أنفس المصريين سرية القبول للعلاج لأن شرورهم ضعيفة غير مستعصبة فبايكره اذن من أجله السكنى بمصر سهل الزوال وأيضا فلان مصر كثيرة العمارة والناس والمواضع التي هي حالها وهي أكثر تمدنا والانسان مدني بالطبع فسكنه اذا في المواضع الذي تلائمه أوفق والافضل لكثرة ما يجد فيها من الاشياء التي يضطر اليها في قوام حياته وأيضا فأرض قليلة الفتن والحرب لسكون أنفس أهلها الى من تسوسهم وضعفهم عن الجهاد فالسكنى بمصر ينبغي أن تؤثر وإن كانت أسعارها مرتفعة فالمكاسب كثيرة

ومن كلامه في الحكم اذا دعى الطبيب الى مريض يجب عليه - انه يعطيه ما لا يضره الى ان يعرف علته فيعالجها عند ذلك ومعنى معرفة المرض هو ان يعرف من أى خلط حدث أولا ثم يعرف بعد ذلك في أى عضو هو ثم يعالجه

ومن تأليفه - كتاب الاصول في الطب ورسالة في علاج الجذام - كتاب النافع في كيفية صناعة الطب - رسالة في علاج داء الفيل - رسالة في الحميات ورسالة في ضيق النفس ومقالة في ان الوجود نقط وخطوط طبيعية ومقالة في أن كل واحد من الاعضاء يتغذى من الخلط المشا كل له وهو القائل ان تحصيل العلوم من الكتب أوفق من المعلم العنترى - هو أبو المؤيد محمد بن المجلى بن الصائغ كان طبيباً مشهوراً بحسن المعالجة جيد التدبير وافر الفضل فلم يسوفأدبوا له شعر كثير في الحكمة وغيرها ومن كلامه في الحكمة قال بنى ان الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بأزمة الجهل الى الخطأ والصواب وقال الجاهل سكران لا يفريق الا بالمعرفة - الحكمة غذاء النفس وجمالها والمال غذاء الجسد وجماله فحق اجتماع المرء زوال نقصه وتم كماله ونعم بالله وقد قال حين ترك الخمر وتاب عنه

نار الحميا ونار الفكر مندهكا جسمي تركت الحميا خشية العار
والكاس بالطبع تصدى عقل شاربها والسكر يسلب منه حكمة البارى

وله من الكتب اقر بازين في الطب ورسالة في حركة العالم ورسالة في الفرق ما بين الدهر والزمان والكفر والايمان ومن شعره في الغزل

وسرب غيد بشاطى دجلة خرجوا
عن الثياب والقوا سائر الكف
كأنهم وسط لج الماء أجمعهم
در تجرد في بحر عن الصدف

(جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس) كان مشهورا بالفضل جيد التصرف في
المداواة سعيد الجدد حظيا عند الخلفاء قال قتيون الترجمان انه لما مرض جعفر بن يحيى بن
خالد بن برمك تقدم الرشيد الى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته ولما كان في بعض
الايام قال له جعفر أريد أن تختار لي طبيبا ماهرا أكرمه وأحسن اليه قال له ان ابني جبرائيل
أمهر مني وليس في الاطباء من يشا كله فقال أحضره ولما حضر عاجله في ثلاثة أيام وبرىء
فأحبه جعفر وكان لا يصبر عنه ساعة ومعها كل ويشرب وفي تلك الايام تمطت حظية الرشيد
ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها والاطباء يعالجونها بالتمرير والادهان ولا ينفع
ذلك فقال الرشيد لجعفر قد بقيت هذه الصيبة بعلمها قال جعفر لي طبيب ماهر وهو ابن
بختيشوع ندعوه ونخاطبه في هذا المرض فلعل عنده حيلة في علاجها فأمر بإحضاره ولما
حضر قال الرشيد ما سمعك قال جبرائيل قال أى شئ تعرف من الطب فقال أبرد الحار وأسخن
البارد وأرطب اليابس وأيبس الرطب الخارج عن الطبع فضحك الخليفة وقال هذا غاية
ما يحتاج اليه في صناعة الطب ثم شرح اليه حال الصيبة فقال جبرائيل ان لم يسخط على
مولاي فلها عندي حيلة فقال له وما هي قال تخرج الجارية الى هنا بحضرة الجميع حتى أعمل
مأمر يده وتمهل على ولا تعجل بالسخط فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت وحين رآها
عدا اليها ونكس رأسه وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها فانزعجت الجارية ومن شدة
الحياء والازعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها الى أسفل وأمسكت ذيلها فقال جبرائيل
قد برئت يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للجارية أبسطي يدي يميني ويسري ففعلت ذلك فعجب
الرشيد وكل من كان بين يديه وأمر له بصلة وأحبه مثل نفسه وجعله رئيسا على جميع الاطباء
ولما سئل عن السبب قال هذه الجارية أنصب الى أعضائها وقت المجامعة خلط رقيق الحركة
وانتشار الحرارة ولاجل ان سكوت حركة الجماع تكون بغتة جمدت الفضلة في بطون جميع
الاعصاب وما كان يحملها الا حركة مثلها فاء حثلت حتى انبسطت حرارتها وتحللت الفضلة وله
نوادير كثيرة أحبه بسببها الرشيد وقد قال علي بن اسحق الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن
عيسى بن ماسه ان يوحنا بن ملسويه أخبره ان الرشيد قال لجبرائيل وهو حاج بمكة يا جبرائيل
علمت مر تبثك عندي قال ياسيدي وكيف لا أعلم قال له دعوت الله في الموقف دعاء كثيرا ثم
التفت الى بني هاشم فقال عسى أن نكرتم قولي فقالوا انه ذمى فقال نعم ولكن صلاح بدني

وقوامه به صلاح المسامين بي فصلاحهم بصلاحه وبقائه فقوالوا صدقت يا امير المؤمنين
سلامه ابن رحون هو من أطباء مصر وفضلها وكان يهوديا وله أعمال حسنة في
صناعة الطب وله من الكتب كتاب نظام الموجودات - مقاله في السبب الموجب لقلة
الامطار في مصر - مقالة في العلم الالهى - مقالة في خصب أبدان النساء بمصر

✽ المداواة بالوهم ✽

قد استعمل أطباء العرب المداواة بالوهم كما استعملوا المداواة بفن الموسيقى وآلات
الطرب فن نوادرهم في ذلك ان مريضاً ببغداد كان عرض له غلة المالمخوليا وكان يعتقد أن
على رأسه دناؤه لا يفارقه أبداً فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة ويمشى
برفق ولا يترك أحداً يدنونه حتى لا يميل الدن أو يقع من على رأسه وبقى هذا المرض مدة
وهو في شدة منه وعالجه جماعة من الأطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير وانتهى أمره الى أوحد
الزمان أبى البركات هبة الله بن ملكا البغدادى وكا يهوديا وأسلم بعد ذلك وكان بارعاً في فن
الطب وله تصانيف في غاية الجودة وكان اهتمامه بالغ في العلوم فأمر باحضار له ديه وفكرانه
ما بقى شئ يمكن أن يبرأ به الا بالامور الوهمية فقال لاهله اذا كنت في الدار فأتوني به ثم أمر
أحد غلمانه بأن ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في الكلام معه وأشار الى الغلام بعلامة
بينهما أن يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد
كسر الدن الذي يزعم انه على رأسه وأوصى غلاماً آخر وكان قد أعد معه دنا في أعلى السطح
انه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المالمخوليا انه يرمى الدن الذي عنده
بسرعة الى الارض وشرع في الكلام معه وأنكر عليه حمل الدن وأشار للغلام الذي عنده
العصا من غير علم المريض فأقبل اليه وقال له والله لا بد لي أن أكسر هذا الدن وأريحك منه ثم
أدار الخشبة وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام بالدن من على السطح
فكانت له رجة عظيمة فتكسر فلما عاين المريض ما فعل ورأى الدن المنكسر تأوه
لكسره ثم اياه ولم يشك انه هو الذي كان على رأسه وأثر فيه الوهم تأثيراً برى به من علمته وهذا
باب عظيم في الدواء وقد جرى أمثال ذلك لجماعة من الأطباء مثل جالينوس في مداواتهم
بالامور الوهمية وله من الكتب كتاب ظهور الكواكب ليلاً واختفائها نهاراً واختصار
التشريح ورسالة في العقل وماهيته

﴿ ما يحتاج اليه الطبيب من العلوم ﴾

ذكر الشيرازي في كتاب الحاجة الى الطب وآداب الأطباء وصاياهم الغير مطبوع ماملخصه - ان الطبيب يجب أن يكون عارفاً بجملّة علوم أحدها وهو المهم الذي لا بد منه أن يكون عنده من المنطق معرفة الكلمات الخمس لاحتياجه اليها من الوجهتين الاولى أنه يحتاج الى معرفة حدود الامراض وحدود أنواعها ورسومها من الجنس والفصل والوسم من الجنس والخاصة - والثاني أنه لا بد في تشخيص المرض أن يعرف المرض ماهو ثم يقسمه الى قسمين بسيط ومركب - أما البسيط فهو ينقسم الى ثلاثة أقسام سوء مزاج وسوء تركيب وتصرف اتصال أما سوء المزاج فينقسم الى قسمين مادي وساذج أما المادي فينقسم الى صفراوى وغير صفراوى وأما الصفراوى فقد يكون حى وقد يكون غيرها العلم الثانى من العلوم التى يحتاج اليها الطبيب علم الطبيعة فان الطب فرع من فروع العلم الثالث الهندسة وحاجة الطبيب اليها قليلة جداً وقد قيل ان الطبيب يحتاج الى علم الهندسة ليعرف منه أشكال الجراحات لان الجراحة المذورة عمرة البروء والجراحة المثلثة والمربعة وغيرها سهلة البروء اذا كانت لها زوايا فانه ينبت منها نبات اللحم - العلم الرابع الهيئة وحالة الطبيب اليه من كل وجهين أحدهما أن يعرف وقت شدة الحر وشدة البرد فيعرف أن الوقت الصالح لسقي دواء المسهل أى الاوقات وثانها أن يعرف أحوال البلدان وعروضها ومسافات الكواكب فيعرف طبائع الاهوية والغذائية والمياه بحسب كل بلد - العلم الخامس علم النجوم وأحكامها وحاجة الطبيب اليه من وجوه - الاول أن يستعمل الدواء المختار فى الوقت المناسب الذى يكون فيه القمر ممازجا للسعد ومن شكل موافق - الثانى أن يعرف ان لنقصان القمر وزيدته تأثير فى زيادة الرطوبة ونقصانها ومن العلوم أيضاً علم الموسيقى والالخان وعلم النبات وخواصه والاحجار وخواصها والمعادن وخواصها والحيوانات وخواصها وعلم الفراسة والاشربة وأمزجتها

﴿ وصايا الأطباء ﴾

ان ما يحتاج اليه الطبيب من الوصايا عشرة - اولها يجب أن يكون الطبيب عارفاً بالله خائفاً منه معتقداً لأمر الميعاد والثواب والعقاب فعلاً للخير ناهياً عن مواقع الضرر فان الطبيب متصرف فى الارواح فان لم يكن كذلك لم يجز الاعتماد عليه ثانياً يجب أن يحمدهوا

معلمهم ويشكر وهم على ما فادوهم من العلوم ويكثر وابرهم كما يكثرون برأبائهم فكما ان
الابوين كانا سبب كونه فكذلك معاموهم كانوا سبب شرفه ونباهته - ثالثا يجب أن لا
يخلو اعلی من يريد أن يتعلم هذه الصناعة من المستحقين لها ولا يطلبون منهم أجزا على التعليم
رابعا يجب أن يجتهد الطبيب في مداواة المرضى وحسن تدبيرهم بالاغذية والاشربة ولا
يكون غرضه من مداواتهم طلب المال وغرائهم غدوة وعشية ان كان المرض حادا سريعا
التغيير من حال الى حال - خامسا لا يعطى لاحد دواء قتالا ولا يصفه ولا يدل عليه ولا ينطق به
ولا يدفع الى النساء دواء لا سقاط الحمل ولا تذكرة لاحد - سادسا لا ينبغي للطبيب ان يفشى
سر المريض ولا يطلع عليه غيره لا قريبا ولا بعيدا - سابعا يجب على الطبيب ان يكون
لطيف الكلام طاق الوجه حريصا على المداواة وان لا يتكبر على الفقير ولا يتمتع من استماع
كلامه ولا يفرق في المداواة بين الفقير والغنى والعدو والحبيب - ثامنا لا ينبغي للطبيب
ان يكون مشتغلا بالتلذذ والتعمذ كمر النساء وأن لا يكثر من شرب النبيذ فان ذلك مما
يضر بالدماع ويملؤه فضولا ويفسد الذهن - تاسعا يجب أن يكون أكثر اشتغالا بقراءة
الكتب ويلزمه حفظ ما يقرأه ويجب أن يكون ملازما لمواضع المرضى كثير المداولة
لأمورهم وأحوالهم مع الاساتذة والحقاق من الاطباء كثير التفقدا لحوالهم متذكرا لما
قرأه - عاشرا يجب ان لا يأنف من المشورة وأخذ رأى من هو أفضل منه واذا دخل على
مريض عدة من الاطباء فان أشار غير ه الى الحق أقر وان أشار الى ما ليس بحق لم يخجله بل
يمدله عذرا وذلك ان يقول الذى أذكره قول بعض الناس ولكى أؤثر ان العلاج يكون
كذا وكذا وعرف موضع الخطاء برفق

وقد ذكر في هذا الكتاب ما يجب على الاطباء أن يحثوا فيه ويقفوا عليه وقد ضم
اليه كتاب علل الاطفال ومداواتها وآداب المراجعة وتدبيرها

✽ الطب الكهر بآئ ✽

ان طريقة العلاج بالطب الكهر بآئ ليست حديثة النشأة بل هي قديمة العهد فقد
اشتغلت بها العرب وغيرهم ممن سبقهم من الأمم وكانوا يستعملونه لمداواة المرضى بالكهرباء
السمك الكهر بآئ المسمى عند العامة بالرعاش أو الرعاد وذلك لعدم توفر الآلات المولدة
للكهرباء في العصور القديمة وتحسين آلاتها كما هي الآن فالفضل راجع الى من سبق من
الأمم ويجب الشكر لمن أبرز هذه الطريقة من العدم الى الوجود وانتفاع بنى الانسان بها

استعمل ابن سينا السمك الكهر بائى فى مداواة الصرع والآلام العصبية بواسطة وضع السمك فى الماء لبقائه حيا وتوصيل شريطين من الصلب له يتناولهما المريض فتوصل له رعدة عظيمة فكان لا يقوى على امساكهما زمانا حتى يلقيهما على الأرض وكان يستعمل ذلك للمريض أياما متوالية فشفي بسبب ذلك من المرضى كثير ون وقد وصف بعض الأطباء أكل السمك الرعاد وقالوا بثبوت نفعه فى شفاء الامراض

وقد روى أن نساء غربى أفريقية كن يلقين بمن اعتل من أولادهن فى برك فيهامن نوع هذا السمك

وذكر أن اسمكريبونيوس وغوش أحد الاطباء المعروفين فى زمن القيصر طيباريوس الرومانى كانا يصفان هذه الاسماك لشفاء النقرس وذكر بلينيوس المؤرخ أمورامن هذا القبيل

واستعمل الأقدمون المغناطيس الطبيعى لمعالجة الأمراض العصبية وجربه بمارسلينيوس الالماني فى أوائل القرن السادس عشر وقد جرب بعد ذلك المغناطيس الصناعى فنجح

وأطباء الهند يستعملون السمك الكهر بائى فى الامراض الشديدة الحرارة وإذا ماتت السمكة بطلت خاصيتها

ومن اسم هذا السمك قد اشتق اسم المدمرات الحربية البحرية المسماة توربيد فالليونان يسمون أشعة السمك الرعاد الكهر بائية ناركى والملايين توربيدو والفرنساويون توربيل والانكليز توربيدو وكرامبفش

فالجهاز الكهر بائى الذى سميت به الطائفة الرعادة من الاسماك هو كئلتان واحدة على كل من جانبي الجمجمة مكونتان من عدة عمد عمودية غروية أو منشورية ستة اطلاق وزوايا بينها فواصل غشائية فيها سائل يتوارد اليها دم كاف وخيوط عصبية كثيرة وهونحو عشرين نوعا قسمت الى سبعة أجناس توجد فى جميع بحار الدنيا وجهاز الكهر باء فى هذه الاسماك يشابه جهاز كلفانى المصنوع الآن

وقد ذكر دولة الامير محمد على باشا فى رحلته اليابانية المطبوعة حديثا انه شاهد فى بحار تلك الجهات الاسماك الكهر بائية التى تنير البحر فى الظلام وذكر الدميرى فى كتابه حياة الحيوان شأنا عن هذه الاسماك وكذلك كتاب عجائب البر والبحر والحيوان للجاحظ وكتاب عجائب المخلوقات للقرظوبى

و يقابل هذا النوع من السمك حيوان في البحر يقال له الشيخ اليهودي ذكره
القر ويني في كتابه المذكور انه حيوان وجهه كوجه الانسان وله لحية بيضاء وبدنه كبدين
الضفدع وشعره كشعر البقر وهو في حجم العجل يخرج من البحر ليلة السبت فيستقر حتى
تغيب الشمس ليلة الاحد فيذب كما يذب الضفدع ويدخل في الماء فلا تلحقه السفن ومن
خواصه ان جلده اذا وضع منه على النقرس ازال وجعه في الحال

﴿ علم الصيدلة ﴾

قد اشتغلت العرب بعلم الصيدلة كما اشتغلوا بغيره من الذين اشتهروا فيه عيسى المعروف
بأبي قريش وكان صيدلياً في معسكر المهدي حينما توجه الى الري لمحاربة سنقار وحمل المهدي
الخيزران وهي حامل بموسى وخرج طيفور الطبيب معها ولم تكن الخيزران علمت بما
رزقت من الحمل فاما تبينت ارتفاع العلة بعثت بمائهم مع عجوز ممن معها وقالت لها عرضي
هذا الماء على جميع الاطباء الموجودين في معسكر المهدي وجميع من ينظر في ذلك ففعلت
العجوز واجتازت في منصرفها بخيمة عيسى فرأت جماعة من غلمان اهل المعسكر وقوا
يعرضون عليه قوارير الماء ففكرت ان تجوزه قبل ان ينظر الى الماء فقال لها عند نظره
الى الماء هذا ماء امرأة حامل بغلام فنقلت العجوز الخبر للخيزران فسجدت شكر الله
تعالى واعتقت عدة مماليك وسارت الى المهدي فأخبرته بما قالت العجوز فأظهر من السرور
بذلك أكثر من سروره وأمر باحضار عيسى وسأله عما قالت العجوز فأعلمه ان الأمر على
ما ذكر فأعطاه ما لا يجزى لا وأمره بلوازم خدمته وترك خيمته وما فيها من متاع الصيدلة
وللعرب فضل كبير على فن الصيدلة فهم الذين هذبوه ووضعوا اسمه كما ذكرت في
الفصل السابق وقد عرفوه بهذا التعريف - علم باحث عن التمييز بين النباتات المتشابهة
في الشكل ومعرفة منابها صينية أو هندية أو رومية ومعرفة زمانها بانها صيفية أو خريفية أو
شتوية ومعرفة جيدها من رديئها ومعرفة خواصها الى غير ذلك وغرضه وفائدته ظاهران
والفرق بين علم الصيدلة وعلم النبات الاول بالعمل أشبه والثاني بالعلم أشبه وكل منهما مشترك
في الآخر

﴿ علم تدبير الصحة ﴾

يظن الكثيرون ممن لا معرفة لهم بتاريخ العرب في أيام حضارتهم انهم كانوا كعرب

البادية أو الرّحل الذين لا يعرفون للصحة معنى ولا علم لهم بتدبير البدن والحال ان الأمر بالعكس فان القوم كانوا يعتنون بالأمر الصحية ويكفي دليل على ذلك كتاب مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي الموجودة منه نسخة بدمشق الشام فان المطلع عليه يظن انه كتب في هذه الايام ولا يحسبه انه مكتوب منذ قرون مضت فقد رتب مؤلفه على هذا النمط باب الحاجة الى تعهد الأجسام - باب تدبير الأهوية والبلدان - باب تدبير الاكنان والملابس - باب تدبير المطعم - باب صفة الطعام - أوقات الأكل - تقدير الطعام - ترتيب ألوان الطعام - صفات الأكل - ولندكر لك من هذا الكتاب أقصر الابواب وهو باب ترتيب ألوان الطعام - قال المؤلف يجعل الأخف قبل الأثقل ولا يتبدى بالسومة فتفتت الشهوة وتلطخ المعدة بل يقدم الحامض بالخل فانه يحلل أجزاءه لا قاذف يفتت الشهوة ويمكن لما سواه ولا يقدم الشئ الخلو فان الطبيعة ليلها اليه تستولى عليه فتقطع به عما سواه ولا يتبدى بالشواء فان القوة الهاضمة اذا تعلقت به فهرها فاقصرت عليه فلم يمكن الاستكثار من شئ بعده من كانت معدته باردة - ويجب أن يستعمل الفاكهة بعد الطعام بساعة واحدة ليأخذ خفته الثقيل المنهضم قبله

ومن كتبهم أيضاً دفع المضار السكينة للأبدان الانسانية وكتاب الاغذية والاشربة للأشحاء لنجيب الدين السمرقندي المقتول بمدينة هرات ما دخلها التتر فهل لأطباء الشرق أن يفقهوا من سبائهم العميق ويواصلوا البحث في طب العرب القديم حتى يشيدوا فوق ما تركه لهم أجدادهم من الاساس علوما جديدة تلائم الحالة الحاضرة كما يفعل أطباء أوروبا وعاماتها فان وصولهم الى التطبيب بالكهرباء في الايام الاخيرة ومناجاة الارواح والتنويم المغناطيسي ما هو الا نتيجة بحثهم ومطالعهم في كتب السلف من كل فن

قد بنى لكم أجدادكم من المجد والسود صروحاً شامخة وتركوها لكم في داخلها آثاراً ثمينة وزينوا أركانها برياش نفيسة فهدمتوها بعمول التواني والكسل وبعتم رياشها بدرهم الملاهي والفشل فاستولى عليها غيركم فكان لهم منها مجد ساطع وعز باذخ حتى حازو قصب السبق علينا وارتقوا فاسقطنا حتى صرنا نقبس منهم علوماً بعد ان كانوا يقتبسونها منا فهل لكم يا أبناء الامة أن تجددوا ببناء هذا الصرح وتعيدوا هذا المجد المسلوب حتى تخلدوا ذكركم كما تخلد ذكر غيركم فمن جد وجد ومن تولى هلك وما ذلك على المجد بعز يز

الفصل الثاني

في

(علم الجغرافيا)

هذا العلم عرفه العرب كما عرفوا غيره من العلوم فكان أول عملهم فيه ان ترجموا كتاب بطليموس من اليونانية الى العربية وأول الاعمال العامة التي تمت على أيديهم واستدلوا بها على كروية الارض وعرفوا محيطها وهو ما قام به محمد بن موسى بن شاكر وأخويه بتحقيق طول خط نصف النهار لمعرفة محيط الكرة الارضية بالضبط فقاموا أحد خطوط الطول في سهل سنجار ثم أعادوا المقياس ثانيا في وطآت الكوفة فثبت لهم كروية الارض ومعرفة المحيط وهم الذين حققوا الدرجة الارضية وأثبتوا ان كل درجة من درجات الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلاثان

وألف فيه كثير من فوضع ابن حوقل كتابا سماه المسالك في الممالك والمفاوز والممالك في أواخر القرن الرابع من الهجرة

وأول كرة أرضية عرفت هي التي صنعها الإدريسي وكانت صناعتها من الفضة وزنها ١٤٤ اقة رسم فيها جميع انحاء الارض في زمانه رسما دقيقا عمليا - وقد عمل في زمن المأمون خريطة صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبرّه وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية اليونان

ولقد كان علماء الحديث من أشد الناس عناية بالجغرافيا لتمييز النسب الى البلدان والفرق بين الرجال ومساقط رؤوسهم وهذا هو السبب الذي دعا أرباب التأليف أن يذكروا الامصار والقرى ومن راجع باب العشر والخراج في مطولات الفقه علم ما بين الفقه والجغرافيا من الاتصال

وفي البعثات التي سيرها الخلفاء الى القاصية كبعثة الواثق العباس لاكتشاف سواحل بحر الخزر وبعثة المنتصر بالله عام سنة ٣٠٩ الى البلغار للدعوة للاسلامية والجملة التي وصلت الى بكين بعد فتح كاشغر سنة ٩٦ هجرية لدعوة الصين للاسلام في كل ذلك أكبر دليل على تقدير العرب علم رسم الارض أو الجغرافيا

وأجمع تعرف للجغرافيا يستدل به منه على موقعها من نفوسهم واتصالها بعلوم
الشرعية الغراء والحديث والطب الى غير ذلك من العلوم المتعلقة بالانسان ما قاله ياقوت في
معجم البلدان - ومن ذا الذي يستغنى من أولى البصائر عن معرفة أسماء الأماكن
وتصحيحها وضبط أصقاعها وتنقيحها والناس في الافتقار الى علمها سواسية وسر دوراتها
على الألسن في المحافل علانية لان من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائر
ومعالم للصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ومشاهد للآولياء والصالحين
ومواطن غزوات سرياسيد المرسلين وفتح الأئمة من الخلفاء الراشدين وقد فتحت هذه
الأماكن صلحا وعنوة وأمانا وقوة ولكل من ذلك حكم في الشريعة في قيمة الف
وأخذ الجزية وتناول الخراج واجتياز المقاطعات والمصالحات وائلة التسويات
والإقطاعات لا يسع الفقهاء جهلها ولا تعذر الأئمة والأمراء اذا فاتهم في طريق العلم حزنها
وسهلها لانهم من لوازم فنيا الدين وضوابط قواعد الاسلام والمسلمين فأما أهل البر والابرار
والحديث والتواريخ والآثار فحاجتهم الى معرفتها أمس من حاجة الرياض الى القطر غب
اخلاف الانواء والمشي الى العاقبة بعد بأس من الشفاء لانه معتقد علمهم الذي قل أن تخلو
منه صفحة بل وجهة بل سطر من كتبهم وأما أهل الحكمة والتفهم والتطبيب والتنجيم
فلا تقصر حاجتهم الى معرفته عن قدمنا فالأطباء لمعرفة أمزجة البلدان وأحوالها والمنعم
للإطلاع على مطالع النجوم وأنوائها إذ كانوا لا يحكمون على البلاد إلا بطوالها ولا
يقضون لها وعليها بدون معرفة أقاليمها ومواضعها من كمال المتطبيب أن يتطلع الى معرفة
مزاجها وأحوالها وصحة أو سقم منبتها ومائها فصارت حاجتهم الى ضبطها ضرورية وكشفهم
عن حقائقها فلسفية ولذلك صنف كثير من القدماء كتبها سموها جغرافيا ومعناها صورة
الارض - وألف آخرون كتبها في أمزجة البلدان وأحوالها وغيرهما وأما أهل الأدب
فناهيك بحاجتهم اليها لانهم من ضوابط اللغوى ولوازمه وشواهد النحوى ودعائمه ومعتمد
الشاعر في تحلية جيد شعره بدكرها وتزيين عقود لآلى نظمهم بشذرها فان الشعر لا يروق
ونفس السامع لا تشوق حتى بدكرها جز وزرود والدهناء وهبود ويتحنن الى رمال
رضوى فيلزمه تصحيح الاسم وأين صقعها وما اشتقاقه ونزهته وفقره وحزنه وسهولته فانه ان
زعم انه واد وكان جبلا أو جبل وكان صحراء أو صحراء وكان نهرا أو نهرا وكان قرية أو قرية
وكان شعبا أو شعب وكان حزنا أو حزن وكان روضة أو روضة وكان صفصفا أو صفصفا وكان
مستنقعا أو مستنقع وكان جلدا أو جلد وكان سبخة أو سبخة وكان وحة أو وحة وكان سهلا أو

سهل وكان وعرا أو يجعله شرقيا وكان غربيا أو جنوبيا وكان شماليا سفلى قدره ونزركثره
وأضضحة ويرى انه ضحة وجعل هزأة ويرى انه هزأة واستخف وزنه واسترذل
واستقل فضله واستجهل اه

انقطع هذا العلم وقل الاشتغال به من القرن العاشر للهجرة وزهد فيه المسلمون
كزهدهم في كل علم ولغلبة الجهل عليهم وفقدان ملكة التأليف منهم والاختراع قد صاروا
نقله عاديين لا يهتمهم غير حب الترف والاسراف في الشهوات والملذات التي هي آفة انحطاط
الأمم واستعبادهم

الفصل الثالث

في

(علم الموسيقى)

هذا العلم كان موجودا في زمن الجاهلية قبل ظهور الاسلام وكان له شأن كبير في
زمن اليونان ثم لما ظهر الاسلام كان موجودا أيضا وكان الاشتغال به بالغا جدا النهاية لكنه
أخذ في الاضمحلال قليلا لانصراف أفكار الامة الاسلامية الى الفتوحات ونشر تعاليم
الدين وآداب الشريعة الغراء حتى تمكنت عراها في جميع الاقطار
ثم عاد الى النمو والانتشار في زمن هارون الرشيد وبلغ شأوا بعيدا أكثر مما كان عليه
في الزمن الاول فن يتصفح مؤلفات الاوائل كابى نصر الفارابى وابن سينا وصفي الدين
وعبد المؤمن وابن قرة وأبى الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الطحان الموسيقى وغيرهم
من فطاحل المؤلفين الذين قد اندثرت مؤلفاتهم وغابت عن انظار رجال العصر الحاضر
وقد شاهدت كتابا للعبد الرحمن الانطاكى مرسوما فيه النوتة الموسيقية بعلامات وحروف
عربية وجعل لها مفتاحا حرف (م)

وكان أمراء العرب وملوك الاسلام يفضلون سماع آلات الطرب وهم جالسون على
موائد الطعام ولا يأتى كلون الاعلى سماع ملود حديث مستحسن وهذا هو عين الطريقة المتبعة
لدى ملوك أوروبا الآن

وقد يتبع استماع الموسيقى وآلات الطرب المسرة في النفوس وإبتهاج القلوب كأنقباضها
عند حالتى الحزن واليأس

﴿ الطرب والاسباب ﴾

(الباعثة اليه)

الطرب ما يستغفر الانسان من الفرح والحزن وليس يختص بالغنى وحده ولا بالملاهى
بل يستغفر الانسان للشعر والحديث ولذكر الجود للمواضيع الحسنة ولكل منظر رائع
وحديقة مؤنقة ومنه ما يعرض عند الخوف وذكور الموت والفجعة والنعي والفراق
والصلة السنية ولقاء المحبوب

فأما الطرب للغناء فيطرب كل انسان على ما يوافقـه وما يأتى على ما فى نفسه وكلما علت
معرفة الانسان بالغناء قل طربه لقلته ما يعجبه واطلاعه على الخلل والزلل والنقص والتبديل
ولان العالم بالغناء لا يعجبه الا حسن التأليف وجودة النظام وفصاحة الكلام وحلاوة
موضع الخلق ونقاهاة الصوت وأحكام القواصل وحد المقاطع والتوفية لكل ما يقال
فأما التقسيم فـفيه ما يعجب الجاهل من الطرب لسماع الاوتار والخلق كاصوات المزامير
والطبول وسائر آلات الطرب فانه يطرب الحيوان الصامت أيضا قال الجاحظ كل حيوان
ناطق أو صامت يطرب الا التيس وبتأليف حركات الموسيقى تتألف الحركات النفسانية
فيهج الطرب ويبعث المسرة لان أصوات الاوتار ارسام الطبيعة والنفس وقد يحدث أيضا
الصوت الحسن ما تحدثه الآلات

زعم أهل الطب ان الصوت الحسن يسرى في الجسم ويجرى في العروق فيصفوله
الدم ويرتاح له القلب وتفعله النفس وتهتزله الجوارح وتخف الحركات ومن ذلك كرهوا
للطفل أن ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وقالت ليلى الا خيلية للحجاج حين سألها
عن ولدها وأعجبه ما رأى من شبابه انى والله ما حملته سهوا (١) ولا وضعت بهتانا (٢) ولا
أرضعته غيلا (٣) ولا أئتمته تيمقا (٤)

وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجـه
فاستخرجته الطبيعة بالان على الترجيح لاعلى التقطيع فها ظهر عشقه النفس وحن اليه

(١) أى ما حملته فى بقايا الحيض ويقال حملت المرأة وضعا وبضعا اذا حملت فى استقبال
الحيض (٢) يعنى منكسا (٣) يعنى لبنا فاسدا (٤) يعنى لم أنومه مستوحشا كيا

الروح ولدك قال أفلاطون لا ينبغي أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترموا بالاحسان فاستراحت لها أنفسهم وليس من أحد كائن ما كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولولم يكن من فضل الصوت الا انه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل او ملبس أو مشرب أو نكاح أو صيد الا وفيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح وقد يتوصل بالاحسان الحسان الى خير الدنيا والآخرة فن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب الاعراض والتجاوز عن السيئات وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرقى قلبه من قسوته ويتذكر نعم الملوكوت ويمثله في ضميره وكان أبو يوسف القاضي كلما حضر مجلس الرشيد وفيه الغنى فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر به نعم الآخرة

وينقسم السماع الى ثلاثة أقسام - منه ما هو حرام محظور وهو الأكثر عند الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم وتكدرت بواطنهم وأحبوا دنياهم وفسدت مقاصدهم فلا يتحرك منهم الا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات المذمومة لاسيما في زماننا هذا لسوء الاخلاق وفساد الاداب - القسم الثاني منه مباح وهو لمن لاحظ له الا التلذذ بالصوت الحسن لا تمتعاش الروح وراححة البدن أو ليمتدكر به غائبا أو لتسلية نفسه من حزن فيستريح بما يسمعه - القسم الثالث منه مندوب اليه وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق اليه فلا يتحرك السماع منه الا الصفات المحمودة وقد حضر صلى الله عليه وسلم بعض مجالس الغنى وسماع الدفوف كما هو مشهور عنه

وقد اشتهر بالغنى كثير في الجاهلية والاسلام رجالا ونساء نأى على بعض منهم اتاما للفائدة

﴿ أول من غنى في الجاهلية من الرجال ﴾

اتفقت الروايات على ان أول من غنى في الجاهلية علقمة الفحل وجريمة بن سعد وهو المصطلق وربيعة بن حزام والفحل وزمام بن خطار والنصر بن الحرث من بني كعدة وغنى بعدهم المخضرمون وهم الذين لحقوا الاسلام ففهم رباح وأبو لهب وابن أبي الدنيا كل والجمحي وأبو بويه

﴿ أول من غنى من النساء في الجاهلية ﴾

ان أول من غنى من النساء في الجاهلية بعداد وثمان وثمانين كانتا في الجاهلية في زمان

عاد الكبري وخبرهما معروف فن غنائهما

يا أم عثمان نوليننا قد نفق النائل الطفيف

وبعدهما عجبهورو وبعدهما قينتا حذيفة بن بدر وقينتا الحرث بن زهير وبعدهما وهرام
قينة خالد بن قيس وهند ثم قينتا حجير بن الحرث وبعد ذلك قيان عبد المسبح بنجران وقيان
يزيد بن عبد الملك وقينة عبد عم ابن بشر وكانت بالمدينة قينة يقال لها أم عمرو وفيها يقول
الشاعر

صدت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

ومن القيان قينتا عبد الله بن جدعان وهما طيبة والرباب وقينتا الخضرى سرين
وصاحبتهما وهوة وأسماء قيان عبد الله بن قيس بن عدى وقيان جبلة بن الأيهم لحقن
الاسلام ومن غنائهن شعر حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وقينة الأسود بن عبد المطلب وسارة قينة عمرو بن هشام وقينة الأنصار وقينتا عبد الله
ابن السائب المخزومي وقينة الأوسيين وجواري عبد الله بن سلام وأكثرهن لحقن الاسلام
وصرن مخضرمات فهذا جملة ما وجدناه ويمكن أن يكون غيرهن كثيرات وقد ذكر ابن
الزعراني أسماء قيان آخر لم يذكر أجاهليات أم إسلاميات ومنهن مناساة جارية علقمة
وسعدة جارية حسان ومهدية قينة عمرو بن مسعدة وقينة مساهم ودعد أم قدامة بن صلح
وظلامة قينة عمار بن مناهب

❦ أول من غنى في الاسلام من الرجال ❦

ان أول من غنى في الاسلام طويس وأول من ضرب على الغناء العربي بسط وقيل
بل سائب خاثر وبعدهما ابن السمح وابن سريج والغريض ومعبد فقد غنى أول دولة بني أمية
وأدرك دولة بني العباس وهو ممن تعلموا على النساء ومن غنائها هذين البيتين

منع الحياة عن الرجال ونفعها حديق تقابلها النساء مراض

وكان أفئدة الرجال اذا رأوا حديق النساء لنيلها أغراض

ثم مالك بن أبي السمح وابن عائشة والهندى الأكبر والهندى الأصغر أخوه وأبو
طنبورة ومديح ونافع وكرام بن معبد وابن أبي عتيق وهؤلاء أصول الغناء وقد أتى بعدهم كثير
اشتهر وابو ورقوا صناعته وأدخلوا عليه تحسينات جعلت لهم الفضل الأول فيه

فمن اشتهر بهذا الفن في زمن هارون الرشيد أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب
فانه كان تلميذا لأبي اسحاق الموصلي تعلم عليه وفاقه وارتحل من بغداد الى الأندلس بعد ان
زاد على العود و ترا خامسا اختراع امه وكان لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصفة القديمة
التي قوبلت بها الطبائع الأربع حتى زاد عليها هذا الوتر الخامس ووضع متوسطا بينها
فاكتسب به عوده اللطف معنى

ومنهم ابراهيم الموصلي واسماعيل بن جامع وفليح بن العواد وهم الذين اختاروا المائة
صوت المشهورة في كتاب الأغاني لأمر المؤمنين هارون الرشيد

أما ابراهيم الموصلي فانه كان في أوائل أيامه بليدا وكان يضرب ويعذب ولا يتعلم شيئا
فهرب الى الموصل وهناك تعلم الغناء وبرع فيه ثم سار الى الري وتعلم بها أيضا ومهر ومن
نوادره ان جعفر بن قدامة قال أخبرني أبو العيناء قال خرج الفضل بن الربيع وقال ان
أمر المؤمنين يأمر كل من حضر بمن يقول الشعر أن يجيز هذه الأبيات فلم يوجد من يجيزها
فأمر ابراهيم فغنى فيها الحنا من خفيف ثقيل فقال

أهدى الحبيب مع الجنوب سلامة فأردد اليه مع الشمال سلاما
واعرف بقلبك ما تضمن قلبه وتداولوا بهواكما الأياما
واذا بكيت له فأيقن أنه ستجود أدمعه عليك وهاما
فاحبس دموعك رجلة لدموعه ان كنت تحفظ أو تحوط ذماما

وقد اجتمع ابراهيم الموصلي يوم امع زلزل و برصوما بين يدي الرشيد ف ضرب زلزل وزمر
برصوما وغنى ابراهيم

صحا قلبي وراغ الى عقلي وأقصر باطلا ونسيت جهلي
رأيت الغانيات ركن خزرا الى صرمنني وقطعن حبل

فطرب هارون الرشيد حتى وثب على رجليه وصاح يا آدم لو رأيت من يحضرني من
ولئك اليوم لسرك ثم جلس واستغفر الله فالشعر لأبي العتاهية والغناء لابراهيم وقد غنى
ابراهيم بينما كان بالرقة مع الرشيد لما ذهب الى خمار هناك يشرب عنده فأ نزل له دنا في باطية
فرأى لون الخمر حسنا صافيا فاندفع يغنى

اسقني صهباء صرفا لم تدنس بمزاج
اسقني والليل داج قبل أصوات الدجاج
يا أبا وهب خليلي كلهم لا تفراج

حين نوءت بقلبي في أعاصير الفجاج

وقد غنى يوما في مجلس هارون الرشيد هذه الأبيات

يا واحد الحب ما لي منك إذ كلفت نفسي بحبك إلا الهم والحزن
لم ينسينك سرور لا ولا حزن وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلا منك قلبي لا ولا جسدي كلي بكك مشغول ومزهر
نور تولد من شمس ومن قمر حتى تكامل منه الروح والبدن

﴿ أول من غنى من النساء في الاسلام ﴾

عزة الميلا وكان يألفها الاشراف وغيرهم من أهل المروآت وجميلة مولاة بنى سليم قد
أخذ عنها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيمة والشامسيةان خليفة وريجة
ومن خبرها ان معبد ومالك بن أبي السرح ذهبا اليها فأذنت لهما بالدخول فدخلا فأخرجت
اليهما رقعة فيها أبيات فقالت لمعبد بعث بهذه الرقعة الى فلان لا غنى بها فقال معبد ابتدئي
فأبتدأت جميلة فقالت

انما الذلفاء همي	فليدعني من يلم	
أحسن الناس جميعا	حين تمشي وتقوم	معبد
حبب الذلفاء عندي	منطق منها رخم	جميلة
أصل الخيل لترضى	وهي للجيل صروم	معبد
حبها في القلب داء	مستكن لا يريم	جميلة

ومن نوادرها انها جلست يوما ولبست برنسا طويلا وألبست من كان عندها برنسا
دون ذلك وكان في القوم ابن سريج وكان قبيح الصلح قد اتخذ وفرة شعره يضعها على رأسه
وأحبت جميلة أن ترى صلته فلما بلغ البرنس الى ابن سريج قال دبرت على ورب الكعبة
وكشف صلته ووضع القلنسمة على رأسه وضحك القوم من قبح صلته ثم قامت جميلة
ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم
أمثالها وقام ابن سريج يرقص ومعبد وبن عائشة ومالك والقريظ وفي يد كل واحد منهم
عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها فغنت وغنى القوم معها

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيب مضرب
والغانيات يردن غيرك صاحبا ويعدنك المهجران بعد تقرب

انى أقول مقالة بتعارب حقاً ولم يخبرك مثل محرب
صافى الكرم وكن لعرضك صائناً وعن اللثيم ومثله فتنسكب
خليفة ولها من الغنى فى مجلس جميلة

ألا يا من يلوم على التصاى أفق شيئاً لتسمع من جوابى
بكوت تلومنى فى الحب جهلاً وما فى حب مثلى من معاب
أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
كريم نال ودا فى عفاف وستر من منعمة كعاب
ومن الذين اشتهر وبالغنى سلامة النفس وجارية عبد الله بن جعفر ورياًخت سلامة
وقينة الاخطل وشاجن جارية المعتض بالله واضعة اللحن الذى يجمع النغم العشرة وليس
جارية عبد الله بن طاهر وسحيفة الذى قال فيها بن رامين

سحيفة أنت واحدة القيان فالك مشبهه فيهن ثانى
فضلت على القيان بفضل حذق فخذت على المدى قصب الرهان
سجدت لك القيان مكفرات كما سجد المجوس لمزبان
ولا سيما اذا غنيت صوتاً وحركت المثلث والمثنائى
شربت الخمر حتى خلت أنى أبو قابوس أو عبد المدائى
فأعمال اليسار على الملاوى ومن يملك ترجمة البيان

✽ أول من دون الغنى ✽

أول من دون الغنى يونس الكاتب وغنى أصوات المتقدمين وكانت سنة آلاف دور
وثلاثمائة صوتاً وقد حصرها يونس ورتبها على حروف المعجم وذكر ملحنيها وأسماء
طرائقها وأنواعها وذكر الشعراء فمن كتابه ألف ابراهيم كتاب الاغانى ومن اسحاق أخذ أبو
الفرج الاصبهانى وعن حماد وابنه يسند جيه

الفصل الرابع

في

(اختراعات العرب واكتشافاتهم)

ما زالت العلوم والحكمة تتداول من عصر الى عصر ومن قطر الى قطر ومن بلد لبلد الى أن ظهرت الامّة العربية بمظهر لم يسبقها فيه أحد وقد بنوا معارفهم على التجارب والملاحظات فقد قال عنهم ديلامبير في تاريخ علم الهيئة اذا عُدت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك ان تعد من العرب عددا كثيرا غير محصور

اتسعت دائرة الفنون والصنائع في عصر الدولة العباسية وانتشرت في سائر الاقطار ولولا هذا الانتشار الذي ساعد أوروب على خروجهما من ظلمة الجهل الخالك الى نور العلم الساطع لاستقرت على بربريتها وتوحشها الى وقتنا هذا

قال العلامة سيدو في تاريخه ان العرب استعملوا الاسطرلابات لقياس ابعاد الكواكب والفواقي زمن المأمون ارسادا وازياجاً فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الاذنان وغيرها ولم يخطئهم فيها أحد ورصدوا نقطتي الاعتدال الربيعي والخريفي وقدر وامل منطقة فلك البروج وقاسوا الدرجة الارضية وأنشأوا المراصد العديدة كمرصد بغداد الذي أنشأه نصر الدين الطوسي ومرصد جبل المقطم الذي أنشأه بمصر العلامة بن يونس الفلكي وهو أول من اخترع البندول أي رقاص الساعة وقد أنشأ المسلمون غير العرب مرصدا كثيرة كمرصد سمرقند الذي أنشأه تيمورلنك ومرصد دمشق الذي أنشأه الوغ بك مرزا حفيد تيمورلنك واشتغل العرب بالعلوم الرياضية فطبقوا الجبر على الهندسة وبرعوا في علم الضوء والميكانيكا وظهرت همهم وقدرتهم في المناظرات العلمية

ذكر درابري في تاريخه انهم هم الذين عرفوا حدود قوانين سقوط الأجسام وماهية الجذب فيها وكانوا على علم تام بعلم حركات الأفلاك واكتشفوا قوانين الثقل النوعي للأجسام الصلبة والسائلة والغازية واخترعوا بيت الابرة وهم أول من استعمل الساعة الدقيقة لمعرفة الزمن كالساعة التي أهداها هارون الرشيد الى شارلمان امبراطور فرنسا في

وقته فقد كانت دقيقة الصنع فاذا حانت الساعة واحدة خرج منها فارس فدى ناقوسها مرة
واذا حانت الثانية خرج فارسان فداه دقتين وهكذا حتى اذا حانت الرابعة والعشرون
خرج أربعة وعشرون فارسا فداقوا الناقوس أربعة وعشرين مرة
وحققوا حركة أوج الشمس وان مدارها ليس دائرة منظمة وضبطوا مدة السنة
واخترعوا المزاويل الفلكية وحرروا كتاب بطليموس الفلكي المعروف بالجسطى وقياس
الدرجة من خط نصف النهار

ويعزى أيضا اليهم اتصال الخطوط المماسية في حساب المثلثات واستعواض الجيوب
بالأوتار وحل المعادلات التكميلية وزيادتهم في علم النبات نحو الأفين على ما في كتاب
الأعشاب تأليف دسقورد واستكشاف التنا كج بين النبات حتى يتولد نبات ثالث
مغاير لهما وأنشأوا البساتين المخصوصة لتخمينته وتوليدته ولهم الفضل في استعمال تقاوى
المزروعات أثر بعضها كل زمن بحسبه واختراع السواقي ذوات الطوانس والقواديس
وطواحين الهواء وصناعة الزجاج وعمل الورق فقد وجد عندهم سنة ٢٧ من الهجرة وكان
أهل بخارى يعملونه من الحرير ثم عمله في حدود المائتين يوسف بن عمر أمير مكة في أيام بني
العباس من القطن وكان أهل الأندلس يصنعونه من الكتان والتيل وطرق الحديد وسقيه
ومعرفة استقامة النظر وانعكاسه في المرآة وانكسار الضوء والحل الظاهر للصورة في
المرآة المنحنية وأثبتوا ان ما نشاهد في القمر من الصور والجبال ماهو إلا لشدّة صقله
ومقابلته للأرض فانطبع فيه ما على وجهها فصار يرى انه مأهول بالسكان فشأنه كشأن
المرآة التي يرى الانسان فيها نفسه (راجع رسالة التريبيع والتدوير للجاحظ) وهم أول من
نظر في علم الادروس ستاتيك وهو فرع من علوم الطبيعة فعملوا الجداول المبينة لأنواع
الأوزان النوعية ويحتوا في نظر رؤيا الضوء والأبصار وخالفوا اليونانيين وقالوا ان
الأبصار يحدث بمرور الأشعة من المرئى الى العين وحققوا نظريات انعكاس الأشعة
وانكساراتها وقد اكتشف الحسن بن هيثم الشكل المنحنى الذي يأخذه الشعاع في سيره في
الجو وأثبت بذلك اننا نرى الشمس والقمر قبل أن يظهر حقيقة في الأفق وكذلك في
الغروب نراها قليلا بعد أن يغيبا

ومما يدل على شهرتهم في فن العمارة وتقدمهم في الصناعة التي لم يسبق لها مثيل ما ظهر في
أيامهم بمدن بغداد واليمن والأندلس من العمارات التي لا مثيل لها - ذكر أبو الفداء المؤرخ
الشيرازي في تاريخه انه لما قدمت رسل ملك الروم سنة ٣٠٤ الى بغداد أقيمت الزينات في قصر

الملك وعبي لهم العساكر وصفت الدار بالأسلحة وأنواع الزينة وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنا وعلى الأغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة والأغصان تتأيل بحركات مصنوعة والطيور تصفر وترقص بحركات مرتبة وشاهد الرسول من العظمة ما يطول معه الشرح - ومن الأبنية قصر غمدان بظاهر صنعاء اليمن الذي بناه الملك شرحبيل بن عمرو بن غالب فانه محكم البناء بديع الصنع عظيم الارتفاع بلغت طبقاته سبع طبقات وفيه ما لا يوصف من الزخارف والصنائع البديعة وكان به غراف شهيرة يسمونها المحاريب (١)

وأول من أقام التماثيل على الأعمدة في الطرقات مالك الملقب بنائير النعم أحد ملوك اليمن فانه نصب عمودا من النحاس وأقام عليه تماثلا من النحاس وكتب على صدره بالخط الحميري هذه الكتابة - هذا التمثال لياسر أنعم الحميري ليس وراء هذا من ذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيعطى - ولم يكن بني أمية بالأندلس بأقل من العباسيين في بغداد وملوك اليمن في العمارة والافتاق فقد أنفق عبد الرحمن الداخل على إقامة جامع قرطبة وقصر هامانة ألف وقيل مائة وثمانين ألف دينار والجامع المذكور قائما على ستائة وخمسة وستين عمودا من المرمر والرخام الأسود وقد بنى قصر الزهراء وهو آخر الأبنية العربية وصرف على بنائه مبلغا ثائلا وكان به أكثر من ألف ومائة عمودا من المرمر وكان الايوان منمنطقا بالذهب والاحجار الكريمة وكان الانسان يشاهد على البركة التي في وسطه صور طيور وحيوانات محكمة الصنع بما لا مزيد عليه وكانت البركة من المرمر الثمين مملوءة بالزيت النقي الصافي عوضا عن الماء وكان فيه من الخدم ستة آلاف من الرجال والنساء

وقد صنع أبو القاسم عباس بن فرناس الحكيم الاندلسي في بيته السماء والنجوم ومثلها بضوئها وبروقها وورودها تمشيلا يخيل للناظر انه حقيقة وصنع الآلة التي تعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال واستنيط صناعة الزجاج من الحجارة وهو الذي احتال في تطيير جثمائه فكسا نفسه الريش ومدله جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في ظهره لانه لم يعمل له ذنبا فيظهر من ذلك أن الرجل كان من أسبق الفائزين بالطيران من بني الانسان

(١) راجع كتاب عجائب البر والبحر في ذلك وغيره فانه ذكر عجائب الابنية وموجود بروسيا مع انه للعرب

ومما يشهد لهم أيضاً بالفخر وعلا الهمة على من عداهم في هذا الفن مساجد الشام وبلاد
الاندلس وبغداد فمنها تعلمت أوروبا عمل القباب العالية والاعمدة المرتفعة وتناسب أجزاء
ذلك وأحكامه مع الرونق واللفظ والتقني في الاشكال والهيئة وامتزاج الخطوط المستقيمة
بالخطوط المنحنية في صور مختلفة خصوصاً بما دخلها من الازهار في تعشيق الخطوط وهم
الذين أوجدوا الخط الستيني وتحلية الحيطان بالقيشاني والارض بالفسفسا وغير ذلك من
أنواع الزينة والزخرفة

التصوير - وكانوا أحياناً يصورون الوقائع التاريخية كما تفعل الفرنجة اليوم فقد
ذكر المقرئ في الجزء الثاني من خطه في الصحيفة ٣١٨ مانصه - وكان البارزوي سيد
الوزراء قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز المصورين فقال ابن عزيز أنا أصور صورة
اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصورها فإذا نظرها
الناظر ظن أنها داخله في الحائط فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا فصورا صورتى
راقصتين في صورة جنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخله في الحائط وتلك
ترى كأنها خارجة منه فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة جنية ذهبها اسود كأنها
داخله في صورة الجنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمراء في صورة جنية صفراء كأنها
بارزة من الجنية - فاستحسن البارزوي ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل السكتامى الرسام المشهور صورة يوسف عليه السلام
في الجب وهو عريان والجب كله اسود واذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب من دهن لون
الجب - هذه الصورة يشبهها ما يصنعه (الافرنج الآن) ومن أراد التوسع فعليه مراجعة
طبقات المصورين المعروف (بضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوقين من الناس)
خرط الملاحة - أوجدوا خرط الملاحة واستعملوها قبل غيرهم فقد وجد منها
خريطة في سنة ١٤٧١ ميلادية عند المعلم فان وخريطة عند البورق البورتغالى من رسم
شخص من أبناء العرب يقال له عمر كان يهتدى بها في سفره ببحر عمان والخليج الفارسي وهم
الذين وضعوا الفنارات لاهتداء السفن في البحار واخترعوا البوصله

البارود والتحاويل المالمية - أوجدوا البارود واخترعوا آلات اطلاقه والتحاويل
المالمية التي كانت تسمى عندهم بالسفجة واخترع الورق والجلود بدل النقود للعاملة وقد
قال أبو تمام في ذلك

لم ينتدب عمر للابل يجعل من جلودها النقود حين عزه الذهب

واستعملوا الآلات المفرغة للهواء والرافعة للياه وجعلوا عمدتهم التجربة
النعال الصرارة أول من لبس النعال الصرارة المرواني وكان قصيرا واتخذ النعال
الصرارة لتزيد في طوله وليسعه جواربه وخرمه عند دخوله بيته فتصلح شأنها من كانت
على غير هيئة صالحة

قص أذنان الخيل - وكانوا يقصون أذنان الخيل وقال في ذلك امرؤ القيس
على كل مقصوص الذنان معاود يريد السرى بالليل من خيل بربرا
ولهم من العوائد الهدية بالزهور والياحين وكانوا يتهاون بها في أيام المواسم والاعتماد
وكانوا يرفعون ما على رؤوسهم للتعظيم وشاهده قول الشاعر
ولما أنا نابعيد الكرى خضعنا له ورفعنا العمارا (١)

تقديم ورقة الطعام - تقديم ورقة الطعام قبل الاكل كان معروفا عندهم ففي كتاب
أحياء علوم الدين أن الامام أبي حنيفة أضافه رجلا فلما حضر الطعام قدم له خريطة الطعام
فيها أسماء ما عنده من الطعام ومثله ما هو من كور في قصة عبد الأعلى بن عبد الله وذلك أن
بلال بن أبي بردة سأل أحد جلساء عبد الأعلى فقال له ما يفعل هذا الشيخ معكم إذا قدم الطعام
فقال إذا أتينا وحضر وقت الطعام دعا القائم على الطعام فيسأله عما عنده فيسمى له أنواع
الطعام واحدا فواحد اليمسك كل رجل عما يشتهي ويأخذ ما يشتهي

أما الصنائع الأخرى والمنسوجات حدث عنها ولا حرج ويشهد لهم بها ما هو موجود
بمناحف أورو بالغاية يومنا هذا فكل ما نشاهده الآن قد سبقنا فيه الأولون ولا نطيل الشرح
فن أراد التوسع فليراجع كتبهم وتأليفهم في ذلك ويتموجه لمشاهدة تلك الآثار

(١) العمارة كل ما يلبس على الرأس وفي رواية أخرى أن المقصود الرمحان



المقالة الثالثة

﴿ في اهتمام العرب بنشر العلوم والتجارة والسباحة برّاً وبحراً ﴾

(وفيها سبعة فصول)

الفصل الاول

في

(الاهتمام بنشر العلوم)

كان اهتمام العرب بنشر العلوم وتعليم الأمة وتربيتها فوق الوصف فكانوا يقومون بالاحداث ويعودونهم على الأفعال المرضية والأخلاق الحميدة بطرق تميل اليها نفوسهم وتألفها طباعهم وكانوا لا يستعملون وسائل الشدة المؤدية الى التربية الا اذا دعت الضرورة الى ذلك مثل الضرب والتوبيخ لان استعملها من أول الأمر يولد في نفوسهم الجبن ويقلل من الرغبة في التعليم ويزيد في البلادة

كانوا يقابلون كل من يؤدبونه من الاحداث بماشا كله من التأديب ويميل اليه طبعه فقال ابن مسكويه ان أخلاق الأطفال تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يسترونها بروية ولا فكر كما يفعل الرجل التام الذي انتهى في نشئه وكاله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقيم منه فيجتنبه بضر وبمن الخيل والأفعال المضادة لما في طبعه وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب أو نفورهم عنه أو ما ينظرون في بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والخل والرحمة والقسوة والحسد وضده ومن الأحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول الأخلاق الفاضلة وتعلم معانهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم المتواني والممتنع والسهل والسلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطون بين هذه الأطراف في مراتب لا تحصى كثرة واذا أهملت الطبائع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها

في الطفولية وتبع ما وافقه في الطبع اهـ

كانت طرق التعليم إجبارية لا تفضيل عندهم في ذلك بل الغنى والفقير متساويين فيه وقد أنشأوا لهذا الغرض المدارس العديدة في كافة أقطار المعمورة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى انتشر في مدتهم العلم بدرجة لا مثيل لها الآن في بلاد المشرق فقد ذكر جيون في كتابه عن حماية المسامين للعلم في المشرق والغرب ان ولاية الأقاليم والوزراء كانوا يقلدون الخلفاء في انشاء المدارس واعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الانفاق عن سعة على تشييد دور العلم ومساعدة الفقراء على طلبه فنتج من ذلك ان حب العلم ووجدان اللذة في تحصيله انعرسا في نفوس الأمم المحكومة بهم والمجاورة لهم

كان سخاؤهم وكرم نفوسهم الباعثان لهم على حب الانفاق فقد أنفق نظام الملك مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تنفق عليها في شؤونها كل سنة وقد كان في قرطبة وحدها ثمانون مدرسة كبرى في مدة الحكم بن عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة ٣٩٦ وفي القاهرة وحدها عشرين مدرسة كبرى أيضا وقس على ذلك بقية الأقطار وقد أنشأوا دورا للطباعة وقت الفراغ وخزائن للكتب تابعة للأمة بجوار المدارس للانتفاع بها وزيادة في نشر العلم

الفصل الثاني

في

(خزانة الكتب)

ان الكتب المصنفة في الملة الاسلامية أكثر من أن تحصى وأجل من أن تحصر فانه لم يصنف مثلها في ملة من الملل ولا قامت بنظيرها أمة من الأمم وقد تستنت أغلب كتبها فألقت التاركتب العرب التي كانت موجودة في بغداد بنهر الفرات عندما افتتحوها وجعلوها جسرا يمرون عليه

أما في اسبانيا فان الكردينال كسيمنس أصدر أمره في سنة ١٥١١ ميلاديه باحراق كتب العرب الموجودة ببلاد اسبانيا وأبادتها عن آخرها فأحرق في ساحة غرناطة كمية

من الكتب العربية فتم ذلك في نصف قرن بغيره عمية ولولا بقاء تلك المترجمات الى العربية واللاتينية لقضى على الحضارة العربية بجملة التي امتدت ونقها على اسبانيا مدة ثمانية قرون فن خزائن الكتب المشهورة التي حوت كثير من كتب العلوم وكان ينفق عليها بسخاء وكرم حاتمى بخلاف خزائن الأهالي خزائن الأمراء

فأولها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد وكان فيها من الكتب ما لا يحصى الى ان دخلت التتار بغداد وشتموها

الثانية - خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من أعظم الخزائن وأكبرها جمعت من الكتب النفيسة ما لا يحصى عدده ولم نزل الى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم فاشترى القاضي الفاضل عبد الرحمن بن علي اليبساني في سنة ٥٠٨ هـ أكثر هذه الكتب ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة وذكر المقرئ في خطه انه بلغ عدد المجلدات في هذه المكتبة مائة ألف مجلد وانه كان بها مصحف بالخط الكوفي قيل انه مصحف عثمان ابن عفان رضى الله عنه بلغ ثمنه ٣٠ ألف دينار و بقيت هذه الكتب الى ان مات صاحبها ثم استولت عليها الأيدي ولم يبق منها إلا القليل

الثالثة - خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس وكانت من أجل خزائن الكتب أيضا ولم نزل الى انقراض دولتهم واستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس فذهبت كلها كل مذهب وكان بها من المجلدات نحو السبع مائة ألف مجلد وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلدا وقد ثبت انه كان ببلاد الأندلس وحدثها سبعون مكتبة عمومية مفتوحة للطلاع

أما ضخامة تآليف العرب فما لا يحصره الانسان وناهيك بكتاب قيد الأوابد للإمام البنجديهي المتوفى سنة ٥٥٩ بخراسان فانه بلغ ٤٠٠ مجلدا وكذلك كتاب العالم لأحمد بن أبان فانه بلغ المائة جزء والأغرب من هذا كله كتاب فلك الأدب الذي تعاقب على تأليفه من علماء الأندلسيين ٦ في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥

فان شئت أن تعرف مؤلفات العرب وأنواعها وأسماء مؤلفيها راجع كتاب كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون وفهرس كتبخانات المانيا وانجلترا وفرنسا واسبانيا والاسنانية العلمية وكتبخانة الأموى بدمشق وان أردت أن تعرف أسماء الذين ألفوا خمسين كتابا فانه أكثر راجع كتاب جميل بك العظم محاسبى معارف ولاية بيروت المطبوع بها فماذا كرهنا يظهر اهتمام العرب بالعلوم في الصدر الأول والثناني من الاسلام وانه

مسألة أخرى لا تقل أهمية عن العلوم وهي حب السياحة التي ألفوها وتعودوا عليها
لنشر تجارتهم وكان لهم فيها القدر المعلى

الفصل الثالث

في

(السياحة برا)

كان الباعث الاول للعرب على حسب السياحة استطلاع أخبار الامم ومعرفة عوائدهم
وأخلاقهم ونشر تجارتهم وتغنيها وبث روح الدين الاسلامي وتعاليمه بين الامم الاوربية مع
عوامل التمدن في اطراف البلاد وكنافها

فانتشار الرحالات المسلمين في مشارق الارض ومغاربها واضحة بيينة بانتشار الدين
الاسلامي بين الامم المختلفة الاجناس ونخص منها الصين وماليزيا والسودان فقد ذكر أبو
الفدا المؤرخ الشهير ٦٠ من اشهر الرحالات أصحاب التأليف في الاسفار وكلهم من أهل
العصور السابقة على عصره

فن كبار الرحالات ابن بطوطة الذي ساح البلاد وسافر من طنجة الى أفريقيا الشمالية
فرارها ثم رحل من مصر الى فلسطين ثم مكة ومنها الى القسطنطينية وروسيا ثم توجه الى
الهند عن طريق تركستان ونزل في دلهي فحمله سلطان تلك المملكة مهمة الى امبراطور
الصين ورحل الى بكين بعد ان زار سيلان وصومطره وجاوه ثم السودان وتومبوكتو
واسبانيا

ومنهم أيضاً أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي الموصلي ذكر فيها بطريق الاختصار
انه زار مدينة حلب وأعمالها ثم الشام بأسرها وبلاد افريقية وفلسطين والارض المقدسة
بأجمعها وديار مصر بأسرها وسمع من أهل تونة بحيرة تيمس بحجة دمياط ببصرة المنزلة ان
بها مشهد النبي صلى الله عليه وسلم ومشهد العلي بن أبي طالب رضي الله عنه وبلاد سمعته بها
أيضاً قرب موسى بن شعيب ثم زار بلاد المغرب وجزائر بلاد الروم وجزيرة ابن عمر وديار
بكر والعراق بأسرها وأطراف الهند وبلاد اليمن وبلاد العجم ثم القسطنطينية ودخلها في

عهد ملكها سطنطين وقال عنها انها مدينة عظيمة وهى أكبر من اسمها ودعا الله أن يجعلها دار مسامحة ومقر خلافتهم فاستجاب الله دعاؤه وتم فتحها بعد موته بزمان على يد السلطان محمد الفاتح سلطان آل عثمان وهى الآن مقرا للخلافة الاسلامية (ودعاؤه مذكور برحلته الخطية الغير مطبوعة)

وقد ذكر الاستاذ جورجيا كوبان رحالة مسامحة يعرف بالعنبرى رحل من قرطبة الى البلاد الواقعة على بحر بلطيق ولما وصل الى ميانس في وسط المانيا التقي برحالة مسلم آخر وافدمن بغداد عن طريق روسيا وفى أنباء ذلك الرحلة الاندلسى ما يثبت ان أوروبا كانت اذ ذاك فى هوة انحطاط لاقرار لها هذه القارة المتقدمة الآن

وصل العرب فى سياحتهم البرية الى الاقطار الاوروبية الشمالية وامتدت تجارتهم الى السويد والدانمارك وروسيا فقد وجدت كنوز عديدة من النقود الاسلامية فى كثير من من الاقطار الاوروبية الشمالية فأحصى الاستاذ تورنبرج سنة ١٧٥٧ المحلات التى أخرجت منها النقود العربية فى بلاد السويد وحدها فبلغ عددها ١٦٩ محلا وأحصى الدكتور هانس هليدبراند سنة ١٨٧٣ قطع النقود الفضية العربية التى عثر عليها فى جزيرة جوتلاندة وحدها على صغرها فأربى ما أحصاه على ١٣ ألف قطعة

فكما كثرت أسفار المسلمين فى البر كثرت فى البحر وكان لهم من الدونبات العظيمة فى البحار ما ساعدهم على انتشار التجارة واستكشاف الجزائر

الفصل الرابع

في

(السياحة بحرا)

كان للعرب سفن عظيمة بحرية كما كان لهم مراكب تجارية تمخر فى البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي وفى الاقيانوس الاطلانطيق المسمى فى كتبهم ببحر الظلمات والمهادى فكانت ملاحتهم تضرب من جزائر اليابان شرقا الى بلاد الكاب غربا وتسمى عندهم برأس الرجاء الصالح فأقوى برهان على استمرار تنقلاتهم فى تلك الانحاء كثرة عدد

الذين اعتنقوا الاسلام من جزائر الفلبين التابعة لامريكا الآن وجزائر الهند الصينية وجزيرة
مداغشقر وماحولها وهم الذين أطلقوا على بلاد الكافر هذا الاسم وقد سبقوا الاور وباوين
الى طواف محيط أفريقيا بحرا ووصلوا الى جزائر في المحيط الاطلسي ينطبق
وصفها على أرلند او على تيرنيف أي الارض الجديدة بأمر يكافؤتزامت بهم الاسفار في
البحر كما تزامت بهم في البر بدليل وجود نقود اسلامية في جهة ميودال من أعمال ميرار من
جزيرة اسلانده وفي جزيرة وينلانده على مقربة من القطب الشمالي

سبق ملاحوا العرب جميع ملاحى القرن الخامس عشر بنحو أربع مائة سنة في
اكتشاف العمور من البلاد والجزائر مع قصر مدتهم ووضعوا أول علم للهدى لمن يأتي
بعدهم فكان الحظ والفخر لسكر ستوف كولومبو ولم يكن لواحد من أبنائهم. فهم الذين
سافروا من أشبونه ببلاد الاندلس على نية السياحة واكتشاف أرض جديدة جزموا
بوجودها فيمحاء المحيط الاعظم ووقفهم على آثار اطلانطيد القديمة فاكتشفوا في طريقهم
أرخبيلين في المحيط الاطلسي وهما أرخبيل أسورة وأرخبيل ماديره وقد روى الاستاذ
ايليزير يريكوس أكبر جغرافى انه اجتمع للمسلمين في جزائر الفلبين مائة ألف بحار في زمن
واحد اشتهروا بالشجاعة والمهارة فيما يختص بالفنون البحرية

الفصل الخامس

في

❖ فضائل السياحة ❖

للسياحة فضائل عديدة لا تحصى منها انها تسهل اتحاد مسلمى الارض وتؤلف بين
مختلف الاجناس وتزيد الاعتقاد فكما سار الانسان ونظر الارض وما عليها من محاسن
الطبيعة وتأمل في دقيق صنع البارى ازدا يقينه واعلم أن الله حق لا يتغير واحدا لا يتعدد
أبدى لا يزول ومنها تنمية مواهب الشخص من الوجهة الاديب والعقلية والمادية فقد ذكر
الله تعالى في كتابه العزيز قل سيرا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المتقين فأمر الله
بالسير حتى لا يقع بالامه الكسل فتقطع أخبارها عن غيرها ويحل بها الفقر وتضرب في

مواطنها المذلة والمسكنة

فسياح الساميين في العصور الماضية هم خلاف سواح هذا العصر من أبنائه فالسائح في الزمن الاول كان يخرج لاكتساب الدرهم والدينار ونشر الفضيلة والآداب ودرس الاخلاق والعوائد وتدوين الرحلات العلمية وإثبات ما يشاهده في أثناء سيره كما هو شأن الوافدين على بلادنا الآن من سياح أور وبافانه لا يمر علمنا شهر أو سنة الا ويزى كل يوم رحلة جديدة عن الشرق لاحد رجال الغرب سواء كان انجليزيا أو فرنساويا أو ألمانيا أما أغلب سواح عصرنا من الساميين فانهم يخرجون من بلادهم للاسترسال وراء المذات والشهوات البهيمية التي هي خادعة العقول وغادرة الالباب ومحسنة القبايح ومسولة الفضائح وليس عطب الا وهي له سبب

فسواح الشرق يعودون الى بلادهم حاملين لذل المعصية والعار مع احتقار أهل تلك البلاد لهم بدل تعظيمهم كما كانت تفعل أور وبافي العصور الماضية عندما يفد الى أوطانهم تاجرا أو سائحا عريا فقد روى ابن فضلان ان بلغار روسيا كانوا يكرمون وفادة التجار الساميين عليهم الى حد أنهم كانوا عند استقبالهم ينثرون الدراهم تحت أقدامهم إشارة الى التأهيل والترحيب بهم ويتهجون بقدمهم ابتهاجا عظيما

الفصل السادس

في

(التجارة)

عالج سياح المسلمين التجارة فكان لتجارهم شأن عظيم في أقطار أور وبا الصقلية الشمالية حركة شديدة وكان للتجار بها تأثير عظيم أعرب عن دخول كثير من أهل تلك البلاد الى الدين الاسلامي ودليل ذلك انهم وجدوا نقودا بلغارية وألمانية ونورماندية وانكليزية سكسونية موشاة بخطوط كوفية جميلة في تلك الجهات

فاذا تتبعنا أحوال متقدمي الاسلام ومشاهير أمراءه والحكام لم نجد أحدا منهم الا وله حرفة يتقوت منها أو صنعة لا يستغنى في معيشته عنها عامية كانت أو عملية سواء في ذلك

(٨)

الكبير والصغير والمأمور والامير فأصحاب العلوم توضح الطرائق وتزيل العوائق وأرباب العمل يتبعون مرسومه وينوّه ويعملون على مقتضى ما استحسّونه فقد حث القرآن الشريف على العمل والسعي في طلب الرزق حتى كاد يعده فرضاً خصوصاً وقد مدح التجارة والصناعة والسياحة فلم يبق عند العرب أو هام بالنسبة لأصناف الصنعة وشرفها فلم يكن أحد منهم يرى أنه أشرف من غيره ولهذا قروى وذلك مدني ولهذا فقير أو ذاك غني بل كانوا جميعاً لا يرون الفضل الا لمن اتبع سبيل الرشاد

فالصنائع كانت تشرف بهم لأنهم يشرفون بها بخلاف تجارنا الآن فان شرف الرجل عندهم بقدر شرف صنعة فلذلك كانت رجال الدول الاسلامية وقادة الجيوش ورؤساء الاحكام لا يبالون بأسماء صنائعهم حيث يتيسر لهم بها في الدنيا أمر معاشهم كالخياطة والعطارة والجوهرية فكان أبو بكر رضى الله عنه بزازا وعمر رضى الله عنه وعثمان تجارا وكان عليا رضى الله عنه لصغر سنة ساعيا في خدمة ابن عمه صلى الله عليه وسلم

فعلى مقتضى الشريعة المحمدية يلزم كل انسان أميرا كان أو أمورا ان يفتات من عمل يده وهكذا كان كثير من الخلفاء والصالحين والعلماء العاملين فلولاً دين الاسلام وعلماء العرب لضاعت العلوم القديمة بأسرها اذ ليس في أحكام الديانة ما يمنع من التقدم في أى علم من العلوم النافعة ديناً ودنياً بل أن كتاب الله وأحاديث أنبيائه وسائر رسله أمره بذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم يبحث على البكور في طلب الرزق وغيره من حوائج الدنيا ويقول اللهم بارك لأمي في بكورها وقال الشافعي رضى الله عنه أحرص على ما ينفعك ودع كلام الناس وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير فالتجارة هي كما قاله ابن خلدون في مقدمته هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلا أياما كانت السلع من زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحاً فالمحاولة لذلك الربح اماناً يحتزن السلعة ويتحين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلا فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالى . . . كانت العرب تتجرف في زمن الجاهلية مع الهند والصين والفنقيين عن طريق الحجاز براً بواسطة القوافل ونجحت هذه التجارة تجاراً عظيماً جداً أيام سليمان عليه السلام حتى شاع بمعرفة التجار المنتقلين خبر سليمان ومجده وحكمته وكان من أهم مواد التجارة عند العرب الاحجار الثمينة التي كانت في بعض جبال تلك الجزيرة واللؤلؤ الذي يستخرج من خليج عمان والطيب والبخور المأخوذ من الاعشاب الطبيعية

عندهم كالعود القافلي وغيره كالاشياء المفيدة مثل القرفة والحناء والمنسوجات الحريرية والمرجان والعقيق والمعادن النافعة كالذهب والفضة ومنسوجات القطن والصوف والكتان وقد وصلت الحياة الى درجة عالية في زمانهم وكان لهم أسواق تقام في أيام المواسم يعرضون فيها تجارهم ومصنوعاتهم للمعارض التي تقام في أوروبا الآن وكانت تجتمع الامم من كافة الاقطار فيها

الفصل السابع

في

(أسواق العرب وحرب الفجار)

أسواق العرب في الجاهلية كثيرة أشهرها سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز وسوق دومة الجندل ولكن سوق عكاظ هو المميز بين الاسواق بالسباق في الشعر وغيره وكان فيها سوق أسبوعية تقوم يوم الاحد للبيع والشراء وسوق سنوية تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون الاشعار ويذكرون ما لعشائهم من المجد والفخر وكان من فوائدها ان العرب يتعارفون فيها ويتحابون ومن له أسير سعى في فدائه فن له حكومة ارتفع الى الذي يقوم بأمر الحكومة وكانت فرسان العرب اذا كانت أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا يتقنعون حتى لا يعرفوا وان كانت هذه السوق تؤذن بالتعامل والاخذ والعطاء الا أنها كانت في الحقيقة ونفس الامر محالا لاجتماع فحول الشعراء والفصحاء والبلغاء من أهل العربية لابتداء نتائج أفكارهم وأظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم فيها يؤخذانه كان للعرب جمعيات علمية احتفالية في أسواق دروية ذات ميادين شعرية

فلم يكن محفل عكاظ معدن المفاخر التليدة والطارفة ولم يكن وحده في جزيرة العرب بل كانت أسواق اليمن أيضا مركز المفاخرة الظاهرية والمنافع العمومية والزينة والزخرفة فكانت بضاعتها هي النافقة وكان سوق عكاظ الذي هو مجمع المفاخرة بين العرب بما قد تسبب عنه فتن وحروب كما وقع ذلك في الفجار الأول والفجار الثاني والفجار الثالث والرابع إذ سبب حرب الفجار الأول أن بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه

في سوق عكاظ ويفتخر على الناس فيسقط يومارجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني
فليقطعه بالسيف فوثب عليه رجل من أشراف العرب فضربه بالسيف على ركبته فأدماها
فاقتتلوا قتلا شديدا

وسبب الفجار الثاني ان امرأته من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب
من قريش من بني كنانة وسألها أن تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد
ذيها بشوكة فاما قامت وانحسر ذيلها من خلفها ضحك الناس عليها وقيل لها قد بخلت بكشف
وجهك فبان غيره فنادت يا آل عامر فساروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فخاؤا
بالسيوف والرماح فحصل الحرب بينهما بسبب ذلك ومن هذا يفهم ان النساء في الجاهلية كن
يأبين كشف وجوههن وليس كذلك اللهم إلا أن يكون هذا الحجاب كان موجودا في
أشرافهن خصوصا في الجمعيات الاحتفالية

وتم الفجار الثالث وسببه انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فاطله
ذلك الرجل فجرت بينهما خصامة شديدة فتحمل عبد الله بن جدعان ذلك الدين ودفعه من
ماله وكان ذلك سببا لانقضاء هذا الحرب

وتم الفجار الرابع وهو الذي شهده النبي صلى الله عليه وسلم وسببه ان عروة الرّحّال
بتشديد الحياء المهملة وكان من قيس هو اذن أجار العير من النعمان بن المنذر
فمن هذا كله يعلم ان سوق عكاظ كان مجمعا لمفاخر العرب حربا وسامحا حسنة وسماحة وانه
كان يحمل نفوس العرب الأبية على كسب المجد والشرف



المقالة الرابعة

﴿ في ان العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم ﴾

(وفيها ثمانية فصول)

الفصل الاول

في

(عوائد العرب التي أقرها الاسلام وحلف الفضول)

العرب أفضل الأمم وحكمتهم أشرف الحكم وصفاتهم أحسن الصفات وعاداتهم من أجل العادات فكان لهم من الفضائل وآداب النفوس ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ما يميزهم على غيرهم من الأمم

كان لهم قبل الاسلام عوائد وآداب وأخلاق وأحكام وقوانين وصلت الى عصره فنها ما أقرها وأبقاها فزادها رونا على رونق وبهاء على بهاء وجمالا على جمال

فهم أول من حرّم الخمر في الجاهلية فقد حرّمها الوليد بن المغيرة وقيل قيس بن عاصم ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من حرّم القمار في الجاهلية الأقرع بن حابس التميمي ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من رجم في الزنا في الجاهلية ربيع خوان ثم جاء الاسلام فقرره في الحصن وأول من حكم ان الولد للفراش في الجاهلية أكثم بن صيفي حكيم العرب ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من قطع اليد في السرقة في الجاهلية المغيرة ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه أنذر إن ولده عشرة ذكور لينبحن العاشر فولد له عشرة وكان عاشرهم عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فرام ذبحه فعارضه قريش في أمره وأشير عليه بان يقرع بينه وبين الابل حتى تخرج القرعة على الابل فأقرع بينه وبين عشرة فخرجت القرعة عليه ثم زاد عشرة بعد عشرة

وهي تقع عليه حتى بلغ المائة في الابل فوقعت القرعة عليها ففقرها فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا بنو الذبيحين يعني اسماعيل وعبد الله ثم جاء الاسلام بتقريرها وأول من أوقد النار بالمزدلفة حتى براها بالموقف قصي بن كلاب وأول من أهدي البدن الى البيت الياس بن مضر وأول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة قس بن ساعدة وأول من خضب بالوسمة من قريش عبد المطلب وأول من نسأ النسيء وسبب السواائب وجعل الوصيلة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة وقد حرموه انكاح الأمهات والجمع بين الأخنتين وكانوا يعيبون من يتزوج امرأة أبيه ويسمونه الضيزن وكانوا يحجون البيت الحرام بمكة ويعتقرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويرمون الجار ويقفون مواقف الحج كلها وكانوا أيضا يغتسلون من الجنباء ويدامون على المضضعة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظافر وتنق الابط وحلق العانة والختان وكانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الصالح والاسم الحسن فقد جاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة نزل على رجل يقال له كلثوم فدعا بعلامين له يبايشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لأبي ايشرف فقد ساءت لنا البلد وكان كما قال صلى الله عليه وسلم

ولهم غير ذلك من العوائد حلف الفضول فقد جاء عنه في كتاب خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والاسلام انه كان للعرب عقود وعهود يخلفون فيها حلفاء مؤكدا على أن لا يتخاذلوا وكانت هذه المحالفات بين القبائل لحفظ نواويسهم ويعضد بعضهم بعضا والمتحالفون يسمون عند العرب بالأحلاف فمن ذلك ان بنى عبد مناف لما أرادت أخذ ما في أيدي بنى عبد الدار من الحجابة والسقاية وأبت عبد الدار ذلك عقد كل قوم على أمرهم حلفاء مؤكدا على أن لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعتها لآحلافهم وهم أسد وزهرة وتيم عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاقد بنو عبد الدار وحلفاءهم وحلفوا حلفا آخر مؤكدا وكانت آحلافهم قبائل عبد الدار وكعب وجمع وسهل ومخزوم وعدى وكان مثل هذه المحالفات للتناصر بينهم فقط لالمصلحة العمومية في منصرف قريش من حرب الفجار في ذى القعدة بعد انقضاء سوق عكاظ أسس حلف الفضول وهو أشرف حلف عند العرب وأحق بالفخر مما عداه وكان هذا الحلف لشرف موضوعه وجل الغرض المطلوب منه يكاد أن يكون أساسا لسياسة وطنية وتمهيدا لحوال المدينة وأول من دعا الى هذا الحلف في شهر ذى القعدة بعد الفجار الرابع الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

شقيق أبيه فاجتمع اليه بنوه هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى في دار عبد الله بن جدعان
التميمي المتقدم ذكره وكان بنو تميم في حياته كأهل بيت واحد بقوتهم وكان عبد الله بن
جدعان ذا شرف وسن وتحالفوا على أن يردوا الفضول إلى أهلها أي على أن يردوا الحقوق
التي أخذت ظالما إلى أربابها ولا يعز ظالم على مظلوم وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد شهده وقال صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي بحلف حضرته بدار بن جدعان
جر النعم وأنى أغدر به أى لا أحب الغدر وأن أعطيت جر النعم في ذلك وفي رواية لقد
شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف ما أحب أن لي به جر النعم ولودعني به في الاسلام
لأجبت أى لو نادى مظلوم يا آل حلف الفضول لأجبت به ونصرته لان الاسلام يقرر رفع
الظالم وسببه أن قريشا كانت تنظالم في الحرم وكان قبل ذلك قد تحالف قوم من جرهم أن
لا يروا ظالما بطن مكة إلا غيروه ودفعوه وكان قد بادأ أهل ذلك الحلف وتنوسى أمره وصار
يقع الظلم في الحرم بدون مدافع فاتفق أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص
ابن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى
بالاحلاف عبد الدار ومخزوم وجمع وسهم وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص
وانتهروا الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر رقى على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس
وقرئ في أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ولا حرام لوئب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان واجتمع إليهما من تقدم من
الناس قيل كان معهم العباس وأبوسفيان وتعاهدوا وتعاقدا ليكون يداؤا حبة مع المظلوم
على الظالم حتى يؤدى حقه شريفا أو وضعائهم مشوا إلى العاص بن وائل فأنزعوامنه سلعة
الزبيدى فدفعوها إليه وصاروا دائما يأخذون من الظالم للمظلوم حقه على وفق حلف
الفضول الذى كان أشرف حلف في الجاهلية كما سبق وقد بقي مثل ذلك معمولا به في الاسلام
من اجتماع جمعية من الناس تنصر المظلوم على ظالمه وتأخذ حقه منه بقضايا عرفية يدعن إليها
المختصمان وهذا الحلف وأمثاله من العوائد العربية الشريفة يدل على ما كان لهم من الميل
للحق والمروءة التامة والبعد عن خسائس الامور واغتيال الحقوق كما تشهد بذلك أخبارهم
وتنطق به أشعارهم

الفصل الثانى

في

(صفات العرب)

ان صفات العرب كثيرة منها الشهامة والنجدة وحفظ العهود والمحافظة على الاعراض
والمدافعة عن الجار ولو جارا والسخاء والكرم والضيافة للقرىب والغريب وعزة النفس
وإباء الضيم والولوع بالشعار والحكم والامثال والحلم والاخذ بالثأر والفصاحة والمحافظة
على الشرف والصدق في القول فما يدل على ما كان لهم من العزة والشرف والشجاعة
قول عنزة من والفخر الجاس

إذا بلغ القطام لنا وليد تخبر له أعادينا سجدوا
فن يقصد بداهية إلينا يجد منا جبابرة أسودا
ويوم البذل نعطي ما ملكتنا ونملأ الارض احسانا وجودا

فن أحسن ما مدحوا به وأجمع لصفاتهم قول النعمان بن المنذر لكسرى أنوشروان
حين قدمت عليه الوفود وأخذ كل منهم يد كرفخرا أمته (قال النعمان) أصالح الله الملك حق
لأمة الملك منها أن يسمعو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها إلا أن غندي جوابا في كل ما نطق
به الملك من غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمتي من غضبه نطقت به قال كسرى قل
فأنت آمن

قال النعمان - أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من
عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحه عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك
وولايتك وأما الأمم التي ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها قال كسرى بماذا - قال
النعمان - بعزها ومنعتها وحسن وجوها وأسمائها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها
وأفئتها وفائها فأما عزها ومنعتها فاتها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دؤخوا البلاد ووطدوا
الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض
وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر إذ غيرها من الأمم انما عزها الحجارة
والطين وجزائر البحور وأما حسن وجوها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم

من الهند المنحرفة والصين المنحقة والترك المشوهة والروم المقشرة وأما أنسابها وحسابها
فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى أن أحدهم ليسأل
عمن وراء أبيه نسباً فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحدهم من العرب إلا يسمى آباءه بأبافاً وأحاطوا
بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه
ولا يدعى إلى غير أبيه وأما سخاؤهم فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة عليه بلاغة
في حمله وشبعه وريه في طرقه الطارق الذي يكتفي بالفائدة ويحتزى بالشر به فيعقر هاله
ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوته وطيب الذكر

وأما حكمه السننهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه وزنه
وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضرهم للامثال وبلاغهم في الصفات ما ليس لشي من السنين
الاجناس الأخرى ثم إن خيلهم أفضل الخيل ونسائهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس
ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم الابل التي لا يبلغ مثلها على سفن
ولا يقطع مثلها بلد قفر

وأما دينها وشريعتها فانهم متسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً
حرماً وباداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم وينحجون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل
قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وادراك رغبته منه فيحجزه كرمه ويمنع دينه عن
تناوله بأذى

وأما وفاءها فإن أحدهم رفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يقلق رهنه ولا
تحقر ذمته وإن أحدهم لم يبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً فيصاب فلا يرضى
حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره وأنه ليلجأ اليهم المجرم
المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله
وأما قولك أيها الملك يدون أولادهم فأنما يفعل من يفعله منهم بالاناث أنفقه من العار
وغيره من الأزواج

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فإثر كوامادونها الاحتقار
فعمدوا إلى أجلاها وأفضلها فكانت مراكهم وطعامهم مع أنها أكثر البهاائم شعوماً وأطيبها
لحوماً وأرقها ألباناً وأقلها غائلة وأحسلاها مضغة وأنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحماها
الاستئبان فضلها عليه

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً وثر كهم إلا نفياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فأنما يفعل

ذلك من يفعله من الأمم إذا آنتست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف
وانه انما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون
اليهم أمورهم وينقادون اليهم بأزماتهم
وأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفقتهم من
أداء الخراج والوظف بالعسف
وأما اليمن التي وصفها الملك فلما أتى جد الملك اليها الذي أناه عند غلبة الجيش له على ملك
متسق وأمر مجتمع مسلو باطريدا مستصر خاقد تقاصر عن ايوائه وصغر في عينه ماشيد من
بنائه ولا ماوتر به من يليمه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار
من غلبة العبيد الاشرار
فعجب كسرى من كلامه وقال انك لأهل لموضعك من الرئاسة في أهل اقليمك ولما هو
أفضل - ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة اه
ومثل ذلك كثير فنقرأ كلام الوفود العشرة الذين وفدت على كسرى وكلام
الوفود الذين وفدوا على سيف ابن ذى يزن علم أن العرب كلما قاربوا البعثة كلما تذهب
لسانهم وكما فصاحتهم

الفصل الثالث

في

أن السخاء والكرم من شيم العرب

ان السخاء والكرم سجتان من سجايا العرب في الجاهلية والاسلام يمتازون بهما عن
غيرهم ويبرون من يودهم لالفخر أو شهرة واذا عتيت بل لدفع مضرة واغاثة ملهوف
واكرام ضيف

فالسخاء اسم واقع على كل معنى من أنواع الفضل ولفظ جامع لمعاني السباحة والبال
فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر وشية تعزى الى مكارم الاخلاق وسجية
يضاف الى محاسن الطبايع والاعراق واقعة تحت اسم السخاء ومنه يتولد الكرم

قال ابن مسكويه أما السخاء فهو وسط بين رذيلتين احدهما السرف والتبذير والاخرى
البخل والتقتير أما التبذير فهو بذل لا ينبغي لمن لا يستحق وأما التقتير فهو منع ما ينبغي
عمن يستحق

فحد السخاء كما ذكره الماوردي هو بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وأن يوصل الى
مستحقه بقدر الطاقة وتدير ذلك مستصعب ولعل بعض من يحب أن ينسب الى الكرم
ينكر حد السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وأن الجود بذل الموجود وهذا
تكليف يقضى الى الجهل بمحدود الفضائل ولو كان الجود بذل الموجود لما كان للسرف
موضعا ولا للتبذير موقعا وقد ورد الكتاب بذكرهما وجاءت السنة بالنهي عنهما واذا
كان السخاء محدودا فن وقف على حده سمي كريما وكان للحمد مستحقا ومن قصر عنه
كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوون ما بخلوا به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء

والبر نوعان صلة ومعروف فأما الصلة فهي التبرع ببذل المال من الجهات المحودة لغير
عوض مطلوب وهذا يبعث على سماحة النفس وسخاؤها ويمنع منها شحها وابطؤها قال الله
تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون قالت الحكماء الجود حارس الاعراض
جود الرجل يحبيه الى أصداده وبخله يبغضه الى أولاده - خير الأموال ما استرق حرًا وخير
الاعمال ما استحق شكرا

وقد يحدث عن البخل من الأخلاق المدمومة وان كان ذريعة الى كل مذمة أربعة أخلاق
وهي الحرص والشرة وسوء الظن ومنع الحقوق

أما المعروف ويتنوع الى نوعين قولاً وعملاً أما القول فهو طيب الكلام وحسن
البشر والتودد بجميل القول وهذا يبعث على حسن الخلق ورقة الطبع ويجب أن
يكون محدودا كالسخاء فانه اذا أسرف فيه كان متعلقا مذموما وان توسط واقتصاد فيه كان
معروفا قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط
الوجوه وحسن الخلق

وأما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة في النائبة وليس له حد ويبعث
على حب الخير وايشار الصلاح

قال ابن مسكويه ان الفضائل التي تحت السخاء هي الكرم والايثار والنبيل

والمواساة والسماحة والمساحة . - أما الكرم فهو اتفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي . وأما الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبدل لمن يستحقه . وأما النبيل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة . وأما المواساة فهي معاونة الاصدقاء والمستحقين أو مشاركتهم في الأموال والأفوات . وأما السماحة فهي بذل ما لا يجب . وأما المساحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار .

ومما يدل على مزيد سخاء العرب انه كان لهم نار تسمى نار القرى وهي نار الضيافة توقد لاستدلال الاضياف بها على المنزل وكانوا يوقدون بها على الاماكن المرتفعة لتكون أشهر وربما أوقدوها بالعود ونحوه مما يتبخر به ليهتدى اليها العميان وهذه النار عندهم أجل سائر نيرانهم .

فمن اشتهر بالجود عندهم والسخاء وضرب بهم المثل في الكرم من عرب الجاهلية والاسلام حاتم الطائي وكعب بن أمية الايدى وهرم بن سنان وعبدالله بن حبيب العنبري وعبدالله بن جدعان القيمي وعبدالله بن عباس بن عبدالمطلب وحزرة بن عبدالله بن الزبير العوام وعمر بن عبدالله بن معمر القيمي وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري وعبدالله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالم بن قحطان القائل

لا تعدلني في العطاء ويسرى لكل بغير جاء طالبه جبلا
فاني لا تبسكى عليّ اقلها اذا شبع من روض أوطانها بقل
فلم أر مثلاً الا بل مالم لقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

وخبر هذه الابيات أن سالم بن قحطان أتاه أخواصره فاعطاه بغيرا من ابله وقال لا امرأته هاتي جبلا يقرن به ما أعطيناه الى بغيره ثم أعطاه بغيرا آخر وقال هاتي جبلا ثالثا فقالت ما بقي عندي جبل فقال عليّ الجمال وعليك الجبال فرمت اليه بخمارها وقالت اجعله جبلا لبعضها فأنشأ يقول لا تعدلني الابيات فأجابته امرأته

حلفت يميني يا ابن قحطان بالذي تكفل بالارزاق في السهل والجبل
تزال جبلا محصداً أعدها لها مامشي منها على خفه جبل
فاعط ولا تبخل لمن جاء طالبا فعندي له خطم وقد زاح العلل
وعمر بن الأهتم حيث يقول

ذريني فان الشح يأثم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق

ذريني وحظي في هواي واني على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ذريني فاني ذو فعال تهمني نوائب يغشي رزئها وحقوق
وكل كريم يتقى الدم بالقرى وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
عقبة بنت عفيف

وهي ام حاتم الطائي وكانت أجود أهل زمانها من النساء فنعها اخوتها عن العطاء
وحبسوها في بيت سنة يطعمونها رجا أن تكف عن عاداتها ثم أخرجوها بعد مضي السنة
وظنوا أنها قد اقتصرت ودفعوا اليها صرمة فأتتها امرأة من هوزان فسألها فأعطتها
الصرمة وقالت لقد عضي من الجوع ما آليت معه أن لا أمتع سائل شيئا وقالت
لعمري لقدما عضي الجوع عضة فأليت أن لا أمتع الدهر جائعا
فقولاهذا اللائمى الآن اعفى فان أنت لم تفعل فعوض الاصابعا
ولا ماترون الدهر الا طبيعة فكيف بتركي يا ابن أمي الطبايعا

أعطى رجل امرأته سألته ما لأعظيا فلاموه وقالوا انها لا تعرفك وانما كان يرضيها
اليسير فقال ان كانت ترضى باليسير فأني لأرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا
أعرف نفسي

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
أرى نفسي تتوق الى أمور ويقصر دون مبلغ من حال
فنفسى لا تطاوعني بخل ومالى ليس يبلغه فعلى
وقال أيضا

ولا أقول نعم يوما فأتبعها منعنا ولو ذهبت بالمال والولد
ولا أئقنت على سر فبحت به ولا مددت الى غير الجميل يدي

بلغ ابن المقفع ان جار الهيبيع داره لدين ركبته وكان يجلس في ظل داره فقال ما بقيت أنا
بحرمة ظل داره ان باعها معد ما وبت واجدا فحمل اليه ما لا وقال لا تبع

قال رجل من بني عامر ابن صعصعة لعتبة بن أبي سفيان والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير
من أن تسيؤا وقد أحسننا فان كان الاحسان منكم فأحقكم باتمامه وإن كان منافا فأحقكم

مكافأنا عليه وأنا رجل يلقاكم بالعمومه ويختص اليكم بالخولة وقد كثر عياله وقبل ماله
وطئه دهره وبه فقر وفيه أحر وعنده شكر فقال له عتبة أستغفر الله منك واستعينه عليك
وقد أمرت لك ولعيالك بغناك فليت اسرعى اليك يقوم بأبطائي عنك

جاءت اعرابية الى أبي هاشم بن عبد الله بن أبي بكر والناس عنده فدنّت من مجلسه ثم
قالت يا أبا حاتم أتيتك من بلاد شاسعة ترفعي رافعة وتضعني واضحة للمعات من الزمان ونواب
من الحدّثان اذهبن لحي وبرين عظمى حتى تركنني ولها أمشي بالخصيض قد ضاق بي
العريض فقدمت بلدا لا أعرف فيه أحد ليس لي حيم يعينني ولا عشير يكنفني بعد عدة من
الولد وكثرة من العدد فسألت من المرجو نائلة المرضى سائلة قد لالت عليك أصلحك الله وأنا
امرأة من هوازن قد مات الولد وغاب الرافد ومثلك من اعان العفاة وفك العناة فاختر احدى
حالتين أما أن تقوم أودى وتحسن صفدى أو تردني الى بلدى قال بل أجمعهم مالك جميعا وأمر
لها بعشرة آلاف درهم

ومما يدلك على الكرم والوفاء قال المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
حجاجا فقاتتهم أثقالهم فجاجوا وعطشوا فربوا بعجوز في خيمة فقالوا لها هل من شراب
فقالت نعم فأتاخوا عندها ومامعها الاشاة في جانب الخيمة فقالت لهم دونكم فاحتلبوها
وامتدقوها ففعلوا ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لهم هذه الشاة ما عندي سواها فليذهبها
أحدكم حتى أهني لكم منها طعاما فقام اليها أحدهم فذهبها وكشطها عن جلدها فهيأت لهم
منها طعاما فأكلوا وأقاموا عندها حتى أبردوا ثم ارتحلوا وقالوا لها نحن نفر من قريش فاذا
رجعنا سالمين بحول الله تعالى فألمى بنا فاناصنا نعون بك خيرا فاما أقبل زوجها أخبرته خبر
القوم فغضب وقال ويلك ذبحت شاة لم يكن لنا سواها لقوم لم نعرفهم ثم الجأتها الحاجة
واضطرتهمما الفاقة فأتيا المدينة وجعلتا يلتقطان البعرو يبعانهو ويمتعيان من ثمنه فمرت
العجوز ببعض سكك المدينة فاذا بالحسن بن علي رضي الله عنهما على باب داره فعرّفا وهى
له منكورة فبعث اليها غلامه ودعا بها وقال يا أمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا
قالت بأبي وأمي أنت هو قال نعم وأمر غلامه فاشترى لها ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار
وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها بكم وصلك أخى قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها
الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بما وصلك الحسن
والحسين قالت بألفى شاة وألفى دينار فأمر لها عبد الله بألفى شاة وألفى دينار وقال لها لو بدأت

بي لا تتبعها فرجعت العجوز الى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

قيل خرج عبد الله بن جعفر يوما الى ضيعة له فنزل في طريقه في نخل لبعض الناس وفيها غلام أسود يعمل اذا أتى الغلام بقوته فدخل عليه من الحائط كلب ودنا منه فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني فأكله ثم رمى اليه بالثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال للغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم أثرت هذا الكلب على نفسك قال ياسيدي ماهي بأرض كلاب انما جاء من بلاد بعيدة جائعا فكرهت رده قال فأنت صانع اليوم قال أطوى فقال عبد الله بن جعفر ينسب الى السخاء حتى ألام عليه وهذا الغلام والله أسخى مني ثم سأل عن صاحب الحائط والغلام واشتراهما وأعتق الغلام وهبه الحائط

وحكى عن بنت عبد الله بن مطيع انها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان أجود قريش في زمانه ما رأيت أقواما الأم من اخوانك قال مه ولم ذلك قالت أراهم اذا أيسرت لزموك واذا أعسرت تركوك قال هذا والله من كرمهم يأثوننا في حال القوة بنا عليهم ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر عذرهم وفاء فهذا هو محض الكرم وبمثل هذا يلزم ذوى الفضل أن يتأولوا الهفوات من اخوانهم

الفصل الرابع

في

(الشجاعة)

انصفت العرب بالشجاعة والاقدام عن غيرهم لا يهابون الموت والشجاعة من الصفات الغريزية والسجاياء الطبيعية وقوة للنفس معنوية لا تدرك إلا بآثارها وغاياتها ولا تعلم إلا بمقتضياتها وعلاماتها وهي الاقدام في مواضع الاحجام وعدم المبالاة بالحياة ولا بالممات وقد يتولد من الشجاعة فضائل في النفس فيسود بها من توجد فيه على غيره

قال ابن مسكويه ان من كمالات الشجاعة كبر النفس - النجدة - عظم الهمة - الثبات - الصبر - الحلم - عدم الطيش - الشهامة - احتمال الكد - والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة ان هذا يكون في الأمور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة أما كبر النفس فهو الاستهانة باليسير والاقدار على حمل الكرامة فصاحبه يؤهل نفسه للأموال العظام مع استخفافها لها وأما النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع وأما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة المجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت وأما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الأحوال خاصة - وأما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شعبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة وأما السكون الذي تعني به عدم الطيش فهو أمان عند الخصومات وأما في الحروب التي يذب بها عن الحرم أو عن الشريعة وهو قوة للنفس تقصر حركتها في هذه الأحوال لشدها وأما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام توقعا للاحتوائة الجميلة وأما احتمال الكد فهو قوة للنفس بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة

فالعرب أشجع الأمم وأشدّهم بأسا كانوا ينادون بالموت في ساحة الوغى ويتهاجون بالموت على القراش ويقولون مات فلان حتف أنفه ولا مية السموأل بن عاديأ خبر شاهد على ذلك حيث يقول

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه	فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيقها	فليس الى حسن التناء سبيل
تعبيرنا أن قليل عديدنا	فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياهم مثلنا	شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضربنا أن قليل وجارنا	عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جميل يحتمله من نجيره	منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به	الى النجم فرع لا ينال طويل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره	يعز على من رامه ويطول
وانا لقوم نرى القتل سبة	إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه	ولا طل منا حيث كان قتيلا

تُسِيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تُسِيل
صفونا ولم نكدر وأخلص سرنا اناث أطابت حملنا وفحول
علونا الى خير الظهور وحطنا لوقت الى خير البطون نزول
فحن كماء المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولنا ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد قوول لما قال الكرام فعول
وما أخذت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزول
وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
معوذة أن لا تسلم نصالها فتغمد حتى يستباح قتيلا
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول
فان بنى الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم ونجول

﴿ وقال أبو الغول الطهوى ﴾

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يملون المنايا اذا دارت رحا الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غلظ بلين
ولا تبلى بسالتهم وان هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم منعوا حى الوقى بضرب يؤلف بين أشتمات المنون
ولا يرعون أكناف الهوينى اذا حلوا ولا أرضى الهدون

﴿ وقال عنتر بن شداد ﴾

وفي يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خبراً مشاعا
أقننا بالذوابل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا
حصانى كان دلال المنايا نخاض غبارها وشمى وباعا
وسيفى كان فى الهيجا طيبيا يدواى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رعى مع جبان لكان بهيتى يلقي السباعا

﴿ وله أيضا ﴾

أعادي صرف دهر لا يعادي وأحتفل القطيعة والبعادا
وأظهر نصح قوم ضيعوني وإن خانت قلوبهم الودادا
أعلل بالمني قلبا عليلا وبالصبر الجميل وإن تمادا
تعيروني العدا بسواد جلدی ويبيض خصائلي بمحو السوادا
وردت الحرب والأبطال حولي تهز أ كفه السمر الصعادا
وخضت بمهجتي بحر المنايا ونار الحرب تتقد اتقادا
وعدت مخضبا بدم الأعادي وكرب الركض قد خضب الجوادا
وسيفي مرهف الحدين ماض تقد شفاره الصخر الجادا
ورمحي ما طعنت به طعينا فعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمي وسنان رمحي لما رفعت بنو عبس عمادا

﴿وله أيضا﴾

حكم سيفوك في رقاب العذل وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة خوفا عليك من ازدحام الحجفل
فاعصى مقالته ولا تحفل بها وأقدم إذا حق اللقا في الأول
واختر لنفسك منزلا تعلو به أومت كريما تحت ذل القسطل
إن كنت في عدد العبيد فهمتي فوق الثريا والسماك الأعزل
أو أنكرت فرسان عبس نسبي فسنان رمحي والحسام يقر لي
وبذابلي ومهندي نلت العلي لا بالقراة والعديد الأجزل
ورميت رمحي في العجاج فخاضه والنار تقدح من شفار الأنصل
خاض العجاج محجلا حتى إذا شهد الواقعة عاد غير محجل
ولقد نكبت بنى حريقة نكبة لما طعنت صميم قلب الأخيل
وقتل فارسهم ببيعة عنوة والهيندان وجابر بن مهليل
لاتسقى ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

﴿وقال ابن ثناء الملك﴾

سواي يهاب الموت أو يهرب الردي وغيري يهوى أن يعيش مخلدا

ولكننى لأرهب الدهر إن سطا ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر كفه لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد غزى يترك الماء جرة وحيمة حلمى تترك السيف مبردا
وفرط احتقارى للأنام لاننى أرى كل عار من حلى سوددى سدى
ويأبى أبائى أن يرانى قاعدا وانى أرى كل البرية مقعدا
وأظما أن أبدى لى الماء منة ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتدلل رأيت الهدى أن لأميل الى الهدى
وقد ما نغبرى أصبح الدهر أشيبا وبى وبفضلى أصبح الدهر أمردا
وانك عبرى يا زمان واننى على الرغم منى أن أرى لك سيدا
وما أنا راض اننى واطنى الثرى لى هممة لا ترتضى الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى لخرت جميعا نحو وجهى سجدا
أرى الخلق دونى إذ أراهم فوقهم ذكاء وعلماء واعتلاء وسؤدا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا من الغيظ منه ساكن البحر مزدا
ولى قلم فى أتملى ان هزرتة فما ضررنى أن لا أهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره فان صليل المشرق فى له صدى

﴿ المهلهل ﴾

انا بنى تغلب شم معاطسنا بيض الوجوه اذا ما أفزع البلد
كم قد قتلت بنى بكر بسيدنا وليس يوفى كليبا منهم أحد
كم من فتاة كقرن الشمس ناعمة تبكى سراة بنى شيان إذ فقدوا
ما كان جمعهم فى عرض سودتنا إذ أقبل الجمع نحو الجمع فاحتشدا
إلا كمثل ذباب طار معترضا فى لهوة الليث فاستولى به الأسد
ما زلت أقتلهم قتيلا وآسرهم حتى اشتكت لهم الأحشاء والكبد
وهى قصيدة طويلة وكان المهلهل من أصح أهل زمانه وجهها وأفصحهم لسانا وأرقهم شعرا وكان كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه يسميه زير النساء (١)
فهذا شئ من كثير يدل على شجاعة العرب وحماستهم فن أراد التوسع فعليه بدويان

الحجاسة وجهرة العرب لابن دريد ولأبي زيد القرشي والأغاني والمعلقات السبع وديوان
الحجاسة البصرية وحجاسة البحتري وأبي تمام وقد أودعت العرب في شعرها أسرار لغتها
وعوائدهم وأخلاقهم وما كان لهم من الحروب والوقائع وقوة الفكر وثبات الجنان
والعتاب والزهد وذكريات عجائب الكائنات ووصفها وذكريات الطلول والمنازل ووصف
الظباء والغزلان إلى غير ذلك من الأساليب التي لا نهاية لها

الفصل الخامس

في

(أخلاق العرب وادبهم)

قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً
فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه
لا يكمل الا بهما

إن الخلق هيئة تحدث للنفس الناطقة من جهة انقيادها للبدن اتباعاً له واعلم أن
حصول الخلق في النفس شيئين أحدهما الطبيعة وهو أن يكون مزاج الشخص يقضي
استعداده حصول ذلك الخلق له وثانيهما العادة ونعني بالعادة تكرير فعل الشيء الواحد
مراراً كثيرة زماناً طويلاً في أوقات متفاوتة ومتقاربة ويدل على ما ذكرنا أن أصحاب
السياسات الجيدة وأفاضل الناس يجعلون أهل المدن اختياراً بما يعودونهم من أفعال الخير
وكذلك أصحاب السياسات الرديئة المتقلبون على المدن يجعلون أهلها أشراراً بما يعودونهم
من أفعال الشر

قال بعض العلماء إن سائر الأخلاق طبيعية يمتنع زوالها وحصول اضدادها وقال
آخرون إن بعض الأخلاق طبيعية يمتنع زوالها وبعضها مكتسبة بحسب أسباب تحصل
للشخص في أول الفطرة ثم ترسخ في النفس حتى تبلغ درجة الأخلاق الطبيعية اهـ
فنقرر أن الإنسان مستعد من أول الفطرة للأخلاق الحميدة والرذيلة وذلك بحسب
الوسط الذي يعيش بين أهله فإنه يتطبع بطباع من عاشهم ويشب عليها فيصيح إذا طبعاً

غريزياله ان كان خيرا خيرا وان كان شرا فشرا
قال ارسطاطاليس ان الشر برقد ينتقل بالتأديب الى الخير ولكن ليس على الاطلاق
لانه يرى ان تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن
يؤثر ضرر والتأثير في ضرر وبالناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك الى الفضيلة
بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء

وقال ابن مسكويه فغن اتفق له في الصبا أن يرى على آداب الشريعة ويؤخذ بوظائفها
وشرائطها حتى يتعود ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحسن
ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن الا اليها ثم
يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل

كانت العرب في أثناء جاهليتها الاولى اسمى أخلاقا وأرقى أديبا منا نحن الآن فما يستدل
به على عظيم شأنهم وعالو منزلتهم في الاخلاق والآداب نساء ورجالا ما نورد من أشعارهم
وحكمهم التي تزينت بها عصف التواريخ وحفظت لهم الذكرا الجميل على ممر الايام وكرور
الدهور والاعوام وهي عبرة لمعتبر وتفكرة لمنفكر

فمن عرب الجاهلية الاصبع العدوانى وهو من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات
كثيرة ووقائع مشهورة وقد أوصى ابنه أسيد حين حضرته الوفاة فقال له يا بني ان أباك قد
فنى وهو حى وعاش حتى سئم العيش وانى موصيك بما ان حفظته بلغت ما بلغت فاحفظ عني
ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا
تستأثر عليهم بشئ يسودوك واكرم صغارهم كما تكرمك كبارهم يكرمك كبارهم
ويكبر على مودتك صغارهم واسمع بالكم وأحم حريمكم وأعزز جارك وأعز من استعان بك
وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريح فان لك اجلا لا بعدوك وصن وجهك عن مسئلة
أحد شيا فبذلك يتم سوددك

أأسيدان	مالا ملك	ت فسر به سيرا جميلا
آخ الكرام	ان استطع	ت الى أخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وان		شربوا به السم التميلا
أهن اللئام ولا تكن		لاخائهم جلا ذلولا
ان الكرام اذا توا		خيهم وجدت لهم قبولا
ودع الذى يعد العشي		رة أن يسيل ولن يسبلا

ودع التواني في الامور وكن لها سلسا ذلولا

امرؤ القيس

هو ابن حجر أمير الشعراء بشهادة خير الانبياء صلى الله عليه وسلم عند ما ذكر عنده وله
أشعار ضمتها أمثالا كثيرة فمن أمثاله السائرة قوله في القناعة والرضى باليسير عند تعذر
الكثير

إذا لم يكن ابل فعزى كان قرون حلتها العصي

فقلأ بيتنا اقطاوسمنا وحسبك من غنى شبع وري

وقوله في طول الليل واستعارة أو صافه من الجمل الناهض بالجل

وليل موج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازا وناء بكـ كل

الأيها الليل الطويل الانجلي بصر وما الاصبح منك بأمثل

أفأطم مهلا بعد هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرعى فاجل

وان كنت قد ساءت لك مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك في أعشار قلبي مقتل

زهير بن أبي سلمى

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنساب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يضره ومن لا يتقى الشتم يشتم

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا ينظم الناس ينظم

ومن يغتر بحسب عدو اصدقته ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن يك ذا فضل فينخل بفضله على قومه يستغنى عنه ويذم

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وان ظالماتخفى على الناس تعلم

(الأفوه الأزدي)

وله حكم في الجاهلية

البيت لا يتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الامر الذي رادوا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اذا نولى سراة القوم أمرهم فما على ذلك أمر القوم فازدادوا

تهدي الأمور بأهل الرأي ماصلحت فان تولت فللاشرار تنقاد
امارة الغي أن تلقى الجميع لدى الابرام للامم والاذناب أكتاد
كيف الرشاد اذا ما كنت في بقر لهم عن الرشده اغلال واقباد
أعطوا غوانهم جهلا مقادتهم فكاهم في حبال الغي منقاد

✽ عائذ الشهير بالثقب العبدى ✽

ولقب بذلك لقوله في قصيدة أولها

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني
فلا تعدى مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوني
فلو أنى تعاندى شامى لما أنبعثها أبدا يميني
إذا اقطعتها ولقلت بيني كذلك أجتوى من يجتويني
فلما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غنى من سميني
والا فاطرحنى واتخذنى عدوا أتقيك وتقميني
فما أدري اذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يلينى
أأخير الذى أنا أتبعيه أم الشر الذى هو يبتغينى

(ومن حكمه أيضا)

لاتقولن اذا ما لم ترد أن تتم الوعد فى شئ نعم
حسن نعم قبل قولك لا وقيح القول لا بعد نعم
ان لا بعد نعم فاحشة فبلا فبدأ اذا خفت الندم
إذا قلت نعم فاصبر لها بنجار الوعد ان الخلف ذم
واعلم ان الذم نقص للفقى ومتى لا تتقى الذم تدم
أكرم الجار وراع حقه ان عرفان الفقى الحق المكرم
لا ترانى راتعا فى مجلس فى لحوم الناس كالسبع الضرم
ان شر الناس من يمدحنى حين يلقانى وان غبت شتم
وكلام سيء قد وفرت عنه أذناى ومابى من صمم
فتعديت حشاة أن يرى جاهل انى كما كان زعم
ولبعض الصفح والاعراض عن ذى الخنى أبى وان كان ظلم

(عنتره بن شداد)

انى امرؤ من خير عبس منصبا شطرى وأجى سائرى بالمنصل
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم الماء كل
والخيل تعلم والفوارس انى فرقت جمعهم بطعنة فيصـل
بكرت تخوفنى الختوف كانى أصبحت عن غرض الختوف بمنزل
فأجبتها أن المنية منهل لابد أن أسقى بذلك المنهل
فأفنى حياءك لا أبالك فاعلمى انى امرؤ سأموت ان لم أقتل
ولقد لقيت الموت يوم لقيته متسربلا والموت لم يتسربل
والخيل ساهمة الوجوه كأنها سقيت فوارسها نقيع الخنظل
ان يلحقوا كرروا يستلحموا أشدد وان نزلوا بضنك أنزل

(عروة الصعاليك جاهلى)

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكألم الفراق ولام الصديق فأكثر
وصار على الأدين كلا وأوشكت قلوب ذوى القربى له أن تنكرا
وما طالب المعروف من حيث يبتغى من الناس الا من أبر وشعرا
فسر فى بلاد الله والتمس العنى تعش ذا يسار أو تموت فتعندرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسرا

(بعض بنى سليم)

فان تسألنى كيف أنت فانى صبور على ريب الزمان صليب
يعز على أن ترى به كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

قال امرأى ان الغضب عدو العقل وكفى بالتجارب تأديبا وبالأيام عظة

قال الأصمعى سمعت اعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقد بين جنبك
جرة الغضب وأرددا ساءته بالحلم فان شجرة النار اذا لحت عليها الرياح نحاكت أغصانها
فتشتعل نارا وتحترق أصولها

غضب هشام على رجل من أشرف الناس فشققه فوبخه الرجل فقال له أما تستحي أن
تشتقنى وأنت خليفة الله فى أرضه فأطرق هشام واستحيا وقال له اقتص فقال اذا سفيه مثلك
فقال خذ من ذلك عوضا المال قال ما كنت لأفعل قال فبه الله قال هى لله ثم لك فنهكس هشام

رأسه وقال والله لا عود لثملها

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب لم يعرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل واذا قدر عفو وكف

ضرب رجل سلم بن نوفل سيد بني كنانة بسيفه فاخذ فأتى به اليه فقال له ما الذي فعلت أما خشيت انتقام من قال فلم عودناك إلا أن تكظم الغيظ وتغفو عن الجاني وتحلم على الجاهل ونحتل المكروه في النفس والمال فغلى سبيله

قال المأمون اني لأجد لعفوى لذة أعظم من لذة الانتقام وأعلم انه اذا عاقب الملك أو هان على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطأ في الرأي أعظم مما ادخل على صاحبه من العقوبة

﴿ ورقة بن نوفل ﴾

هو أحد من اعتزل الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب ومن شعره
لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أما النذير فلا يغركم أحد
لا تعبدون إلها غير خالقكم فان دعوكم فقلوا بيننا جدد
سبحان ذي العرش سبحان نعوذ به وقبل قدسج الجودى والجد
مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الاله ويودى المال والولد
لم نغن عن هرمر يوم خرائنه والخلد قد حاولت عادفا خلدا

﴿ ومن كلامهم في الحكم الاخلاقية ﴾

المنفعة توجب المحبة - والمضرة توجب البغضة - والمخالفة توجب العداوة -
والمطابقة توجب الالفة - والصدق يوجب الثقة - والأمانة توجب الطمأنينة - والعدل
يوجب اجتماع القلوب - والجور يوجب الفرقة - وحسن الخلق يوجب المودة - وسوء
الخلق يوجب المباعدة - والانبساط يوجب المؤانسة - والانقباض يوجب الوحشة -
والكبر يوجب المقت - والتواضع يوجب المقه - والجود يوجب الحمد - والبخل
يوجب المذمة - والتواني يوجب التضييع - والجدي يوجب رجاء الأعمال - والهوى يوجب
توجب الحسرة - والحزم يوجب السرور - والتغريير يوجب الندامة - والحذر

يوجب الغدر - واصابة التدبير توجب بقاء النعمة - وبالتأني تسهل المطالب - وبسعة خلق المرء يطيب عيشه - والاستهانة توجب التبعاد - وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال - وبالرفق والتؤدة تستحق الكرم - واعلم أن السياسة تكسوا أهلها المحبة - والفظاظة تخلع عن صاحبها ثوب القبول - ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة - والنظر في العواقب نجاة - ومن لم يحلم ندم - ومن صبر غم - ومن سكت سلم - ومن خاف حذر - ومن اعتبر بصر - ومن أبصر فهم - ومن فهم علم - ومن أضع هواه ضل - ومع العجلة الندامة - وفي التأني السلامة - اذا جهلت فاسأل - واذا زلت فارجع - واذا أعطيت فاجزل - المروآت كلها تتبع العقل - الرأي تبع التجربة - العقل أصله التثبت وثمرته السلامة - والتوفيق أصله العقل وثمرته النجاح - المعروف كنز - والجهل سفة - والأيام دول - والدهر غير - والمرء منسوب الى فعله - ومأخوذ بعمله - اكرموا المجلس يعمر ناديك - انصفوا من نفوسكم يوثق بكم - إياكم والأخلاق الدنيئة فانها تضيع الشرف وتهدم المجد - من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء - أفضل من السؤال ركوب الأحوال - العديم من احتاج الى لثيم - من لم يعتبر فقد خسر - ما كل عثرة تقال - ولا كل فرصة تنال - لا وفاء لمن ليس عنده حياء - عليك بالجمالة لمن لا تدوم له مواصلة - أفضل الفعال صيانة العرض بالمال - اذا أردت طرد الحرف سمه الهوان - الرياء يفسد العلانية - صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجدته كالأعرج - الغضب على من لا تملك عجز - وعلى من تملك لؤم - وأجعت حكاء العرب والعجم على أربع كلمات - لا تحمل بطنك ما لا تطيق - ولا تعمل عملا لا ينفعك - ولا تغتر بامرأة - ولا تثق بمال وان كثر - من آمن الزمن خانه - ومن تغدر عليه هانه - كما يجب أن تكون المرأة أضواء من الناظر فيها فكذلك يجب أن يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب - من كانت الدنيا سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر أن تجعلها وسيطة بين أحد - اذا أردت أن تطاع فسل ما يسقطاع - ان يكن الشغل مجهدا فالفراغ مفسدة - بعض القتل احياء للجميع - ان كنت كذوبا فكذلك كورا - اذا ظلمت من دونك فلا تأمن عذاب من فوقك - رب ضحك أفضى الى ساحة وتعب الى راحة - رب مستعجل لأذية ومستقيل لمنية - سوء الخلق يعدي - طول التجارب زيادة في العقل - في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق - كل آت قريب - العبادة نيمت الشهوة - عدو عاقل خير من صديق جاهل - سلطان بلا عدل كنهز بلا ماء - لا تطمع في كل ما تسمع - ما أشبه الليلة بالبارحة - من محض مودته فقد خولك مهجته -

من طلب شيئا وجدَّ وجد - الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك - من استحسن قبيحا فقد
عمله - من أفشى سره كثر المتآمرين عليه - من أعجب برأيه ضن - من سابق الدهر
عثر - من غلب هواد على عقله هلك
ولهم من الأشعار في الحكم ما لا يمكن حصره نأى على بعض منه اتما للفايدة
وعظة للقارىء

✽ عبد القيس بن خفاجة البرجمي ✽

أبني أن أباك كارب يومه	فاذا دعيت الى المكارم فاعجل
أوصيك ايضاء امرئ لك ناصح	طبن برب الدهر غير مغفل
الله فاتقه وأوف بنذره	واذا حلفت مماريا فتحلل
والضيف أكرمه فان ميته	حق ولا تك لعنة للنزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله	بميت ليلته وان لم يسأل
ودع القوارص للصديق وغيره	كيلا يروك من اللئام العذل
وصل المواصل ماصفا لك وده	واجذ حبال الخائن المتبدل
واحذر محل السوء لا تحلل به	واذا نبا بك منزل فتحوّل
واستأن نظفر في أمورك كلها	واذا عزمت على الهدى فتوكل
واستغن ما أغناك ربك بالغنى	واذا تصيبك خصاصة فتحمل
واذا افقرت فلا تكن متخشعا	ترجوا الفواضل عند غير المفضل
واذا تشاجر في فؤادك مرة	أمر ان فاعمد للأعف الأجل
واذا هممت بأمر سوء فاثد	واذا هممت بأمر خير فاعجل

✽ عبدة بن أبي الطيب ✽

ابني اني قد كبرت ورايت	بصرى وفي لمنظر مستقم
أوصيك بتقى الاله فانه	يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وبير والدكم وطاعة أمره	ان الابر من البنين الاطوع
ان الكبير اذا عصاه أهله	ضاقت يداه بأمره ما يصنع
ودعوا الضغائن لا تكن من شأنكم	ان الضغائن للقراية توضع
يزجى عقارب ليبعث بينكم	حربا كما بعث العروق الاخدر

ان الذين تروهم اخوانكم
واذا مضيت الى سبيلي فابعثوا
ان الحوادث تختار من وانما
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا
يشقى غليل صدورهم أن تصرعوا
رجلاله قلب حديد أصمغ
عمر الفتى في أهله مستودع
جدا وليس بأكل ما يجمع

﴿عبيد بن الابرص الاسدي﴾

ولم أبتغي ود امرىء قل خبره
واني لأطفي الحرب بعد شوبها
واني لذو رأى يعاش بفضله
اذا أنت حملت الخوون أمانة
وجدت خوون القوم كالغريتي
ولا تظهرن ود امرىء قبل خبره
ولا تتبعن الرأى منه تقصه
ولا تزهدين في وصل أهل قرابة
وان أنت في محمد أصبت غنمية
تزود من الدنيا متاعا فانه
تمنى امرىء القيس موتى وان أمت
لعل الذى يرجو رداى وميتى
فما عيش من برحى خلا فى بضائرى
وللمرء أيام تعد وقد دعت
فن لم يمت فى اليوم لابدأته
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى
وما أنا عن وصل الصديق بأصيد
وقد أوقدت للغي فى كل موقد
وما أنا من علم الامور بمبتدى
فانك قد أسندتها شر مسند
وما خلت عم الجار الا بمعهد
وبعد بلاء المرء فاذم أو أجد
ولكن برأى المرء ذى اللب فاقتد
لذخرونى وصل الابعاد فازهد
فعد للذى صادفت من ذاك وازدد
على كل حال خير زاد المزود
فتلك سبيل لست فيها بأوحد
سفاهوا وجبنا أن يكون هو الردى
ولا موت من قدمات قبلى بمخلدى
حيال المنايا للفتى كل مرصد
سيعلقه حبل المنية فى غد
نهيا لاخرى مثلها فكأن قد

﴿حسام الدين الواعظ﴾

من ضيع الحزم من أفعاله ندما
ما المرء الا الذى طابت فضائله
والعلم أنفس شئ أنت ذاخره
تعلم العلم واجلس فى مجالسه
وظل مكتئبا والقلب قد سقما
والدين زين بزين العاقل الفهما
فلاتكن جاهلا تستورت الندما
ماخاب قط لبيب جالس العاما

والوالدين فأكرم تج من ضرر ولا تكن نكرا تستوجب النكما
ولا زلم الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حرما
واحذر من المزح كم في المزح من خطر كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبر النفس وارشد ها اذا جهلت وان حضرت طعاما لا تكن نهما
آسى اللهيف اذا ما كنت مقندرا على الزمان وكن للخير مقتسما
وصن نفسك عن لهو وعن مرح وان حضرت مقاما كنت فيه سما

﴿ ول بعضهم ﴾

اذا شئت ان تزداد قدرا ورفعة فلن وتواضع واترك الكبر والعجب

﴿ وكتب الامام على رضى الله عنه ينصح ابنه الحسن ﴾

يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك - فأحب لغيرك ما تحب لنفسك -
واكره له ما تكره لها - ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم - وأحسن كما تحب أن يحسن اليك -
واستقج من نفسك ما تستقج من غيرك - وأرض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك - ولا
تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك - ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك
الله حرا - واعلم ان حفظ ما في يدك أحب الى من طلب ما في يد غيرك - ولا تأكل من
طعام ليس فيه حق فبئس الطعام الحرام - وجد في الحصول على معاشك واياك والاتكال
على المنى فانها بضائع الموتى

﴿ وصايتة لأولاده ﴾

يا بنى عاشروا الناس ان غبتم حنوا اليكم وان فقدتم بكوا عليكم يا بنى ان القلوب
جنود مجندة تلاحظ بالمودة وتتناجى بها وكذلك هى البغض فاذا أحببتك الرجل من غير
خير سبق منه اليكم فارجوه واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاخذروه

﴿ ومن حكمه رضى الله عنه ﴾

الآداب لحل مجددة والفكر مرآة صافية - اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن
غيره واذا أدبرت عنه سلمته محاسن نفسه

الفصل السادس

في

﴿ خطباء العرب وطر فامن خطبهم ﴾

اشتهر العرب بالخطابة في الجاهلية والاسلام وقد أودعوا خطبهم كثير من الفصاحة والبلاغة والمواعظ وكانوا لا يخطبون إلا على أثر حادث أو لاستلقات نظر أو لتنبيه فكر واليك طرف من خطبهم بعد خطبة خير الخلق وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم الذي افتتحناها هذا الباب تيمنا به وتفضيلا له وتعظيما لقدره وهي

أيها الناس ان لكم معالم فانتوها الى معالمكم - وان لكم نهاية فانتوها الى نهايتكم - ان المؤمن بين محافتين - بين عاجل قدمضى لا يدري ما الله صانع به - وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض به - فليأخذ السعيد من نفسه لنفسه - ومن دنياه لآخرته - ومن الشيبية قبل الكبر - ومن الحياة قبل الموت - فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

﴿ وقال صلى الله عليه وسلم ﴾

أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها - أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية - والعدل في الرضا والغضب - والقصد في الغنى والفقر - وأن أعفو عن ظلمي - وأعطى من حرمني وأصل من قطعني - وأن يكون صمتي فـكرا - ونطقي ذكرا - ونظري عبرا

﴿ وله صلى الله عليه وسلم ﴾

نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فلا تقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتتم فعضوا الأبصار وأفشوا السلام واهدوا الضال وأعينوا الضعيف

فن خطباء العرب المشهورين قس بن ساعدة الايادي فهو أشهر الخطباء ذكرا وأرفعهم قدر ولم يكن على دين من الأديان المشهورة وكان ممن كانوا على التوحيد من العرب وكفى له بذلك فخرا ولقومه على مدى الأيام حيث يقول صلى الله عليه وسلم يرحم الله قسا اني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده - وهو أول من علا على شرف وخطب وأول من قال في كلامه أما بعد ومن خطبه الخطبة الآتية

أيها الناس اسمعوا وعوا - من عاش مات - ومن مات فات - وكل ما هو آت آت -
 ليل داج - وساء ذات أبراج - بحار تنخر - ونجوم تهر - وضوء وظلام - وبر وآثام
 ومطعم ومشرب - وملبس ومركب - مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون - ارضوا
 بالمقام فأقاموا - أم تركوا فناموا - وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين - أفضل
 من دين قد أظلم زمانه - وأدرككم أوانه - فطوبى لمن أدركه فاتبعه - وويل لمن
 خالفه - ثم أنشأ يقول

في الداهيين الأولي ن من القرون لنا بصائر
 لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
 ورأيت قوى نحوها تمضى الأكار والأصاغر
 لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
 أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

❦ ومنهم كعب بن لؤى جد النبي صلى الله عليه وسلم ومن خطبه ❦

اسمعوا وعوا - وتعلموا وتعلموا - وتفهموا تفهموا - ليل ساج - ونهار صاج -
 والأرض مهاد - والجبال أوتاد - والأولون كالأخرين - كل ذلك إلى البلاء - فصولا
 أرحامكم - واصلحوا أموالكم - فهل رأيتم من هلك رجع - أو ميتا نشر - الدار
 أمامكم - والظن خلاف ما يقولون - زينوا حرمكم وعظموه - وتمسكوا به ولا تفارقوه
 فسيأتى له نبأ عظيم - وسيخرج منه نبي كريم - ثم قال

نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها وميرها
 يؤبان بالاحداث حتى تأوبا وبالنعيم الضافي علينا ستورها
 صروف وأنباء تقلب أهلها لها عقد ما يستحيل مديرها
 على غفلة يأتى النبي محمد فيخبر أخبارا صدوقا خيرها

ومنهم سحبان وائل الباهلي قد أدرك الاسلام وأسلم قال الأصمعي انه اذا خطب يسيل
 عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقصد حتى يفرغ وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم
 سعيد بن عثمان فطلب سحبان فأثنى به فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم من أودى فقالوا
 وما تصنع بها وانت بحضرة أمير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه
 وعصاه في يده فضحك معاوية وأمر له بعضا فأخذ عاثم قام وخطب من صلاة الظهر الى وقت

العصر وما تنجح ولا سعل ولا توقف ولا ابتداء في معنى نخرج منه وقد بقي عليه شيء فإزالت تلك حالته حتى أشار معاوية بيده فأشار إليه سبحانه وأئله أن لا تقطع على كلامي فقال معاوية الصلاة فقال هي امامك ونحن في صلاة وتحميد وعباد وعيد فقال معاوية أنت أخطب العرب فقال سبحانه والعجم والانس والجن

ومنهم خالد بن عبد الله أمير البصرة - أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا إلى المغامرات واشتروا الحمد بالجود ولا تكسبوا بالمطل ذماً ولا تعتدوا بالمعروف ما لم تعجلوه ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن لها جزاء وأجزل عليها عطاء واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم فلا تلوا النعم فتحولوها نقماً واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجراً وأورث ذكر أولو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جليلاً يسر الناظرين ولو رأيتم البخل رجلاً رأيتموه مشوّهاً قبيحاً تنفر عنه القلوب وتغض عنه الأبصار

أيها الناس أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعظم الناس عفواً من عفاه من قدرة وأوصل الناس من وصل من قطعه ومن لم يطب حربه لم يزل نبتة والاصول عن مغارسها تنمو وبأصولها تسمو أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

ومن خطب النبي صلى الله عليه وسلم - أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب - وكأن الذي نسمع من الاموات سفر عما قليل اليأس راجعون نبوتهم أجداً ثم ونأكل من ترائبهم كأننا نخلدون بعدهم ونسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغلته عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن أنفق ماله لا اكتسبه من غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالف أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذلت وحسنت خليفته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وسعته السنة ولم تستهوه البدعة

وخطب أبو بكر بن عبد الله أمير المدينة المنورة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسعفهم آخرون على ذلك

أيها الناس اني قائل قولاً فنعاه وأداه فعلى الله جزاءه ومن لم يعبه فلا يعذب من ذمامها ان قصرتم عن تفصيله فلن تعجزوا عن تحصيله فارعوه بأبصاركم واوعوه أسباعكم وأشعروهم قلوبكم فالعظمة حياة والمؤمنون اخوة وعلى الله قصد السبيل ولو شاء

لهذا كم أجمعين فأتوا الهدى تهتدوا واجتنبوا الغي ترشدوا وأنبيوا إلى الله جميعا أيها
المؤمنون لعلكم تفلحون والله جل جلاله وتقدست أسماؤه أمركم بالجماعة ورضيها
لكم ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين
قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها جعلنا الله
وأيامكم ممن يتبع رضوانه ويحسب سخطه فانا نحن بهوله وان الله بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم بالدين واختاره على العالمين واختار له أصحابا على الحق وزراء دون الخلق
اختصهم به وانتخبهم له فصدقوه ونصروه وعززوه ووقروه فلم يقدموا إلا بأمره
ولم يحجموا إلا عن رأيه وكانوا أعوانه بعهده وخلفاء من بعده فوصفهم فأحسن وصفهم
وذكرهم فأثنى عليهم فقال وقوله الحق محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على
الكفار إلى قوله مغفرة وأجر عظيمة فمن غاظوه كفر وخاب وبخر وخسر وقال الله
عز وجل للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا إلى قوله ربنا إنك رؤوف رحيم فمن خالف شريطة الله عليهم وأمره إياه فيهم
فلاحق له في النفي ولا سهم له في الإسلام في أي كثير من القرآن فرق مارقة من الدين
وفارقوا المسلمين وجعلوهم عضدين وحزبوا أحزابا أشابات وأوشابا فخالقوا كتاب
الله فيهم فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين أفن كان على بينة من
ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مالى أرى عيونا خزرا ورقابا صعر
وبطونا بجري شجى لا يسيغ الماء وداء لا يشرب فيه الدواء أفضر ب عنكم الذكر
صفحا اذ كنتم قوما مسرفين كلا والله بل هو الهناء والطلاء حتى يظهر العذر ويبوح
السر ويتضح العيب ويشوس الحبيب فانكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وبحكم
انى لست أنا ويا أعلم ولا بدوياً أفهم قد جلبتكم أشطرا وقلبتكم أبطناء وأظهرها فعرفت
أنحاءكم وأهواءكم وعلمت أن قوما أظهروا الإسلام بالسننهم وأسروا الكفر في قلوبهم
فصر بوا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض وولدوا الروايات فيهم وضر بوا
الأمثال ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أنبأهم أعوانا يأذنون لهم ويصغون إليهم
مهلا مهلا قبل وقوع القوارع وطول الروائع هذا لهذا ومع هذا فلست أعيش أسيا ولا
نائيا عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عز يزدا انتقام فأسر وأخيرا
وأظهره وأجهر وابه وأخلصه وطالما مشيتم القهقري نا كصين وليعلم من أدبر وأصر

أنهم وعظمة بين يدي نعمة ولست ادعوك الى هوى يتبع ولا الى رأى يتبدع انما ادعوكم الى الطريقة المثلى التى فيها خير الآخرة والأولى فمن أجاب فالى رشده ومن عمى فعن قصده فهم الى الشرائع الجذائع ولا تولوا عن سبيل المؤمنين ولا تستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير بثس للظالمين بدلا اياكم وبينات الطريق فعندها التزنيق والترهيق وعليكم بالجادة فهى أسد وأورد ودعوا الامانى فقد أودت من كان قبلكم وأن ليس للانسان الا ما سعى والله الآخرة والأولى ولا تفتر واعلى الله الكذب فيسحقكم بعذابه وقد خاب من افترى ربنا لا ترغ فلو بنا بعد اذهبيتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ومن خطب الحسن بن على رضى الله عنه . - اعلموا أن الحلم زين والوقار مودة والصلة نعمة والا كبار حلف والعجلة سفة والسفه ضعف والقلق ورطة ومجالسة أهل الدناءة شين ومخالطة أهل الفسوق ريبة

ومنهم يزيد بن المهلب فانه كان أبلغ الخطباء والفصحاء فمن ذلك ما أوصى به ابنه حين استخلفه على جرجان وهو قوله يا بنى انى قد استخلفتك على هذه البلاد فانظر هـذا الحى من الثمين فكأن لهم كما قال الشاعر

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم فرش واصطنع عند الذين بهم ترى
وانظر هـذا الحى من ربيعة فانهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم وانظر هـذا الحى من تميم فأمرهم ولا تتردهم ولا تدنهم فيطمعوا ولا تقصهم فيقطعوا وانظر هـذا الحى من قيس فانهم أكفاء قومك فى الجاهلية ومناصفوهم المنابر فى الاسلام ورضاهم منك البشر
يا بنى ان لأبيك صنائع فلا تفسدها فانه كفى بالمرء نقصا أن يهدم ما بنى أبوه واياك والدماء فانه لا تقيمه معها واياك وشتم الأعراض فان الحر لا يرضيه عن عرضه عوض واياك وضرب الابشار فانه عار باق ووتر مطلوب واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى ولا تغزل عن عجز أو خيانة ولا يمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك اليه فانك انما اصطنع الرجال لفضلها وليمكن ضيفك عندهم يكافئك عنه العشائر احمل الناس على حسن أدبك يكفوك أنفسهم واذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عنى وعنك فان كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع سره وأستودعك الله فلا بد للمودع أن يسكت وللشيع أن يرجع وما عفا من المنطق وأفل من الخطيئة أحب الى أبيك

وخطب عبد الملك لما دخل الكوفة بعد أن قتل مصعبا ابن الزبير فقال

أيها الناس ان الحرب صعبة مرة وأن السم آمن ومسرة وقدز بنتنا الحرب وزبناها
فعر فناها وألفناها فحن بنوها وهي أمنا

أيها الناس فاستقيموا على سبيل الهدى ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا فراق
جماعة المسلمين ولا تكفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لاتعلمون أعمالكم ولا أطنكم
تزدادون بعد الموعظة الاشرأ ولن تزداد بعد الاغذار اليكم والحجة عليكم الاعقوبة
فمن شاء منكم أن يعود مثلها فليعد وانما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعه

أنا النذير لكم منى مجاهرة كى لألام على نهى ولا انذار
فان عصيتم مقلالي اليوم فاعترفوا ان سوف تلقون خزيا ظاهرا العار
لترجعن أحاديثا ملفقة عند المقيم وعند المدح السارى
من كان فى نفسه حوجاء يطلبها عندى فاني له رهن بأبحارى
أقيم عوجيه ان كان ذا عوج كما يقوم قدح النبعة البارى
وصاحب الوتر عندى ليس مدركه عندى واني لدراك لأوتار

ومنه ابن زيد الجيرى وزهير وأكنم بن صيف التميمى وغيرهم كثير ولمروان بن
عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية وأبى جعفر المنصور وهارون الرشيد
وابنه المأمون من خلفاء بنى العباس وغيرهم من خلفاء الدولتين وأمرأهم خطباء فائقة
وبلاغات معجبة رائقة يضيق هذا الكتاب عن ايرادها وقد أوردنا من ذلك ما فيه كفاية
للبيب ومقنع للاديب ومن أراد التوسع فى ذلك فعليه بمراجعة نهج البلاغة للإمام على كرم
الله وجهه وكتاب الأعلام عن الحروب الواقعة فى صدر الاسلام للبياسى وكتاب الامامة
والسياسة لابن قتيبة وتاريخ الطبرى وكتب السير

وكانت نساؤهم لاتقل عن الرجال فى العلم والمعرفة والفقه والادب شيأ ولندكر بعضا
من نوادرهن وطرف من ملحنهن انما للقاءة واطهارا لفضلهن على غيرهن من أبناء
جنسهن



الفصل السابع

في

﴿ أخلاق نساء العرب وآدابهن وفصاحتهم ﴾

كانت النسوة العربيات في الجاهلية والاسلام يعادلن رجالهن في الفصاحة والكرم والشجاعة ولهن من الحرية ما ليس لغيرهن من أبناء جنسهن وعلى عكس ما نظنه أهالي أوروبا من انهن اسيرات لازواجهن مستعبدات لهم

لعبت نساء العرب دورا مهما في كلا العصرين فقد كن يرافقن الرجال الى ساحة القتال ويعلن الجرحى ويدوين المرضى ويشجعن الرجال على اقتحام الخطوب وخوض بحار المنايا والجولان في ميادين الحروب - فقد حكى عن الخنساء بنت عمر والسامية انها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بني والله الذي لا إله غيره انكم لبنوار جل واحد انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وأنتم تعلمون قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون - فاذا أصبحتم ان شاء الله تعالى فأغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وأضرمت لظى على سيافها فتيقظوا وطيسها وجاهدوا ريسها عند اخترام خيمتها تطفر وبالغنى والكرامة في دار الخلد والمقامة فما أضاء لهم الصبح باكروا واما كثرهم وشنوا الأغاراة وقتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخير فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو ان ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطى لها رزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم ما يتادروهم

بلغت النساء في العصور الماضية من الرقي في الآداب والاخلاق والعلوم والمعارف ما يجعلنا نعترف بانحطاط المرأة في هذه الزمن فقد كانت المرأة العربية تعرف ما يعرفه الرجل من العلوم كالطب والجراحة والحديث والفقه وانى لاذ كر لك على سبيل العلم بعض أسماء النساء اللواتي جاءت أخبارهن في صحف التاريخ تنبها للعاقل وتذكيرا للغافل وردا على من قال بعدم وجوب تعليم المرأة للقارئة بينها في الزمن الحاضر وبين أختها في الزمن

الغارف كان في أزواجه صلى الله عليه وسلم من يكتب ويقرأ كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم وغيرهم من نساء كل زمان ومكان

فتمتع البنات والصبيان مع بعضهما في حال الصغر القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأى فيعظم من في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش

فما لامرأ فيه ان حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالاخلاق الحميدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو أجل صفات الجمال فلا بد للمرأة يغني عن الجمال ولكن الجمال لا يغني عن الأدب لانه عرض زائل فأدب المرأة ومعارفها تؤثر في أخلاق أولادها وقد قضت التجربة في كثير من الأزمان ان نفع تعليم البنات أكثر من ضرره بل لا ضرر فيه كان في النساء من يعلم القراءة والكتابة في الزمن الاول للنساء وللرجال أيضا كمنية الكتانية جارية خلافة أم ولد المعتد فانها كانت عالمة تفق في الفقه وأم سامة فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله وخديجة بنت أبي بكر محمد أحمد أبي الثلج فانها روت عن أبيها وكتب عنها محمد بن جعفر كتاب الجمل وأم الواحد كانت عالمة فاضلة من أحفظ الناس للفقه على مذهب الشافعي وحفظت القرآن وغير ذلك من العلوم وكانت فاضلة في نفسها وحدثت بالحديث وكتب عنها وتوفيت في شهر رمضان سنة ٣٠٧ وزييدة زوجة هارون الرشيد فانها كانت عالمة وقد حدث عنها أهل بن حنبل كما حدث عن أم عمر و بنت حسان بن زيد الثقفي وكريمة بنت محمد بن حاتم المرزوبة جاورت بمكة المكرمة وروت صحيح البخاري عن الكشميني وروايتها أصح من روايات البخاري وروت عن زاهر السرخسي وكانت تضبط كتابها وتقابل بنسخها وهي في الفهم والنباهة وحدة الذهن بحيث ترحل اليها أفاضل العلماء وتوفيت عام أربع مائة وثلاثة وستين وبلغ عمرها مائة سنة ولم تنزوج قط

تقية بنت أبي الفرج ذكرها الحافظ السلفي في تعليقه وأثنى عليها وتلقى العلم عنه بشعر الاسكندرية ووافقت الرجال فيه ولها زيادة على ذلك الباع الأطول في الشعر والأدب ومن لطائف أدبها مع الحافظ المذكور انه كان مارا بمنزله فعثر فخر جباطن قدمه فقطعت جارية من الدار قطعة من خمارها وعصبت قدمه بها فأنشأت تقول

لو وجدت السبيل جدت بخدي عوضا عن تجارتك الوليدة
كيف لي ان أقبل اليوم رجلا سلكت دهرها الطريق الحميدة

ومن غرائبها في الأدب أنها مدحت الملك المظفر ابن أخي السلطان صلاح الدين بقصيدة خمرية فقال ممازحاً تعرف الشيخة هذه الأحوال من صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية وصفت فيها الحرب وما يتعلق بها أحسن وصف وبعثتها إليه وقالت علمي بهذا كعلمي بذلك

زينب بنت أبي القاسم - كانت فاضلة عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم وأجازها العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزنخشري مؤلف الكشف ومن أجازتهم من أكابر العلماء المؤرخ شهاب الدين قاضي القضاة ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية سيدة المحدثين بدمشق سمعت صحيح البخاري على حافظ العصر المعروف بالحجار وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتباً عديدة وانفردت في آخر عمرها بعلم الحديث وكانت سهلة في تعليم العلوم لينة الجانب للتعلمين توفيت بدمشق سنة ٨١٦ ودفنت بالصالحية

فكما نبغ فيهن عالمات نبغ منهن ملكات تولين الملك وسرن به السير الجميل حتى فضلت مدة حكمهن على غيرهن من الرجال فمن اشتهر بذلك الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب والدة الملك العزيز وبنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السلاطين وقامت به أحسن قيام وكانت مدة حكمها ستة سنوات والصاحبة غازية بنت السلطان الملك العادل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب والدة الملك المنصور صاحبة حماة كانت من أحسن النساء سيرة وزهداً وعبادة وحفظت الملك لولدها المنصور حتى كبر وسلمته إليه

والزباء وهي نائلة بنت عمرو فاتها عادت ملوك العرب في شدة البأس وشن الغارة ملكت بعد أبيها على الجزيرة وأعلى الفرات ومشارك الشام وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وقتلت جديمة الأبرش بشار أبيها

بلغت نساء العرب في زمانهن ما لا يبلغه غيرهن ممن يأتون بعدهن إلا إذا ساروا على سننهن واتبعوا طريقهن وتحلوا بالحياء والأدب والعفة التي بلغت منهاها عندهن فمن اشتهر وبالعفة والآداب

الحرة بنت النعمان بن المنذر - بعقلها وذكائها وما فيها من الحياء والعفة رقت لها قلب خصمها لما كان في حقها بمكبر ولا متجبر وبيان ذلك أنه لما فتح سعد بن أبي وقاص

القادسية قيل ان الحرفة بنت النعمان بن المنذر حضرت ومعهما جاريتان لها في مثل زيهما فلما
وقفن بين يديه قال أيتكن الحرفة بنت النعمان قالت أنا قال أنت قالت نعم كأن الدنيا لا تدوم
على حال فانها سريرة الانتقال تنتقل بأهلها انتقالا وتعتقبهم بعد حال حالاً إنا كنا ملوك هذا
المصر يجبي الينا بخراجة حتى تشتت الأمر وصاح بنا الدهر فشق عصانا وشتت ملانا
وكذلك الدهر يعثر بالأحرار ويكب على ذوى الأخطار فقال لها سعيد خبريني عن حالكم
كيف كان قالت أطيل أم أقصر فقال أقصرى فقالت أمسينا وليس أحد من العرب إلا
وهو يرغب الينا ويرهب منا وأصبحنا وليس أحد من العرب إلا ونحن نرغب اليه ونرهب
منه ثم أنشأت تقول

فينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذ نحن فيه سوقة نتعفف
فأف لدينا لا يدوم نعميها تقلب تارات بنا وتصرف
فاستحسن سعد كلامها وأكرامها فلما أرادت الانصراف قال لها سلى حاجتك
قالت خرابة أعمرها وأعيش بانتفاعها فقال لعماليه اطلبوا في الولاية خرابا فطلبوا فلم يجدوا
فقال لها سعيد لم نجد في الولاية خربة فاخترارى معمورة فقالت الحمد لله على أياديه حيث وفق
آبائى للعدل حتى عمروا الدنيا بعد لهم وساموها الى غيرهم معمورة فاجتهد أيها الأمير في
تسليمها الى غيرك أن تكون عامرة كما أخذتها وتستحق رحمة الخالق ومحمدة الخلق وإياك
أن تسعى في خراب وأما أنا فبعد اليوم لأرجو سرورا ولا تمتدعيني الى زهرة الدنيا ثم دعت
له فقالت لا جعل الله لك الى لثيم حاجة ولا زالت لكريم عندك حاجة مقضية أبدا وشكرت
يد افتقرت بعد غنى ولا نابتلك يد استغنت بعد فقر ولا زال الله عن قوم كرام نعمة إلا وجعلك
سبيلاردها

❖ ليلي بنت لكيز جاهلية ❖

قد بلغت منها العفة مبلغا عظيما فقد سببت الى بلاد العجم واستعملوا معها كل قساوية
بربرية للوصول الى قضاء وطهرهم منها فكانت تمتنع عن اجابة طلبهم حتى انهم تحايلوا عليها
كثيرا وأظهروا لها من نفائس المجوهرات والملبوس ما يجعل النفس تميل اليه فكانت
تزداد تمسك بعقها حتى ان ربيع الايادي قال لزوجته عند ما خاطبته في شأنها ان لم تفعل
مأثوم به من الملك لأعذبها عند اباشكيدا ثم قام اليها وعدها ويهددها ويرغبها في الملك
ويشوقها الى نعميه وزخرفه اذا فعلت مأثوم به فلما أكثر عليها أنشأت تقول
يا صاحب القصر لا حبيب من رجل لقد غمت بما تغتال بالغيل

اصبر سجنى الذى سلفت فى عجل بما فعلت بلا ريب ولا مهل
من مخبرى لى برّاقا واخونه أسد العرين أولى الغارات بالأسل
صنع الأيادى شر الناس كلهم هيماء برّاق عنى اليوم فى شغل
لا تحذلوا لى لكيزا يا بنى أسد واستغضبوا مضرا يأتون فى عجل
فامافرغت قال لهاسته كوني أنت حاكمة على الممالك والمتصرفين قالت هولك وعليك
وأنشدته أبياتا جاء فى آخرها

وأنا للنسبية والعفيفة فاعلمن يا بنى الدنية يا بنى كل أنان
فانف بردين طريق من آخر شعرها وقال لها ويحك أبردين طريق ابن أنان أليس أيا
وربيعة اخوانه قالت لا كذبت يا بنى الفارسية ما أنت لا ياد ولو كنت لا ياد مارضيت فى
ربيعه هذا الفعل ولكن شبه زعيم فازداد غيظا وأمر بها فقيدت وغلّت وضربت ضربا
شديدا فسألته زوجته فيها فلم يشفعها فأقبلت عليها وقالت يا أختاه قد بلغت فى عرضك عنبرا
فاقبلى نصيحتى فليس هذا أوان عقة فان ذلك لو كنت فى رجالك وفى عشيرتك فقلت القتل
والعذاب أهون على مما يطلبه منى ثم بكّت وأنشأت تقول

ليت للبراق عينا فترى ما أقاسى من عناء وبلاء
يا كليما يا عقيل اخوتى يا جنيدا اسعدونى بالبكا
عذبت أحتكم يا ويلىكم بعذاب النكر صبحا ومسا
غللوني قيدوني ضربوا موضع العقة منى بالعصا
يكذب الاعجم ما يقربنى ومعى بعض حشاشات الحيا
قيدوني غلّلوني وافعلوا كل ماشئتم جميعا من بلا
فأنا كارهة نعيمكم ويقين الموت شئ يرتجى
يا بنى كهلان يا أهل الفلا أندلون علينا العجا
يا أيا د حشرت أيدىكم خالط المنظر من برد عمى
يا بنى الاغباط أما تعطفوا لبني عدنان أسباب الرجا
فاضطبارا أو عزاء حسنا كل نصر بعد ضر يرتجى
أصبحت ليلي تغلل كفها مثل تغليل الملوك العظما
وتقيد وتكبل جهرة وتطالب بقيحات النبا
قل لعدنا هديتم شمرنا لبني مبعوض شهد بالوفا

واعقدوا الريات في أقطارها واشهروا البيض وسيروا في الضحى
يا بني تغلب صيروا وابصروا وذروا العقلة منكم والكرى
احذروا العار على أعقابكم وعليكم ما يقيم في الدنيا

حكى الاصمعي قال قال لى رجل من بني ضبة أضللت ابلاى فأنا فى طلبها حتى أتيت بلاد
بنى سليم فبينما أنا فى صحرائها إذ أنا بجارية أعشى والله بصرى اشراق وجهها فقالت لى يا عبد
الله ما بغيتك قلت أضللت ابلاى فأنا فى طلبها قالت أتحب أن أرسدك الى من عنده علمها
قلت أجل ومن هو قالت الذى أعطا كهاهو أخذها وان شاء ردها فسله من طريق اليقين
لامن طريق الاختبار فأعجبني ما سمعت من بديع مقالها وراعى ما رأيت من بارع جملها
فقلت لها هل لك بعلا قالت كان فدعى الى ما خلق له ونعم البعل كان قلت فهل لك فى بعل
لا تدم خلائقه ولا تخشى بوائقه فاطرقت طويلا ثم رفعت رأسها وعيناها نذرتان دموعا
وأناشدت

كننا كغصنين فى أصل غداؤهما ماء الجداول فى روضات جنات
فأجئت خيرهما من جنب صاحبه دهر يكر بفرحات وثرجات
وكان عاهدنى ان خاننى زمن أن لا يضاجع أبى بعد مشوات
وكنى عاهدته أيضا فعاجله ريب المنون قريبا منسنيات
فاصرف عناك عن ليس يصرفها عن الوفاء خلاف فى التحيات

قالت اعرايسة لابنها يابنى عليك بحسن الخلق وجمل العشرة ولطف المرافقة ولين
الجانب والاحتمال للصاحب وكف الاذى والمقاسمة فى الغذاء فانك تسقى القلوب وتنال كل
مطلوب ويحفظك علام الغيوب

﴿ امة بنت الحرث التغلبية ﴾

كانت من فضليات النساء فى العرب ولها حكم مشهورة فى الاخلاق والمواظف فقد أوصت
ابنتها أم اياس بنت عوف ليله زفافها الى زوجها بالوصية الآتية
قالت لها يا بني ان الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أولئك قدم حسب لزويت ذلك
عنك ولا بعدته منك ولكن انذكرة للعاقل ومنبهة للغافل
أى بنية لو استغنت امرأة عن زوج بفضل مال أبيها لكنت أغنى الناس عن ذلك
ولكن الرجال خلقنا كما خلقوا لنا

بئنة إنك قد فارقت الحى الذى منه خرجت والعش الذى فيه درجت الى وكرلم
تعرفيه وقرين لم تألفيه أصبح بملكه عليك مليكا فكوفى له أمة يكن لك عبدا وشيكا
واحفظى عني خلا لا عشرة يكن لك ذكرا وذخرا - أما الاولى والثانية - فالصحة
بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة فان فى القناعة راحة القلب وفى حسن
المعاشرة مرضاة الرب وأما الثالثة والرابعة فالعاهدة لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه
فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب ريح واعلمى يا بئنة ان الكحل
أحسن الحسن الموجود والماء أطيب الطيب المفقود والخامسة والسادسة التعاهد
لوقت طعامه والتفقد لحين منامه فان حرارة الجوع ملهية وتنغيص حاله مكربة وأما
السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيتهم وماله والرعاية لحشمه وعياله فان حفظ المال أصل
التقدير والرعاية للحشم والعيال من حسن التدبير وأما التاسعة والمعاشرة فلا تفشين
له سرا ولا تعصين له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت أمره أو غرت
صدره واتقى مع ذلك كله الفرح اذا كان ترحا والا كئيب اذا كان فرحا فان الاولى
من التقصير والثانية من التكدير وأشد ما تكونين له اعظاما أشد ما يكون لك
اكراما وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة واعلمى يا بئنة انك
لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرى رضاه على رضاك وتقدمى هواه على هواك فيما أحببت أو
كرهت والله يضع لك الخير وأستودعك الله وهذا من أكمل الوصايا وأعمها
وأبلغها وأتمها

وحكى أنه مر فتى غر من عرب الحاضرة بجارية من عرب البادية تبهت الناظر جالا
وتكبت الذاكر مقالا وتشغل النفوس براعة وجمالا ففتن بها فسأل عنها أهل هى بكر
أم ثيب فقييل هى بكر لها عم وليس لها أب حى فقصد رجلا من كبار قومها واستنهضه
لخطبتها فأتيا عمها فى جماعة فعرضوا عليه الامر فقال والله ما لنا فى أنفسنا معارأى فكيف
فى نفسها لكف أعرض عليها الامر فدخل اليها ثم خرج اليهم وقد جلست خلف سحف
فقال ها هى ثم قالت اللهم حى العصابة بالسلام وأجزل لهم ثواب ما قصدوه فى دار المقام
قل يا عم

اى بئنة هذا عمك نظير أبوك يخطبك على ابن عمك ونظيرك ويمدلك من الصداق
ما يرضيك فقالت له يا عم أضرت بك الحاجة حتى طمعت طمعا أدخل بمرءتك أزواجى

غلاما غرا حضر يا يغلبني بفطنته ويصول على بمقدرته ويمتن على بتفضله ويطولني بذات يده ويقول يا هناء يا بنت الهناء ثم أعيش بعدها كلا إن الله واسع كريم سميع عليم غفور رحيم والله لا تزوجت الا رجلا كاملا فيه ثلاث خصال العقل والجمال واللسان فاذا كان عاقلا دارني وان كان جميلا ألهاني وان كان لسانا رضاني وازددت به علما الى علمي وفهما الى فهمي انصرفوا يغفر الله لكم

﴿ أم الخير البارقية ﴾

من فضليات النساء وفصحائهن وانتصرت لعلی رضى الله عنه يوم صفين كتب معاوية الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الخريش البارقية برجلها وأعلمه انه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشر شرا فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فأقرأها الكتاب فقالت أما أنا فغير زائغة عن طاعته ولا مقلدة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تحتلج في صدرى فاما شيعتها وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الى أن مجازيني بقولك في بالخير خيرا وبالشر شرا فاعندك قالت يا هذا لا يطمعنيك بركي أن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خيرة مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلهامع حريمه ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع وعندده جلساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لها وعليك السلام يا أم الخير وبالرغم منك دعوتيني بهذا الاسم قالت مه يا أمير المؤمنين فان بدية السطان مدحضة لما يحب عامه (ولكل أجل كتاب) قال صدقت فكيف حالك يا خاله وكيف كنت في مسيرك قالت لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت اليك فأنا في مجلس أتيق عندملك رفيق قال معاوية بحسن نيتي ظفرت بك قالت يا أمير المؤمنين أعينك بالله من دحض المقال وما تردى عاقبته قال ليس هذا أردنا أخبريني كيف كان كلامك يوم قتل عمار ابن ياسر قالت لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات نقهن لسانی حين الصدمة فان شئت أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت قال لا أشأ ذلك ثم التفت الى أصحابه فقال أيكم يحفظ كلام أم الخير فقال رجل من القوم أما أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد قال هاته قال نعم كأتى بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها برد زبيدي كثيف الحاشية وهي على جل أرمك وقد أحيط حولها ويدها سوط منتشر الظفيرة وهي كالفلج يهدر في شقشقته تقول يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في

عبياء مبهمه ولا سوداء مدلهمة فأنى تريدون برحمتكم الله أفرار من أمير المؤمنين أم فرارا
من الزحف أم رغبة في الاسلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله عز وجل يقول
ولنبليوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم . ثم رفعت رأسها إلى السماء
وهي تقول قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة ويبدك يا رب أزمه القلوب
فاجمع الحكمة على التقوى وألف القلوب على الهدى هلم وارحمتكم الله إلى الامام العادل
والوصي الوفي والصديق الاكبر انها احن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية وثب
بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس ثم قالت قاتلوا (أئمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلمهم ينتهون) صبرا معاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات
من دينكم وكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمة مستنفرة فرب من قسورة لا تدرى أين
يسلك بها من فجاح الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة
بالعمى عما قليل ليصبح نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة انه والله من ضل عن
الحق وقع في المباطل ومن لم يسكن في الجنة نزل في النار

أيها الناس ان الاكياس استقصروا وعمر الدنيا فرضوها واستبطؤا مدة الآخرة ففسعوا
لها والله أيها الناس لولا ان تبطل الحقوق وتبطل الحدود ويظهر الظالمون وتقوى كلمة
الشیطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه فإلى أين تريدون برحمتكم الله عن
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وأبي ابنه خلق من طينته وتفرع عن نبعته
وخصه بسمره وجعله باب مدينته وأعلم بحبه المسامين وأبان ببغضه المنافقين فلم يزل كذلك
يؤيده الله بمعونته ويمضي على سنن استقامته ليعرج لراحة اللذات وهو مفلح الهام ومكسر
الأصنام اذا صلى والناس مشركون وأطاع والناس مرتابون فلم يزل كذلك حتى قتل
مبارزى بدر وأفنى أهل أحد وفرق جمع هوازن فيا لها وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا
وردة وشقا قدا جهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته

فقال معاوية إيه يا أم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى والله لو قتلتك ما خرجت في ذلك قالت
والله ما يسوؤني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقاءه قال هيئات
يا كثيرة الفضول مات قولين في عثمان بن عفان قالت وما عسيت أن أقول فيه استخلفه الناس
وهم كارهون وقتلوه وهم راضون فقال أيها أم الخير هذا والله أصلاك الذي بنيت عليه قالت
لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ولقد كان سباقا إلى الخيرات وانه لرفيع

الدرجة قال فاتقولين في طلحة قالت وما عسى أن أقول في طلحة اغتيل من مأمنه وأنى من حيث لم يحذر وقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتقولين في الزبير قالت يا هذا لا تدعنى كرجيع الضبع يعرك في المكن قال حقاً لتقولن ذلك وقد عزمت عليك قالت وما شئت أن أقول في الزبير بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له بالجنة ولقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الاسلام وإنى أسألك بحق الله يا معاوية فإن قرىشت تحدث أنكم من أحلمها أن تسعنى بفضل حامك وأن تعفينى من هذه المسائل وامض لما شئت من غيرها قال نعم وكرامة قد أعفيتك وردها مكرمة إلى بلدها

✽ الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية ✽

وهي ممن اشتهرن أيضاً بالخطابة في يوم صفين فبروى انها ذكرت عند معاوية يوماً فقال جلسائه أيكم يحفظ كلامها قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين قال فأشير وأعلى في أمرها فأشار بعضهم بقتلها فقال بنس الرأي أيحسن بمثل أن يقتل امرأته ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محرمة وعدة من فرسان قومها وأن يهد لها وطأً ليناوليها بسترها بستر خصيب ويوسع لها في النفقة فاما دخلت على معاوية قال مرحباً بك وأهلاً قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله الملك النصر قال كيف كنت في مسيرك قالت ترابية بيت أو طفلاً مهداً قال بذلك أمرناهم أندرين فيم بعثت اليك قالت وإنى لي بعلم ما لم أعلم وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل قال ألسنت الراكبة الجلل الأجر والواقفة بين الصفتين بصفين تحضين الناس على القتال وتوقدين نار الحرب فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبترا الذنب ولن يعود ما ذهب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعد الأمر قال لها معاوية أنت تحفظين كلامك يومئذ قالت لا والله لقد أنسيته قال لكنى أحفظه لله در أبوك حين تقولين أيها الناس ارعوا وارجعوا أنكم أصبحتم في فتنه غشتكم جلايب الظلم وجات بكم عن قصد المحجة فيالها فتنه عماية صماء بكاء لا تسمع لنا عقبها ولا تسلس لقائدها ان المصباح لا يضيء في الشمس والكواكب لا تنير مع القمر ولا يقطع الحديد إلا الحديد إلا من استرشد أرشدناه ومن سألنا أخبرناه أيها الناس ان الحق كما يطلب ضالته فأصابها فصبها يا معاشر المهاجرين والأنصار على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة التقوى ودمع الحق باطله فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وإنى ليقضى الله أمرها كان مفعولاً ألا وأن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال

الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر خير في عواقب الأمور أيها الحرب قد ما غيرنا كصين ولا
متشا كسين ثم قال لها يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكته قالت أحسن الله بشارتك
وأدام سلامتك فثلك من بشر بخير وسر جلس به قال ويسرك ذلك قالت نعم سررت بالخير
فاني لي بتصديق الفعل فضحك معاوية وقال لوفاء كم بعد موته أعجب عندي من حبكم له في
حياته اذ كرى حاجتك قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسي أن لا أسأل أميرا أعنت عليه
أبدا ومثلك من أعطى من غير مسألة وجاد من غير طلبه قال صدقت وأمر لها وللذين جاؤا معها
بجوائز وكسا

﴿ عكرشة بنت الأطرش ﴾

وقد خطبت يوم صفين أيضا ودخلت على معاوية متوكئة على عكازها فسلمت عليه
بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية الآن صرت عندك أمير المؤمنين قالت نعم إذ لا على حتى
قال ألسنت المتقلدة جمائل السيف بصفين وأنت واقفة بين صفين تقولين أيها الناس عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتمديتم ان الجنة لا يحزن من قطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت
من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين في
دينهم مستظهريين على حقهم ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب لا يفقهون الايمان ولا
يدرون ما الحكمة دعاهم الى الباطل فأجابوه واستدعاهم الى الدنيا فلبوه فالله الله عباد الله
في دين الله واياكم والتواكل فان ذلك ينقض عرى الاسلام ويظفي نور الحق هذه بدر
الصغرى والعقبة الأخرى يامعشر المهاجرين والأنصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على
عزيمتكم فكا في بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحجر الناهقة تقصع قصع البعير ثم قال
فكا في أراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت
الأطرش فان كدت لتضلين أهل الشام لولا قدر الله وكان أمر الله قدر امقدورا فاحلك على
ذلك قالت يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن شيأ ان تبد
لكم تسؤلونكم) الآية وان اللبيب اذا كره أمره لا يحب اعادته قال صدقت فاذا كرى حاجتك
قالت كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وقد فقدنا ذلك فإيجبر لنا كسير
ولا ينعش لنا فقير فان كان عن رأيك فثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان عن
غير رأيك فامثلك من استعان بالخونته ولا استعمل الظلمة قال معاوية يا هذه انه ينوء بنا من
أمور رعيننا نغور تنفق ويحور تنفق قالت سبحان الله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه

شمر را لغیر ناو هو علام الغیوب قال معاویة هیات یا اهل العراق انهم على فلن نطا قوائم
أمر برصد صدقاتهم فیهم وانصافهم

❖ سيدة الصالحة ❖

هی بنت أحمد بن جعفر بن أحمد كانت بعیدة الصیت بالجمال والکمال والأدب وكانت
تسمى بلقیس الاسلام وكان زوجها المکرم الصلیحی لمات عنها نازکها بدار العز التي بناها
بمدینته فی بلاد الیمین فلما استولى ابن أحمد بن المظفر الصلیحی علی الملك أراد أن یتز وجها
لیس کم له ملکة فامتعت منه فغرم علی قتالها ثم أشیر علیه بان یکتب فی أمرها المستنصر
العبدی صاحب مصر إذ كان أهل الیمین قائمین بدعوته فامتثل ذلك وأرسل الیه رسولین
من قبله فی هذه القضية فرجع الیه بقضاء حاجته ومعهما خصی برسم الکلام معها فدخل
الخصی الیها وقد حضر وجوه أهل الدولة فأمین لقیامه فقال أمیر المؤمنین یسلم علی الجهة
المالکة السیدة الرضیة الطاهرة الزکیة وحیده الزمن وسیدة ملوک الیمین عمدة الاسلام
خلاصة الأنام ذخیرة الدین ولیة أمیر المؤمنین ویقول لها ما کان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضی
الله ورسوله أمرًا أن یتکون لهم الخیرة من أمرهم ومن یعصی الله ورسوله فقد ضلّ لا
میینا وقد زوجک مولانا أمیر المؤمنین أمیر الأمراء أبی حمیر سبأ بن أحمد علی ما حضر من المال
وهو مائة ألف دینار ذهباً عینا وخسونا ألفاً أصنافاً تحفا وألطافاً فقالت أما کتاب مولانا
أمیر المؤمنین فانی أقول فیہ انی ألقى الیه کتاب کریم وأما أنت فوالله ما جئنا الی مولانا من سبأ
بنبأ یقین بل حرّقا القول عن مواضعه وسوّلت لکم أنفسکم أمراف صبر جمیل والله المستعان
علی ما تصفون وتم عقد النکاح بینهما واستأذنها زوجها الأمیر فی الدخول بها بدار العز
فأذنت له فدخل ومدیده الیها أول مرة فلم تمتنع علیه ثم أراد المعاوذة فنعتة وغضب علیها
وخرجت من البیت الذی كانت معه فیہ ولم یجتمع بها إلا تلك اللیلة خاصة وبعض أهل الیمین
یقولون انهم یرهاونما أجلست له تلك اللیلة جاریة من جواربها فعلم بذلك وکتب الأمر ولم
یفقه فی هذه هی المرأة العفیفة

❖ عائشة بنت طاححة ❖

هی زوجة مصعب كانت جمیلة فی قومها وأبدع امرأة بالمدينة وأجمل وأکمل نسائها
وهی أول من خضب من نساء العرب أطراف الاصابع وأول من لبس العصائب الدیاج
المنسوجة بالذهب والجوهر وأول من اتخذت لشعرها طرة ومشطته بماء الورد والمینک

وأول امرأها الناس في الموقف في هودج وأول امرأة أقام معها زوجها سبعة أيام لا يظهر
وأول امرأة رأى الناس الصرر المختومة تخرج إلى المستورات من جيرانها فيها الدراهم
يوم أسبوعها وأول امرأة سهرت على زوجها من الغيرة حتى طلع الفجر

﴿ خديجة أم الفضل ﴾

هي بنت أحمد بن عبد العزيز أبي القاسم بن عبد الرحمن أم الفضل ابن شهاب الدين
النيویری القرشية فهي أعظم النساء ديناً وكرماً وعبادة دخلت في زمرة أفاضل العلماء
بحماسة الفضل وكانت لا ترغب فيما يميل إليه النساء وكانت تكتب وتقرأ ولها فضائل وتنظم
الشعر الجيد وبينها وبين عامر عصرها وصلحائه مكاتبات ولها قصيدة أولها
حمل الغرام على مالا أجل فرثي لحالي من يلوم ويعذل

﴿ عائشة بنت أبي بكر الصديق ﴾

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولها خطب ووقائع مشهورة وكانت هي
السبب في واقعة الجمل وكانت أفصح أهل زمانها روت عنها الرواة من الرجال والنساء وكان
مسروق إذا روى عنها يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق البريئة المبرأة وقال عطاء بن أبي
ربيع كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة وقال عروة ما رأيت أحداً
أعلم بفقهِ ولا بطيب ولا بشعر من عائشة

﴿ عالية بنت المهدي ﴾

هي أخت هارون الرشيد كانت في زمانها تساجل الأدباء وتناظر العلماء ذات عفة وأدب
واتخذت الغصائب المكلفة بالجواهر لتستر بها جبينها فأحدثت شياً لم يتبعه النساء أحسن
منه واشتهرت بالغناء وحسن الصوت وأجادت الشعر وهي القائلة

أيا سرورة البستان طال تشوقي فهل إلى طبل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقتضى خروجه وليس لمن يهدى إليه دخول
عسى الله أن نرنح من كربة لنا فيلتقي اغتباطاً خلة وخليل

﴿ ولادة بنت المستكفي ﴾

هي بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله كانت
واحدة في زمانها المشار إليها بالبنان حسنة المحاضرة مشكورة الذاكرة وكانت عالمة
كاتبة شاعرة لها مجلس تمتد فيه الموائد ويحجق بها فيه العلماء والفضلاء والشعراء والأدباء

وكانت بدون تشكيل ولا كنه عفيفة شريفة كتبت بالذهب على الطراز الايمن
أنا والله أصلح للمعالي وأمشى مشيتي وأتته تها
وكتبت على الطراز الايسر

أمكنى عاشقي من حن خدي وأعطى قبلي من يشتهها
وهي القائلة تعارض الأبيات الاولى بهذين البيتين

اني وان نظر الانام ليهجتي كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواحشا ويصدغن عن اخنا الاسلام
وفيها خلع ابن زيدون عذارة وقال فيها القصائد الطنانة وكانت لها جارية سوداء بدیعة
المعنى فظهر لولادة ان بن زيدون مال اليها فكتبت له

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهوى جاريتي ولم تتخير
وتركت غصنا مثقرا بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثقر
ولقد علمت بأنني بدر السما لكن ولعت لشقوتي بالمشتري

ولها أشعار كثيرة وقال عنها ابن بشكوال في كتاب الصلة وذكره صاحب نفح الطيب
انها كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر تساجل الأدباء وتفوق البرعاء وعمرت
عمر اطويلا ولم تتزوج قط وماتت في سنة ٤٨٤ وكان أبوها المستكفي بانيه أهل قرطبة لما
خلعوا المستظهر وكان خملا وخرجت هي في نهاية الادب والظرف حضور شاهد وحرارة
أوبد وحسن منظر وحوالة مورد ومصدر وكان مجلسها بقربة منتدي لاحرار المصر
وفناؤها ملعبا لجياد النثر يعيشو أهل الادب الى ضوء غرتها و يتها لك افراد الشعراء
والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب
وكرم انساب وطهارة أثواب على أنها أوجبت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها
بلذاتها ولما صرت بالوزير أبي عامر وامام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار ور بما استقدت
بشيء مما هنالك من الاقدار وقد نشر أبو عامر كيمه ونظر في عطفه وحشر أعوانه اليه فقالت
أنت الخصيب وهذه مصر فتدققا فكللا كما بحر

فتركتها لا يحير صرفا ولا يرد طرفا وهي بالغرب كعلية بالشرق

❖ بثينة بنت المعتمد ❖

هي بنت المعتمد بن عباد كانت جميلة بارعة في الشعر طاهرة الذيل ويدل على طهارتها

انه لما وقع الذهب في قصر أبيها كانت في جملة من سبى واخفت أخبارها عن أمها وأبيها مد
من الزمان لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين
الناس الى الآن وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه فنظر من
شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لأهل لك لا بعقد
نكاح ان رضى أبي بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها وانتظار جواب
فكان الذي كتبه بخطها من نظمها ماصورة

اسمع كلامي واستمع لمقاتلي	فهى السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا انى سميت وانى	بنت الملك من بنى عباد
ملك عظيم قد تولى عصره	وكذا الزمان يؤول للارفساد
لما أراد الله فرقة شملنا	وادافنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبى فى ملكه	فدنا الفراق ولم يكن بمرادى
فخرجت هاربة لخازنى امرؤ	لم يأت فى اعجاله بسداد
اذا باعنى بيع العبيد فضمنى	من صاننى الامن الانكاد
وأرادنى لنكاح نجل طاهر	حسن الخلاق من بنى الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك فى الرضا	ولانت تنظر فى طريق رشاد
فمساك يا أبتي تعرفنى به	ان كان ممن يرتجى لوراد
وعسى رميكة الملاك بفضاها	تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لأبيها وهو بأغمت واقع فى شرك الكروب والزمان سره وأمرها
بحيائها ورأى ان ذلك للنفس من أحسن أمنيته إذ عملها ما آل اليه أمرها وجبر كسر هان
ذاك أخف الضررين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء
كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور

بنيتى كوني به بره فقد قضى الدهر باسعافه

﴿ أسماء العامرية ﴾

من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن علي رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري
وتسأله فى رفع الأزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفى آخرها قصيدة أولها
عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا أمير المؤمنين

إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فيناشجوننا

ومن بلاغتهن أيضا انه ركب المعتد في النهر ومعه ابن عمه ووزيره زردت الريح النهر
فقال ابن عباد لابن عمار أجز
* صنع الريح من المأزرد *
فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات * أي دريع لقتال لوجد *
فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاداهى صورة حسنة
فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك

مرت أعرابية بجماعة من نير فأداموا لها النظر فقالت يا بني غير ما فعلتم بقول الله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فأطرقوا حياء

قال أعرابي خرجت في ليلة بهيمة فاذا أنا بجارية كأنها علم فراودتها فقالت أملك
زاجرا من عقل ان لم يكن لك ناه من دين فقلت انه لا يرانا الا الكواكب فقالت
وأن مكوكبها

نزل أسدي بطائية في يوم طائف فأتته بقرى ففتنته بعينها من وراء البرقع فراودها
فقالت أما بر وعك الكرم والاسلام كل وأقل وان أردت غير ذلك فارنجل

وروى أن ابرويز راود امرأة على الفجور فقالت أيها الملك ان المرأة طبعت على
ثلاث أجزاء من الانسانية فاذا اقتضت ذهب جزء واذا حبلى ذهب جزء واذا ولدت ذهب
جزء وقد أنيبت عن ذلك فأنا أعيد الملك أن يخرجني عن حد الانسانية

✽ أم حكيم ✽

هي بنت زينب بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كانت هي وأمها من أجل نساء
قريش فكانت قريش تقول لأم حكيم الواصلة بنت الواصلة وقيل الموصلة بنت الموصلة
لانهما واصلتا الجمال بالكمال وقد تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك في حياة جده
عبد الملك ولما عقد الكاح بينهما كان في المجلس عبد الملك فأمر بادخال الشعراء ليهنؤهم
بالعقد ويقولون في ذلك أشعارا فدخل جرير وقال

جمع الأمير اليه أكرم حرة في كل ما حال من الاحوال

حكيمه علت الروابي كلها بمفاخر الاعمال والأحوال
 واذا النساء تفاخرت ببعولة فخرتهم بالسيد الفضال
 عبد العزيز ومن يكلف نفسه أخلاقه يلبث بأ كئيف بال
 هنأتكم بمودة ونصيحة وصدقت في نفسى لكم ومقالى
 فلهنك النعم التى خوئتها ياخير مأمول وأفضل وال
 فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم وأمر لجمع من حضر من الرؤساء والكتاب بعشرة
 آلاف دينار

حكى أن أعرابية دخلت البادية فسمعت صراخا فى دار فقالت ما هذا فقبل لها مات لهم
 انسان فقالت ما أراهم الامن ربهم يستغيثون وبقضائه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون
 قالت أعرابية وقاكم الله هو المطلاع وصرف عنكم سوء المضطجع وأحسن اليكم
 فى المرتجع ولاساءكم فيما صنع فعجبوا من كلامها وأحسنوا اليها

❦ زينب بنت حدير وتزوج مشريخ لها ❦

قال مشريخ يا شعبي عليكم بنساء بنى تميم فانهن النساء قال قلت وكيف ذلك قال انصرفت
 من جنازة ذات يوم مظهرا فخرت بدور بنى تميم فاذا امرأة جالسة فى سقيفة على وسادة
 وتجاهها جارية حسناء ولها ذوائب على ظهرها جالسة على وسادة فاستسقيت فقالت أى
 الشراب أعجب اليك ألبنيذ أم اللبن أم الماء فقلت أى ذلك تيسر عليكم فقالت
 اسقوا الرجل لبنا فانى أخاله عربيا فامشربت نظرت الجارية فأعجبتنى فسألتها من هذه
 فأجابت ابنتى احدى نساء بنى تميم فقلت أتزوجينها فقالت نعم ان كنت كفيلا ولها عم فاقصده
 فقصدهما وطلبها منه وتزوجها وقد ندم بعد تزواجهما وهم بطلاقها فراجع نفسه ثم قال أجمعها
 الى فان رأيت ما أحب والأطلقها وقد دار بينه وبينها الحديث فقالت الحمد لله انى امرأة
 عربية ماسرت مسيرا قط أشرف على منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدثنى بما
 تحب فأتيته ومات كرهه فانزجر منه فقال الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد قدمت خير مقدم
 على أهل دار زوجك سيد رجالهم وأنت سيدة نساؤهم أحب كذا وأكره كذا قالت
 اخبرنى عن اختناك أتحب أن يزورك فقلت انى رجل قاض وما أحب أن تملونى فكنت

لارى يوما ألا وهو أفضل من يوم حتى اذا كان عندى رأس الحول دخلت منزلى فاذا
بمعجوز تأمر وتنهى قلت يا زينب من هذه فقالت أمى قلت حياك الله بالسلام قالت أبا أمية
كيف أنت وحالك قلت بخير أحمد الله قالت أبا أمية كيف زوجتك قلت بخير امرأة قالت
ان المرأة لا ترى فى حال أسوأ خلقا منها فى حالين اذا حظت عند زوجها واذا ولدت غلاما فان
رابك منها ريب فالسوط فان الرجال والله ما حازت الى يموتهن شرامن الولهاء المتدلة قلت
أشهد أنها ابنتك قد كفيتمنا الرياضة وأحسنتم الادب قال فكانت فى كل حول تأتيننا
فندكرها شعر

رأيت رجلا يضربون نساءهم فسلت يمينى يوم أضرب زينبا
أضربها فى غير جرم أتت به الى فاعذرى اذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحلى ان حليت كأن بغيرها المسك خالط محلبا

ومنهن خصة بنت حابث الايدى وصخرة بنت النعمان وخصيلة بنت عامر وحندام
بنت الريان وهى القائلة لو ترك القطا ليلا لنام

قال المفضل الضبي أول من قال ذلك حندام بنت الريان وذلك أن عاطس بن حلاج سار
الى أبيها فى حمير وضغم وجعفى وهمدان ولقيهم الريان فى أربعة عشر حيامن أحياء اليمن
فاقتتلوا قتلا شديدا ثم تحاجزوا وان الريان خرج تحت ليلة وأصحابه هربا ففساروا يومهم
وليالتهم ثم عسكروا وأصبح عاطس فعدا لقتالهم فاذا الارض منهم بلاقع فجئت فى الطلب
فانتهوا الى عسكر الريان ليلا فلما كانوا قريباً منه أثاروا القطا فحرت على أصحاب الريان
فخرجت حندام الى قومها فقالت

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لنام

فلم يلتفتوا الى قولها وأخلدوا الى المضاجع لما نابهم من السكال فقام ديسم بن طارق فقال
بصوت عال

اذا قالت حندام فصدقوها فان القول ما قالت حندام

فنار القوم فلجأوا الى واد كان قريبا منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا منهم وفى
رواية أخرى أن البيت للجم بن صعب فى امر أنه حرام

والحكايات والاخبار فى ذلك كثيرة والاطناب يخرج عن الحد المقصود ويؤدى الى
الملال وفيما ذكرنا من ذلك مقنع ومن أراد التوسع فعليه بمراجعة كتاب بلاغات النساء

وكتاب النساء لأبي الفرج وكتاب الصلوة لابن بشكوال ونفع الطيب وتاريخ بغداد لابن
الخطيب البغدادي وقد بلغت الغيرة في الرجال على النساء الى حد أنهم كانوا يشدون بناتهم
خوف العار والمذلة

الفصل الثامن

في

الغيرة

الغيرة قوة نفسية تتولد في الانسان بحسب ميله الطبيعي الى ما يغار عليه وهي توجد في
كل زمان ومكان حتى في الحيوان نفسه وقد كانت في العرب أكثر من غيرهم حتى ان من
دخل دار أحدهم والتجأ الى فناءه عدوا فاعله حرمة وجوارا وزمارا
وقد أودع الله هذه القوة في الانسان سببا لصيانة الماء وحفظ الانساب ولذلك قيل كل
أمة وضعت الغيرة فيها وفي رجالها وضعت الصيانة في نساءها
ومن مواد الغيرة المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمجود
منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهى وحكم دينى ونمط شرعى
فمن غيرة العرب ونحوهم أنهم يكنون عن الخرائث من النساء بالبيض وقد جاء القرآن
العزیز بذلك فقال سبحانه وتعالى كأنهن بيض مكنون وقد تستعمل الغيرة في صيانة
كل ما يلزم صيانته في السياسات الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسة أهله ومنزله
وسياسية مدينته وضيعته وسموها بالحكمة العملية وألقوا فيها كتباً كثيرة كما ألقوا
في غيرها



المقالة الخامسة

في

✽ الحكمة العملية ✽

(وفيها ثلاثة فصول)

الفصل الاول

في

✽ الحكمة الالهية ✽

لما كان الانسان مدنيا بالطبع وكان تركه مهملًا مؤديا الى التقاتل والتناصر والعداوة والشحناء المنافية هذه الأمور الى قضية المدن والاجتماع وعمارة المدن والاصقاع اقتضت الحكمة الالهية وضع قوانين متعلقة بجميع الاشخاص على العموم بحيث لا يختص بشخص شخص ولا بطائفة دون أخرى بل كل الطوائف والأمم سواسية في هذه السياسة والقانون الجاري بطريق التعادل

ثم ان هذه القوانين لا بد وأن تؤخذ من انسان يعامه الله بواسطة الملك ويؤيده من عنده بالمعجزات الناقضات للعادات ليصدقه الكل اذ من له قوة قدسية وحكمة تامة لا يحتاج الى المعجزات الحسية في تصديقه وأما من هو نازل عن هذه الدرجة بمرتبة أو بمراتب فإنه يحتاج الى معجزة حسية إمامرة أو حركات بحسب قوة جهله أو ضعفه وقد اشتملت الشريعة الغراء على محاسن الشرائع وأوسطها والاجتناب عن طرفي الاقتصاد وتقريرها وإفراطها فلم يترك العالم سدى بل جعل عقول البشر مهتدة الى قدر ما يفيق به النظام بين النوع الانساني وأرشدهم الى ما يكمل به مصالح دنياهم أكثر ياو بعض من مصالح آخرتهم فالذي جاءت به الرسل من عند الله تعالى هو العدل حقيقة وأما الذي استحسنه عقول

العقلاء والحكام فهو ما يشبه العدل وهي السياسة الاصطلاحية التي هـرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير وبعيد أن يبقى سلطان أو تستقيم رعية في حال إيمان أو كفر بلا عدل قائم أو ترتيب للأمور التي تشبه العدل

فالساسة ما يبق بها نظام العالم وان لم يصلح بها أمور الآخرة وقد ذكر الحكماء علومهم العملية هذه وبحوثها في الأعمال الصادرة عن البشر وتلك الأعمال اما أن تتعلق بالشخص وحده وهي علم الأخلاق واما أن تتعلق بأصل المنزل لدوام الأئس والائتلاف وهي علم تدبير المنزل أو تتعلق بأحوال أهل البلد لنظام أحوال المملكة وهي علم السياسة

الفصل الثاني

في

علم الأخلاق ❀

هو علم يعرف منه أنواع الفضائل وهي اعتدال ثلاث قوى وهي القوة النظرية والغضبية والشهوية كل منها أوساط بين رذيلتين . الحكمة وهي كمال القوة النظرية وهي التوسط بين رذيلتين البلاذة والجربة والأول تفريطها والثاني إفراطها والشجاعة وهي كمال القوة الغضبية وهي التوسط بين رذيلتين الجبن والتهور والأول تفريطها والثاني إفراطها والعفة وهي كمال القوة الشهوية وهي التوسط بين رذيلتين الخجور والفجور والأول تفريطها والثاني إفراطها

وهذه الثلاث أي الحكمة والشجاعة والعفة لكل منها فرع وكل من هذه الفروع توسط بين رذيلتين وخير الأمور الوسط وقد احتوت كتب علم الأخلاق على تعريفات هذه الأمور ثم طريق العلاج بأن يفر عن طرفي التوسط ويعتدل في الوسط

وموضوع هذه العلوم الملكات النفسانية من حيث تعدلها بين الإفراط والتفريط قال الحكماء للاسكندر أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الأمور فالزيادة عيب والنقصان عجز ومنفعته أن يكون الانسان كاملا في أفعاله بحسب الامكان ليكون أولاه سعيدا

وأخراة حميدا

الفصل الثالث

في

﴿ علم تدبير المنزل ﴾

هو علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وأولاده وخدمه وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها وموضوعه أحوال الأهل والولد والأقارب والخدم وأمثالها من حيث الانتظام

ومنفعته لا تخفى على أحد لأن حاصله أحوال انتظام الانسان في منزله ليمكن بذلك من صيانة الحقوق الواجبة بينه وبين الأشخاص المذكورة ويتفرع باعتدالها وانتظامها على كسب السعادة العاجلة والآجلة

ولابن سينار رسالة في هذه السياسات مختصرة نأتي بها هنا تماماً للفائدة ولبيان فضل رجال الاسلام على من عداهم بوضعهم أساس هذا العلم

﴿ التفاوت بين الناس في الصفات والرتب ﴾

خص الله بنى آدم بخصائص من نعمه وفضلهم بها على كثير من خلقه فجعلهم أحسن الخلق وطبائعهم أكمل الطبائع وتركيبهم أعدل التركيب ومعيشتهم أنعم المعاش وسعيهم في منقلبهم أزد السعي الى العقول الرضية التي أمدهم بها والأحلام الراجحة التي أيدهم بفضلها والآداب الحسنة التي ألبسهم جمالها والأخلاق الكريمة التي زينهم بشرفها مع التمييز الذي أراهم به فرق ما بين الخير والشر وخلاف ما بين الغنى والرشد وفضل ما بين الصانع والمصنوع والمالك والمملوك والسائس والمسوس حتى صار ذلك طريقاً لهم الى معرفة ما بين الخالق والمخلوق وسبباً واضحاً الى تثبيت الصانع القديم الإله وجوده عناداً ومكابرة عيان

ثم من الله عليهم بفضل رأفة منام مستأنفاً بان جعلهم في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في أملاكهم ومنازلهم ورتبهم متفاوتين لما في استواء أحوالهم وتقارب أقدارهم من الفساد الداعي الى فنائهم لما يلقى بينهم من التنافس والتعاسد ويثير من التباغي والتظالم فقد علم ذوي العقول ان الناس لو كانوا جميعاً مملوكاً لتفاوتوا عن آخرهم ولو كانوا كلهم سوقة لهلكوا عياناً بأمرهم كما أنهم لو استوا في الغنى لما من أحد إلا حد ولا فرد جيم حياً ولو

استو وافى الفقر لما تواضروا وهل كانوا بسا فلما كان التحاسد من أطباعهم والتباهى من
سوسهم وفى أصل جوهرهم كان اختلاف أقدارهم وتفاوت أحوالهم بسبب بقائهم وعلة
لقناعتهم فذوا المال الغفل من العقل العطل من الأدب المدرك حظه من الدنيا بأهون سبب
إذا تأمل حال العاقل المحروم وأكدار الحوّل القلب ظن بل أيقن ان المال الذى وجدته مغير
من العقل الذى عدمه وذوا الأدب المعدم إذا تفقد حال المثرى الجاهل لم يشك فى انه فضل
عليه وقدم دونه وذوى الصناعة التى تعود عليها بما عسك رقه لا يضبط ذو السلطان العريض
ولا ذا الملك المديد وكل ذلك من دلائل الحكمة وشواهد لطف التدبير وأمارات
الرحمة والرافة

✽ لزوم التدبير والسياسة لجميع الناس ✽

وأحق الناس وأولاهم يتأمل ما يجرى عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن واتقان
السياسة وأحكام التدبير الملوك الذين جعل الله تعالى ذكره بأيديهم أئمة العباد وملوكهم
تدبير البلاد واستراعاتهم أمر البرية وفوض اليهم سياسة ثم الأمثل فالأمثل من الولاة الذين
أعطوا قيادة الأمم واستكفوا تدبير الأمصار والكور ثم الذين يلوّنهم من أرباب النعم
وسواس البطانة والخدم ثم الذين يلوّنهم من أرباب المنازل ورواض الأهل والولدان فان كل
واحد من هؤلاء راع ما يجوز به كنفه ويضمنه رحله ويصرفه أمره ونهيه ومن تحت يدر عينه
ويحتاج أصغرهم شأنًا وأحقهم ظهورًا وأرقهم حالًا وأضيقهم عطنًا وأقلهم عدوانًا وحسن
السياسة والتدبير ومن كثرة التفكير والتقدير ومن قلة الاغفال والاهمال ومن الانكار
والتأنيب والتعنيف والتأديب والتعديل والتقويم الى جميع ما يحتاجه اليه الملك الأعظم
بل لو قال قائل ان الذى يحتاج اليه هذا من التيقظ والتنبه ومن التعرف والتجسس
والبحث والتنقيب والفحص والتكشيف أو من استثمار الخوف والوجل ومجانبة الركون
والطمأنينة والاشفاق من انفتاق الربق واختلال السدا كثر لأصاب مقالا لان الفذ الذى
لا يظهر له والفرد الذى لا معاضد له أخرج الى حسن العناية وأحق بشدة الاحتراز من
المستظهر بكفاية وفد الوزراء والأعوان ولان المعدم الذى لا مال له يحتاج من ترقع العيش
ومرمة الحال الى أكثر مما يحتاج اليه الغنى الموسر

ولعل منكر اينكر تمثيلنا أحوال السوق بأحوال الملوك أو عابثا يعيب موازنتنا بين
الحالتين أو قادح يقدر فى ساداتنا بين الأمرين فليعلم المتكف فى النظر فى ذلك ان تكلمنا

في تقارب الناس في الأخلاق والخلق وفي حاجات الأنفس وفي دواعي الأجساد والمنازل
دون المراتب والأخطار والأقدار

﴿ أهل الانسان ﴾

ثم ليعلم ان كل انسان من ملئ وسوقه يحتاج الى قوت تقوم به حياته وتبقى شخصه ثم
يحتاج الى أعداد فضل قوته لما يستأنف من وقت حاجته وانه ليس سبيل الانسان في اقتناء
الأقوات سبيل سائر الحيوان الذي ينبعث في طلب الرعي والماء عند هيجان الجوع ووحود
العطش وينصرف عنهم بعد الشبع والرى غير معي بما أفضله ولا حافظ لما احتازه ولا عالم
بعود حاجته اليهما بل يحتاج الانسان الى مكان يخزن فيه ما يقتنيه ويحرسه لوقت حاجته
فكان هذا سبب الحاجة الى اتخاذ المساكن والمنازل فلما اتخذ المنزل وأحرز القينة احتاج
الى حفظها فيه بمن يريدها ومنعها عن يريدها فلما قام على القينة حافظا لها راصدا لطلابها
اذن أنفأها قبل أن يريدها فاذا اقتنى ثمانية عادت حاجته الى حفظها فلا يزال ذلك دأبه حتى
يصير في مثل حيز البهيمة التي تسعى الى مرعاهامع حدوث حاجتها فاحتاج عند ذلك الى
استخلاف غيره على حفظ قينته فلم يصلح خلافته في ذلك إلا من تسكن نفسه اليه ولم تسكن
نفسه إلا الى الزوج التي جعلها الله تعالى ذكره للرجل سكنا وكان ذلك سبب اتخاذ الأهل
ولما يغشى الأهل بالامر الذي جعله الله سببا لحدوث الذرية وعلة البقاء والنسل حدث
الولد وكثر العدد وزادت الحاجة الى الأقوات وأعداد فضلائها لاقوات الحاجة احتاج عند
ذلك الى الاعوان والقوام والى الكفاة والخدام فاذا به صار راعيا وصار من تحت يده
له رعية

فهذه أمور قد استوى في الحاجة اليها الملئ والسوقة والراعي والمرعي والسائس
والمسوس والخدام والمخدوم لان كل انسان محتاج في دنياه الى قوت يسلك روحه ويقيم
جسده والى منزل يحجز فيه ذات يده ويأوى اليه اذا انصرف عن سعيه والى زوجة تحفظ
عليه منزله وتحجزه له عند سعيه والى ولد يسعى له عند عجزه ويقوم بكفايته في حال كبره ونصل
نسله ويعي ذكروه من بعده والى قوام وكفاة يعينونه ويحملون ثقله واذا اجتمع هؤلاء
كان راعيا ومسيما وكانوا له راعيا وسواما

وكما ان المسمى يلزمه ان يرتاد مصالح سائمه من الكلاء والماء نهارا ومن الخطائر والزراب
ليلا وان يذكي عيونهم في كلائها ويبيت كلابه في أفطارها ليجرسها من السباع العادية ومن

الآفات الطارقة ومن السرقة والغارة والنهب وان يختار لها المشتى الدفى والمصيف الريح ويرود لها فى طلب الكلا والنطف العذاب وان يتحين وقت عملها وان يتربح حين نتاجها ويلزمه بعد ذلك ان يسوقها الى مصالحها ويصرفها عن متألفها بنعيمه وصغيره ويزجره ووعيده فان كفاه ذلك فى حسن انقيادها واستقامة ضلعها والا قدم عليها بعصاه كذلك يلزم ذا الاهل والولد والخدام والتبع مع ما يحق عليه من حفظهم وحياتهم ومن تحقيل مؤنهم وادرار ازراقهم احسان سياستهم وتقويمهم بالترغيب والترهيب بالوعيد والوعيد بالتقرب والتباعد وبالاعطاء والحرمان حتى تستقيم له قناتهم

فهذه أقاويل مجملة فى وجوب السياسة والحاجة اليها وستتبعها بأمثلة مفسرة فى أبواب مفصلة بعد ان نقدم قبلها بابا فى سياسة الرجل نفسه فان ذلك أحسن فى النظم وأبلغ فى النفع ان شاء الله تعالى

✽ فى سياسة الرجل نفسه ✽

ان أول ما ينبغي أن يبدأ به الانسان من أصناف السياسة سياسة نفسه اذ كانت أقرب الاشياء اليه أكرمها عليه وأولاه بعنايته ولانه متى أحسن سياسة نفسه لم يعي بما فوقها من سياسة المصير ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه ان يعلم أن له عقلا هو السائس ونفسا أمارة كثيرة المعاييب حجة المساوى فى طبعها وأصل خلقها هى المسوسة وان يعلم ان كل من رام اصلاح فاسد لزمه أن يعرف جميع فساد ذلك الفاسد معرفة مستقصاة حتى لا يغادر منه شيئا ثم يأخذ فى اصلاحه والا كان ما يصلحه غير حريز ولا وثيق كذلك من رام سياسة نفسه ورياضتها واصطلاح فاسدها لم يجزله أن يتبدى فى ذلك حتى يعرف جميع مساويه معرفة محيطه فانه ان أغفل بعض تلك المساوى وهو يرى أنه قد عمها بالاصلاح كان كمن يدمل ظاهر الكلم وباطنه مشتل على الدار وكما ان الدار اذا قوى على الاهمال وطول الترك نقض الاندمال وقد فى الجلد حتى يبدل العين الناظر كذلك العيب الواحد من معاييب النفس اذا أغفل عنه كما نحتى اذا لاح له وجه ظهور طلع مكتمنه آمن ما كان الانسان له

ولما كانت معرفة الانسان نفسه غير موثوق بها فى طباع الانسان من الغباوة عن مساوئه وكثرة مسامحته لنفسه عند محاسبتها ولان عقله غير سالم من مرازجة الهوى اياه عند نظره فى أحوال نفسه كان غير مستعنى فى البحث عن أحواله والفحص عن مساوئه ومحاسنه عن معونة الاخ اللبيب الوادى يكون منه بمنزلة المرأة فقير به حسن أحواله حسنا وسيئها سيئا

وأحق الناس بذلك وأحوجهم إليه الرؤساء فأن هؤلاء لما خر جوا عن سلطان التثبيت وعن ملكة التصنع تركوا لاكثر الثالقات وتعقب الهفوات بالندمات فاستقرت عادتهم عن كثرة الاسترسال وقلة الاحتشام الا قليلا منهم برعت عقولهم ورجحت أحلامهم وتقدمت في ضبط نفوسهم بصائرهم فحسنت سيرتهم واستقامت طريقهم ومما زاد في عظم بلائهم باكتتام عيوبهم عنهم انهم هيئوا عن التعبر بالمعائب مواجعة وعن النقص ولذم مشافهة وخيفوا في اعلان الثلب والغضب والشنع والجذب والهمز والمز يظهر العيب فهما انقطع علم ذلك عنهم ظنوا ان المعائب تخطتهم والثالب جاوزتهم فلم تخرج بخطتهم ولم تعرس بأفنيتهن

وليس كذلك حال من دونهم من الرعاع والسوقة فان أحدهم لورام أن يخفى عنه عيوبه ببدهة محبة بها ويتدارك عليه بأقبحها ما استطاع ذلك فانه يخالط الناس ويلا مسهم ضرورة والمخالطة تحدث المجادلة والمدافعة وذلك من أسباب المخاصمة والمخالصة تؤدي الى التعايب بالمثالب والتراعى بالعار وعند ذلك يكاد كل واحد من الفريقين لا يرضى بذلك حقائق عيوب صاحبه بل يتهمه بالباطل ويفعل عليه الزور فهو لا قد كفوا استرشاد جلسائهم وبث الجواسيس في تعرف عيوبهم من قبل أعدائهم فانها قد جلبت اليهم من غير هذا الطريق فأما من يسالم من السوقة الناس فلا يشاورهم ويوائسهم ولا يلاحمهم فانه لا يعدم من ينهيه على عيبه وينصحه في نفسه من حميم وقريب وخليط وجليس وأكيل

ومما زاد في فساد حال الملوك والرؤساء ما تتبع لهم من قرناء السوء وقبض لهم من جلساء الشر الذين لو انهم لما نقضوا عهدهم وراغوا في صحبتهم وغشوه في عشرتهم بتركهم صدقهم عن أنفسهم وتنبههم عن عوراتهم لم يغشوه بالثناء الكاذب ولم يغروهم بالتقريظ الباطل ولم يستدرجوه باستصابة خطأهم لكانوا أخف ذنوبا وان كانوا غير خارجين عن لؤم العشرة ودناءة الصحبة ولعل أحدهم اذا تنوع في إقامة عذره وتنطع في تخفيف جرمه قال انما ندع نصحهم في أنفسهم وصر فهم عن أحوالهم اشفاقا من حيتهم وخذرا من أنفقتهم وخوفا من استنقالهم النصيحة فان للنصح لدعا كدع النار وحرا كحر السنان فعن نخاف ان فعلنا ذلك بهم أن لا يرجع إلّا استيحاشهم لنا ونفارهم منا وازورارهم عنا وعن عشرتنا فلان نظفر بهم معزلهم خير لنا ولهم من أن نخرق عليهم فلا هم يبقون لنا ولا نحن نبقى لهم هذا اذا كان صاحب رفقامة ثبتا فأما اذا كان أخرق متهورا فانه يقول لا تأمن من سقوط منزلتنا وانقطاع خلطتنا مع سورة غضبه وبادرة سطوته فيقال له انك اذا بنيت

أمرك في صحبة من تصحب على الدين والمروة لم يلزمك أن تراعى غيرهما فيما تأتي وتذر واذ اقتديت بهما وعشوت إلى نورهما لم تضل في طريق صحبة من صحبت

وقد قضيت فيك بأن صاحبك أحد رجلين إما حازم رفيق مثبته وإما أخرق متهور فالرفيق المثبت لا حوز عليه فضل ما يسد به نصحك وإن هوارناع ووجم وحى أنفه وثنى عطفه في أول ما يرد عليه منك فإذا تثبت وفكر وقدر عرف الخير الذي قصده والصلاح الذي أتمته فرجع إليك أحسن الرجوع وأما الخرق المتهور فأنت غير آمن من خرقه في أى حال شايعة أو خالفته وليس من رأى لك أن تصحب من هذه صفته فتحتاج إلى هدايته

واعلم أنه ليس لك وإن كان طريق ارشاد العاقل عن رغبته أن تركبه هائما وتسلكه خابطا ولكن ينبغي لك أن تمس العاقل بالمشورة عليه مسك الشوكة الشانكة بحسدك والقرحة الدامية من بدنك على ألين ماتمس وأرفق القول وأخفض الصوت وفي أخلى المواطن وأستر الأحوال والتعريض فيها أبلغ من التصريح وضرب الأمثال أحسن من التكميف فإن رأيت صاحبك يشرب لقلبك إذا بدر منك ويهش له ويصغى إليه فأسبغ القول في غير إفراط ولا إسهاب ولا إملال ولا تزد على الوجه الواحد من رأى ودعه يخترق في قلبه ويتردد في جوانحه فيعلم بتخلي مغيبته وإن رأيت صاحبك لا يكثر لك كلامك إذا وردت عليه فاقطعه وأحل معناه إلى غير ما أردته وأخره إلى وقت نشاطه وفراغ باله

وينبغي لمن عني بتصرف مناقبه ومثالبه أن يفحص عن أخلاق الناس ويتفقد شيمهم وخلاتهم ويتبصر مناقبهم ومثالبهم فيقيسها بما عنده منها ويعلم أنه مثلهم وانهم أمثاله فإن الناس أشباههم كأشنان المشط فإذا رأى المنقبة الحسنة فليعلم أن فيه مثلها وإما ظاهرة وإما مغمورة فإن كانت ظاهرة فليراعها وليواظب عليها حتى لا يتبدل ولا تضعحل وإن كانت مغمورة فليترها وليحياها وليحافظ على استدعائها فإنها تجيب بأهون سعى وأسرع وقت وإذا رأى المثلبة والعادة السيئة والخلق اللئيم فليعلم أن ميلها رهن لديه إما بادو إما كامن فإن كان باديا فليقمعه وليقهره وليمته بقله استعماله وشدة نسيانه وإن كان كامنا فليحرسه

لئلا يظهر

وينبغي للإنسان أن يعد نفسه ثوبا وعقابا يسوسها به فإذا حسنت طاعتها وسلس انقيادها لم يسوسها من قبول الفضائل وترك الرذائل إذا أنت بخلق كريم أو منقبة شريفة أنابها بكما رحلها وجلب السرور لها وتمكنها من بعض لذاتها وإذا ساءت طاعتها وامتنع انقيادها وجحت فلم يسلس عنانها وأثرت الرذائل على الفضائل وأنت بخلق لئيم أو فاعل

دُمِعَ عَاقِبَاهَا كَثَارَ ذَمِّهَا وَلَوْ مَهَا وَجَلَبَ عَلَيْهَا شِدَّةُ النَّدَامَةِ وَمَنْعَهَا لَهَا حَتَّى ثَلَاثِينَ لَه

﴿ فِي سِيَاسَةِ الرَّجُلِ دَخَلَهُ وَخَرَجَهُ ﴾

ان حاجة الناس الى الاقوات دعت كل واحد منهم الى السعي في اقتناء قوته من الوجه الذي ألهمه الله قصده وسبب رزقه من وجوه المطالب وسبل المكاسب ولما كان الناس في باب المعيشة صنفين صنفاً مكفياً سعيه برزق مهناه سبب له من ورائته أو جناه وصنفاً محجواً فيه الى الكسب ألهم هذا الصنف التسبب الى الاقوات بالتجارات والصناعات وكانت الصناعات أوثق وأبقى من التجارات لأن التجارة تكون بالمال والمال وشيك الفناء عتيد الآفات كثير الجوائح وصناعات ذوى المروءة نشأ أنواع نوع من حيز العقل وهو حجة الرأي وصواب المشورة وحسن التدبير وهو صناعة الوزراء والمدبرين وأرباب السياسة والملوك ونوع من حيز الادب وهو الكتابة والبلاغة وعلم النجوم وعلم الطب وهو صناعة الادباء ونوع من حيز الايدي والشجاعة وهو صناعة الفرسان والاساورة فن رام احدى هذه الصناعات فليقر بأحكامها والتقدم فيها حتى يكون من أحكامها موصوفاً بالفصاحة غير مريد ذول ولا مؤخر وليعلم انه ليس شيء أزين بالرجل من رزق واسع وافق منه استحقاقا لم يطلب معيشته بصناعة على أعف الوجوه وأرفقها وأعفاها وأبعد لها من الشره والحرص وأنا آه من الطمع الفاحش والمأكل الخبيث وليعلم ان كل فضل نيل بالغالبية والمكابرة وبالاستكراه والمجاهدة وكل ربح حيز بالاثم والعار ومع سوء القالة ووقوع الاحدوث أو ببذل الوجه ونزف الحياء أو بتم المروءة وتدنيس العرض زهيد وان عظم قدره نزر وان غزرت مادته وبيل وان ظهرت ههنا ته وخيم وان كان في مرآة العين مرياً وان الصفو الذي لا كدر فيه والعفو الذي لا كدح معه وان قل مقداره وخف وزنه أطيب مذاقاً وألس مساعاً وأتمى بركة وأزكى ريعاً

فاذا حاز الانسان ما اكتسبه فان من السيرة العادلة في ذلك أن يكون بعضه مصر وفا في الصدقات والزكوات وأرباب المعروف وبعضه مستبق مدخراً لنوائب الدهر واحداث الزمان فأما الزكوات والصدقات فينبغي ان يكون اخراجها بطيب النفس وحسن النية وانشرح الصدر والثقة بأنها العدة ليوم الفاقة وان يوضع معظمها في أهل الخلعة ممن يسائر الناس بفقره ولا يهتك ستر الله تعالى عن حاله ويتوخى ببقاها من تلحقه الرقة ممن ظهرت عيلته وبدت مسكنته وأن يجعل ذلك خالصاً لوجه الله ذي الجلال والاكرام فلا يستثمر له شكراً ولا يترصد له جزاء

وللعرف شرائط احداها تعجيله أهله والثانية كتمانها فان كتمانها أظهر له والثالثة
تصغيره فان تصغيره أكبر له والرابعة ربه ومواصلته فان قطعه ينسى أوله ويمحو أثره
والخامسة اختيار موضعه فان الصنعة اذا لم توضع عند من يحسن احتماها ويؤدي شكرها
وينشر محاسنها ويقابلها بالود والمودة كانت كالبنر الواقع في الارض السبعة التي لا تحفظ
الحب ولا تنبت الزرع

فأما النفقات فان سدادها واصلاح أمرها بين السرف والشح متردد بين التضييع
والتقدير خلافاً لذلك أمر اوجب حسن التثبت وهو أنه متى استوفى الانسان حقوق
التقدير كلها واستعرف شرائط الاقتصاد أجمع لم يسلم في ذلك على غمزة الغامر وذلك النصفة
وعوم الجور في العضية وشمول البغضاء الموكلة بكل مروءة تامة والحسد المغري بكل محدد
باذخ وشرف سامخ فلها ينبغي للعاقل أن يبني بعض أمره في الاتفاق على عقول عوام
الناس وأن يستعمل كثير من التجوز والاغضاء في المواضع التي يخشى فيها شبه السرف
وعار التضييع فان من يمدح السرف من العوام أكثر ممن يمدح الاقتصاد ويؤثر التقدير كما
أن من يمدح الاقتصاد يؤثر التقدير أخص وأتم عقلاً وأحزم رأياً

فأما الذخيرة فلا ينبغي للعاقل أن يغفلها متى أمكنته فان الانسان متى بدده صرف
الزمان بحاجة لم يكن مستظهر الحال فوق حاله واضطر الى الاستعانة بالحال الحاضرة
فيفهمها عروءة عروءة حتى يبقى معدماً والله ولي الكفاية وحسن الدفاع

❦ سياسة الرجل أهله ❦

ان المرأة الصالحة شريكه الرجل في ملكه وقيمته في ماله وخليفته في رحله وخير
النساء العاقلة الدينية الحية الفطنة الودود الولود القصيرة اللسان المطاوعة العنان
الناحجة الجيب الآمنة الغيب الرزان في مجلس الوقور في هيبتها المهيبة في قامتها
الخفيفة المبتدلة في خدمتها زوجها تحسن تديرها وتكثر قليله بتقديرها وتجلو أحرانه
بجميل أخلاقها وتسلي همومه بلطف مداراتها

وجاء سياسة الرجل أهله بحسم وسط ثلاثة أمور لاندعه وهي الهيبة الشديدة
والكرامة التامة وشغل خاطرها بالمهم

أما الهيبة فهي اذا لم تهب زوجها هان عليها واذا هان عليها لم تسمع لأمره ولم تصغ لنهييه
ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود أمره ويعود أمورها وتصير ناهية ويصير منها

وترجع مدبرة ويرجع مدبر او ذلك الانتكاس والانقلاب والويل حينئذ للرجل ماذا يجلب له تمردها وطفعتها ووجعها عليه قصر رأيها وسوء تدبيرها ويسوق اليه غياور كوابها وها من العار والسنان والهلاك والدمار فالهيمية رأس سياسة الرجل أهله وعمادها وهي الامر الذي ينسب به كل خلة ويتم تمامه كل نقص وينوب عن كل غائب ويعنى عن كل فائت ولا ينوب عنه شيء ولا يتم دونه أمر فيا بين الرجل وأهله وليست هيمية المرأة بعلمها شيئا غيرا كرام الرجل نفسه وصيانة دينه ومروءته وتصديقه وعده ووعيده

أما كرامة الرجل أهله فمن منافعها أن الحرية الكريمة اذا استجلت كرامة زوجها دعاها حسن استدامتها لها ومحاماتها عليها واشفاقها من زوالها الى أمور كثيرة جميلة لم يكدر الرجل يقدر على اصارتها اليها من غير هذا الباب بالكيف الشديد والمؤونة الثقيلة على أن المرأة كلما كانت أعظم شأنا وأخف أمرا كان ذلك أدل على نبيل زوجها وشرفه وعلى جلالته وعظم خطره وكرامة الرجل أهله على ثلاثة أشياء في تحسين شارتها وشدة حجابها وترك اغارتها

وأما شغل الخاطر بلهم فهو أن يتصل شغل المرأة بسياسة أولادها وتدير خدمتها وتفقد ما يضره خدرها من أعمالها فان المرأة اذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها هم إلا التعدي للرجال بزينة والتبرج بهيأتها ولم يكن لها تفكير إلا في استراحتها فيدعوها ذلك الى استصغار كرامته واستقصار زمان زيادته وتسخط جملة احسانه

﴿ في سياسة الرجل ولده ﴾

ان من حق الولد على والديه إحسان تسميته ثم اختيار طئره كي لا تكون حقاء ولا ورهاء ولا ذات عاهة فان اللبن يعدي كما قيل فاذا فطم الصبي عن الرضاع بدى بنأديه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة وتفاجئه الشيم الذميمة فان الصبي تتبادر اليه مساوي الأخلاق وتنازل عليه الضرائب الخبيثة فانه يمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعا فينبغي ان يهتم الصبي أن يجنبه مفاتيح الأخلاق وينكب عنه معائب العادات بالترهيب والترغيب والايحاش وبالاعراض والاقبال وبالخدمة وبالتيويخ أخرى ما كان كافيا فان احتاج الى الاستعانة باليد لم يحجم عنه وليكن أول الضرب قليلا موحدا كما أشار به الحكماء قبل بعد الارهاب الشديد وبعد اعداد الشفعاء فان الضربة الأولى اذا كانت موحدة ساء ظن الصبي بما بعدها واشتد منها خوفه واذا كانت

الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به

فاذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيا للتلقيين وروى سمعه أخذ في تعلم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقن معالم الدين وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم القصيدة فان رواية الرجز أسهل وحفظه ممكن لان بيوته أقصر ووزنه أخف ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الاخلاق

وينبغي أن يكون الصبي مؤدب عاقلاً ذا دين بصيراً بر ياتى به الاخلاق حاذقاً بتخريج الصبيان وقوراً رزيناً بعيداً من الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي غير كثر ولا جامد بل حلوا لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة قد خدم سراً الناس وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك ويتعاريون به من أخلاق السفلة وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة

وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبته صبيته من أولاد الجلالة حسنة آدابهم مرضية عاداتهم فان الصبي عن الصبي ألقن وعنه أخذ وبه أنس وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب أجلب الاشياء لضجرهما فاذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أنقى للسائمة وأبقى للنشاط وأحرص للصبي على التعلم والتخرج فانه يباهى الصبيان مرة ويغبطهم مرة ويأنف من التصور عن شأوهم مرة ثم يحادث الصبيان والمحادثة تفيد انشراح العقل وتحل منعقد الفهم لان كل واحد من أولئك انما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه والتعجب منه سبباً لحفظه وداعياً الى التحدث به ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيادة ويتكاملون ويتعاونون الحقوق وكل ذلك من أسباب المبالاة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهمهمهم وتعمير لعاداتهم واذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما اراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه فاذا اراد به الكتابة أضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومنافلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك وطورح الحساب ودخل به الديوان وعنى بخطه وان أراد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدبر الصبي ان ليس كل صناعة ير ومها الصبي بمكنته مؤاتية لكن ماشا كل طبعه وناسبه وانه لو كانت الآداب والصناعات تحجب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملازمة اذن ما كان أحد غفلاً من الادب وعارياً من صناعة واذن لأجمع الناس كلهم على اختبار أشرف الآداب وأرفع الصناعات - ومن الدلائل على ما قلنا

سهولة بعض الادب على قوم وصعدو به على آخر بن ولذلك نرى واحدا من الناس ثواتيه
البلاغة وآخر ثواتيه النحو وآخر ثواتيه الشعر وآخر ثواتيه الخطب وآخر ثواتيه النسب
ولهذا يقال بلاغة القلم وبلاغة الشعر فاذا خرجت عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى وجدت
واحدا يختار علم الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب وهكذا تجد سائر
الطبقات اذا افلتت بها طبقة طبقة حتى تدور عليها جميعها ولهذه الاختيارات وهذه المناسبات
والمشاكلات أسباب غامضة وعلل خفية تدق عن افهام البشر وتلطف عن القياس والنظر
لا يعلمها الا الله جل ذكره

وربما نافر طباع انسان جميع الآداب والصنائع فلم يعلق منها بشئ ومن الدليل على ذلك
ان أناسا من أهل العقل راموا تاديب أولادهم واجتهدوا في ذلك وأنفقوا فيه الاموال فلم
يدركوا من ذلك ما حاولوا فلذلك ينبغي لمدير الصبي اذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولا لطبع
الصبي ويسبر قريحته ويخبره ذكائه فيختار له الصناعات بحسب ذلك فاذا اختار له احدي
الصناعات تعرف قدر ميله اليها ورغبته فيها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا وهل أدواته
وآلاته مساعده له عليها أم خادلة ثم يبيت العزم فان ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب
أيام الصبي فيما لا يؤتيه ضياعا

فاذا أوغل الصبي في صناعته ببعض الوغول فن التدبير أن يعرض للكسب ويحمل
على التعيش منها فانه يحصل في ذلك له منفعتان احدهما اذا ذاق حلاوة الكسب بصناعته
وعرف غناها وجدادها عظيمنتين لم يضجع في إحكامها وبلوغ أقصاها والثانية أنه يعتاد طلب
المعيشة قبل أن يستوطن حال الكفاية فأناقل ما رأينا من أبناء المياسير من سلم من الركون
الى مال أبيه وما أعد له من الكفاية فلما عول على ذلك قطعه عن طلب المعيشة بالصناعة وعن
التحلي بلباس الأدب فاذا كسب الصبي بضاعته فن التدبير أن يزوجه وبفرد درجته

✽ في سياسة الرجل خدمه ✽

ان سبيل سياسة الخدم والقوام من الانسان سبيل الجوارح من الجسد وكما أن قوما
قالوا احب الرجل وجهه وكتبه قلعه ورسوله لسانه كذلك نقول ان حفدة الرجل يده
ورجله لان من كفالك التعاطي بيدك فقد قام عندك مقامها ومن كفالك السعي برجلك
فقد ناب عنك منابها ومن حفظ لك ما تحفظه عينك فقد كفالك كفايتها فغناء الخدم عنك
أيها الانسان كثير ونفع القوم اياك جزيل ولولا هم لأرتجح دونك باب من الراحة كبير

ولا انسد عنك طريق من النعمة مهيب وعلا اضطرت الى مواصلة القيام والعود والى
مواترة الاقبال والادبار وفي ذلك إتعاب الجسد وهو يعد من امارات الخفة ودلائل
النزق وسبيل المهانة والضعة وفيه سقوط الهيبة وذهاب الرزاق والركانة وبطلان الأبهة
وطرح السمعة والوقار وبثبات هذه الخصال يبين الخدم الخادم والرئيس المرووس
فينبغي لك أن تحمد الله عز وجل على ما سخر لك منهم وما كفاك وأن تحوّلهم ولا
تقصيهم وتتقدمهم ولا تهملهم وترفق بهم ولا تخرجهم فانهم بشر يمسيهم من الكلال واللغوب
ومن السآمة والفتور ما عسى البشر وتدعوهم دواعي حاجاتهم وارادات أجسامهم الى
ما في طباع البشر ارادته والحاجة اليه

وطريق اتخاذ الخدم أن لا يتخذ الانسان خادما الا بعد المعرفة والاختبار له والا بعد سببه
وامتناعه فان لم يستطع ذلك فينبغي أن تعمل فيه التقدير والفراسة والحدس والتوسم وأن
تضرب عن الصور المتفاوتة والخلق المضطربة فان الاخلاق تابعة للخلق ومن أمثال الفرس
أحسن ما في الذم يم وجهه وأن تجانب ذوى العاهات كالعوران والعرجان والبرصان
ونحوهم وأن لا تثق منهم بذي الكيس الكثير والدهاء البين فانه لا يعرى من الخب ولا يعلم
من المكرو ويؤثر اليسير من العقل والحياء على كثير من الشهامة والخفة

فاذا فرغ من ذلك فليمنظر لآى أمر يصلح الخادم الذى يتخذه وأى صناعة ينحل وأما
الذى يظهر رجحانه فيه من الاعمال فليسنده اليه وليستكفه اياه ولا ينقلن الخادم من عمل
الى عمل ولا يحولنه من صناعة الى صناعة فان ذلك من أمتن أسباب الدمار وأقوى دواعي
الفساد وما يشبهه من يفعل ذلك الا بمن يكف الخيل الكراب والبقر الاحضار لأن لكل
انسان بابا من المعارف وفنا من الصناعات قد سمح له به طباعه وافادته اياه غريزته فصار لديه
كالسجينة التى لا حيلة فى تركها والضريرة التى لا سبيل الى مفارقتها فنقل الانسان
الخادم مما قد أحسنه وأتقنه ومارسه ولا يسه وألفه واعتماده الى ما يختاره له برأيه وينتخبه له
بارادته مما ينافر طباعه ويضاد جوهره أفسد عليه نظام خدمته وجبره فى طريق مهنته فعاد
كالريض ثم لا يفيد مما نقله اليه بابا الا بنسيان أبواب مما نقله عنه ومتى عاد به الى الامر الاول
وجده فيه أسوأ حالا منه فيما نقله اليه

ولا ينبغي أن يكون نكيرا الانسان على الخادم اذا اراد الانكار عليه صرفه عنه فان
ذلك من دلائل ضيق الصدر وقلة الصبر وخفة الخلم ولأنه اذا صرفه احتاج الى غيره بدلا منه
واذا استمرت به هذه العادة أو شك أن يبقى بلا خادم بل ينبغي له أن يقرر فى قلوب خدمه ان

أحدا منهم لا يجد إلى مفارقة رحله والخروج عن داره وكنفه سبيلا فان ذلك أتم للمروءة وأدلى على الوقار والكرم وبعد فان الخادم لا يتوالى ولا يناصح ولا يشفق ولا ينظر ولا يحتاط ولا يحامى ولا يذب حتى يتحقق عنده ويصح لديه انه شريك صاحبه في نعمته وقسمته في ملكه وجدته حتى يأمن الغزل ولا يحذر الصرف ومتى ظن الخادم أن أساس حرمة غير واطدة وشائج ذمامه غير راسخة وان مكانه ناب به عند الذنب يوافقه والحزم يفارقه كأن مقامه على صاحبه كعابر سبيل فلا يعني بما عناه ولا يهتم بما عراه ولم يكن همه الا ذخيرة يعدها ليوم جفوة صاحبه وظهرة يرجع اليها عند نبوته وازورار جانبه وليكن عند الصاحب لخدمته دون صرفهم - ثم واخراجهم وسوى نيتهم واطراحهم منازل من الاستصلاح والتقويم فمن استقام له بالتأديب عوجه واعتدل بالثقاف أوده فليشده يدا ويوسعه عند الرلة عضوا ومن راجع الذنب بعد التوبة ونقض العهد بعد الانابة فليذقه طرفا من العقوبة وليمسسه ببعض السطوة ولا يمس من رشده ما لم تتحل عقه - مدة حياته ويكشف باصراره ومن عصاه معصية صلعاء يلفق دونها أوجني جنابة شنعاء لا بقيامها ولا في شرط السياسة اغتفارها فالرأى للصاحب البدار الى الخلاص والافسد عليه سائر الخدم

وانقضت الأبواب التي مثلناها ما يحق على الرجل فعله في تدبير نفسه وما يستقل عليه منزله وانما ذكرنا القليل من الكثير والجل دون التفسير ولو شرحنا كل باب بما يشاكله من أخبار الناس وأشعارهم لكان الكتاب أحسن وأكمل الا أنه يكون أكبر وأطول فأثرنا التخفيف على القارئ والتسهيل على الناظر ولرب قليل أربع من كثير وصغير أتم من كبير والله ولي التوفيق والتيسير

﴿ رسالة ﴾

(تربية الاطفال وتوعيدهم على الأخلاق الحميدة للغزالي)
اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهر نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما مال به اليه فان عودا خير وعامه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة فشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم ومؤدب وان عودا شر أو أهمل إهمال البهائم وهلك كان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له . قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)

ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانيته بأن
يؤديه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القراء السوء ولا يعود التمتع ولا يحجب
اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيه لك هلاك لا بد بل ينبغي أن
يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائمه وارضاعه إلا امرأة صالحة مدبنة تأكل الحلال
فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشؤ الصبي انعجنت طينته من الخبث
فتميل طبيعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التميز فنبغى أن يحسن مراقبته
وأول ذلك ظهور أوائل الحياة فانه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس
ذلك الا لشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبحا ومخالفة للعيب فصار يستحي
من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء
القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على
تأديبه بحميته وتميزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثلا
أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر
الى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن
يحيد المضغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا يلمخ يده ولا ثوبه وأن يعود الخبز القفار في بعض
الاقوات حتى لا يصير الادم حتما ويقع عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهايم
وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الماء كل وان
يحبب اليه الاشارة بالطعام وقلة المباطرة به والقناعة بالطعام الخشن أى طعام كان وأن
يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقر رغبته ان ذلك شأن النساء
والمخنثين من الرجال يستنكفون منه ويكر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابرسم
ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه

ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التمتع والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة
وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوءه خرج في
الاغلب ردىء الاخلاق كذا باحسوداسر وقائما لحوذا فصول وضحك وكيد ومجانة
وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشتغل في المكتبة فيتعلم القرآن
وأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم ولينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ
من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون أن ذلك
من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرّس في قلوب الصبيان بذور الفساد ثم مهم ما ظهر من

الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويغدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتعافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فإن اظهر ذلك عليه بما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعقاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يؤخذ الا حيانا والأم تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطیئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمع بدنه فلا يصبر عن التمتع بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفيته فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد أنه قبيح فاذا تعود ترك فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من أن يفخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده أو بشيء من مطاعمه أو ملابسه أو لوجه ووداته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيأ بداله حشمة ان كان من الاولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ وان الأخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يصيب في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضرم آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا

وينبغي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتشاءب بحضوره غيره ولا يستدير غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتبدأ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا بقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المسكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك

يسرى لاحالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء
وينبغي اذا ضربه معاملة أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر
ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المالميك والنسوان
وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يسترىح اليه من
تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما
يميت قلبه ويبتلذذ كاهه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا
وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعامه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي
وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهم ما بلغ سن التمييز فينبغي
أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحجب لبس
الحرير والديباغ والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة
وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشؤه
كذلك في الصبا فهم اقارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن
الأطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وأن الدنيا
كلها لأصل لها اذا لبقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة
دار مقر لا دار ممر وان الموت ينتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا
للاخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع فسيحه في الجنان
فاذا كان نشؤه الصبي صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ثبتت
في قلبه كما ثبت النقش في الحجر وان وقع النشؤ بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب
والفحش والوقاحة وشربه الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبأ قلبه عن قبول الحق نبوة
الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق
قابلا للخير والشر جميعه وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه اه
فالأدب حسن في الرجال والنساء جميعا ويحسن الأدب في النساء لما فيه من رقة
الطبيعة والمحاسن المعنوية فالمرأة بالادب جميلة حسا ومعنى لان الأدب كمال اقتضته حكمة
الباري عز وجل في حقهن
فالمرأة مساوية للرجل في الارزاق ومة لان أصلهما واحد كما جاء في الكتاب العزيز يأبها

الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء

وينبغي أن تترك المرأة على حياتها لأن الحياء صفة ممدوحة في النساء وهو زينتهن فلا تمسه التريبة بمحو ولا تخفيف ويجب الاحتراز في تديره بدون تبذير ولا تقتير

المقالة السادسة

﴿ في الرياسة والسياسة ﴾

(وفيها ستة فصول)

الفصل الأول

في

﴿ تعريف السياسة وموضوعها ﴾

عرفت العرب السياسة بانها علم يعرف منه أنواع الرياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها من أحوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب والقضاة وزعماء الأموال وكلاء بيت المال وعن يجري مجراهم

وموضوعها المراتب المدنية وأحكامها ومنفعاتها معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة والمراد وجه استيفاء كل واحد منها ودفع علل زوالها وجهات انتقالها ومن أعظم أسباب انتقال الدولة الاخلال بركن من أركان شريعتها ومن جملة مسائلها معرفة ما ينبغي عليه الملك والسلطنة في نفسه وحال أعوانه وأمر رعاياه وعمارة المدن وهذا العلم مما يحتاج اليه الملوك وسائر الناس لما ان الانسان مدنيا بالطبع ويجب عليه اختيار المدنية الفاضلة مسكنا والرحيل عن المردية وأن يعلم كيف ينفع أهل مدنيته وينتفع بهم

ومن حسن السياسة وإقامة المملكة جواب الحجاج بن يوسف للوليد لما سأله أن يكتب إليه بسيرته - اني أيقظت رأيي وأتمت هواي فأدريت السيد المطاع في قومه ووليت المجرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لأمانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظاما من لطيف عنايتي ونظري وصرفت السيف الى النطف والثواب الى المحسن البريء نخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب

وفروع هذا العلم عند العرب كثيرة منها علم آداب الملوك وعلم آداب الوزراء وعلم الحسبة والولاية وعلم تدبير الممالك وتنظيمها وإنشاء الدواوين وكيفية ادارتها وقد ألفوا في ذلك كتباً كثيرة تسند كراماتهم فيها بعد ولنا في ههنا ثلاث رسائل إجمالية في السياسة تدل على مال العرب من المكنة فيها - فالأولى رسالة الامام علي الى الأشرع النخعي لما ولاه مصر - والثانية رسالة طاهر بن الحسين قائد المأمون لابنه عبد الله بن طاهر لما ولي الرقة ومصر وما بينهما فقد وصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسات الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم مما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقي - الثالثة رسالة عبد الحميد الكاتب الى عبد الله بن مروان حين وجهه لمحاربة الضحالك وهي فريدة في بابها أيضا

✽ كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ✽

(الى الأشرع النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب محمد بن أبي بكر)

هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشرع في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى الله وإظهار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ولا يشقى الا بمعصيتها واضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصره وأعزاه من أعزاه وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس أمارة بالسوء الامار حم الله

ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم واما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن

أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملاك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكون عليهم سبعا ضار يا تعتم أكلهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم

ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوه ولا تبججن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير

واذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو تخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويقيء اليك بما عزب عنك من عقلك

إياك ومساواة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته فانك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادته ومن خصمه الله

أدحض حجته وكان لله حراحتي ينزع ويتموب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامته على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الامور اليك أو سخطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها الرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يفتقر مع رضى العامة وليس أحسن

الرعية أثقل على الوالى مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للانصاف وأسأل بالاحاف وأقل شكر عند الاعطاء وأبطأ عن ذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الامة فليكن صفوك لهم وميلك معهم

وليكن أبعد رعيته منك وأشنعهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فان في الناس عيوباً والى أحق من سترها فلا تكشف عن عما غاب عنك منه افا ما عليك تطهر ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته

أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح

لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعى غاش وان تشبه بالناسحين
ولا تدخل فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك
عن الامور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى
يجمعها سوء الظن بالله

ان شرّ وزرائك من كان للامرار قبلك وزيار ومن شركهم فى الآثام فلا يكون لك
بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظامة وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم
ونقادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالم على ظامه ولا آثم على آثمه
أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأخفى عليك عطفاً لغيرك إلها فاتخذ أولئك
خاصة خلواتك وحفلاتك - ثم ليسكن آثرهم عندك أقولهم بمجر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما
يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً من هوالك حيث وقع

والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يجحوك بباطل لم تفعله
فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة

ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك ترهيدا لاهل الاحسان فى
الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه

واعلم انه ليس شئ بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات
عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن
الظن برعيته فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان أحق من حسن ظنك به لمن
حسن بلاؤك عنده وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفه وصلحت عليها
الرعية ولا تحدث سنة تضر بشئ من ماضى تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك
بما نقضت منها

وأكثر مدارس العاداء ومنافذة الحكاء فى تثبيت ماصالح عليه أمر بلادك واقامة
ما استقام به الناس قبلك

واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى بعضها عن بعض فنهأ جنود الله
ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها أعمال الانصاف والرفق ومنها أهل
الجزية والخراج من أهل الذمة ومساعدة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة
السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة - وكلما قدس على الله سهمه ووضع على حده فريضة فى كتابه

أوسنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدامنه عندنا محفوظا
فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية
الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم
ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم - ثم لا قوام لهذين الصنفين الا
بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع
ويؤمنون عليه من خواص الامور وعوامها - ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوى
الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم وقيومونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق
بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم - ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق
رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج
الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم
الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل

فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ورسوله ولا مامك وأنقاهم جيبا وأفضلهم حملا
من يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذرويرؤف بالضعفاء وينبوعلى الأقوياء ومن
لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف

ثم الصق بدوى الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة
والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم
ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفان في نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفاتعاهدتهم به
وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف
أمورهم اتكالا على جسمها فان ليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا
لا يستغنون عنه

وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما
يسمعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهمها واحدا في جهاد العدو فان
عطفتك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان أفضل فترة عين الولاية استقامة العدل في البلاد
وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدرهم ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على
ولاية أمورهم وقلة استئثار دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فأفسح في آمالهم وواصل في
حسن الشئاء عليهم وتعديدا أبلى ذوا البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع
وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف ان لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضيغن بلاء امرئ الى

غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائيه ولا يدعونك شرف امرء الى أن تعظم من بلائيه ما كان صغيرا ولا ضعة امرء الى أن تستصغر من بلائيه ما كان عظيما

واردد الى الله ورسوله ما يضاعف لمن الخطوب ويشبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا ينادي في الزلة ولا يحصر من النفي الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمرجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدنيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وأفسح له في البذل ما يزيل علمته وتقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزل لعلك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محابة واثرة فانهم اجماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيونات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم أكرم أخلاقا وأصح اعراضا وأقل في المطامع إشرافا وأبلغ في عواقب الأمور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو نالوا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابتعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأموالهم حدودة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فان أحدهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المدلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار الزهمة وتفقد أهل الخراج بما يصلح أهلهم فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهلهم وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج يغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا فان شكوا ثقلأ أو عله أو انقطاع شرب أو بالة أو أحالة

أرض اغمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا
يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخريعودون به عليك في عمارة بلادك وتزين
ولا يتك مع استجلاك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتد افضل قوتهم بما
ذخرت عندهم من اجمالهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما
حدث من الأمور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فان العمران
محتمل ما حلتها وانما يؤتى خراب الارض من إعواز أهلها وانما يعوز أهلها بالاشراف أنفس
الولاية على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر

ثم انظر في حال كتابك قول على أمورك خيرهم واخص رسائلك التي تدخل فيها
مكائلك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترى بها
عليك في خلاف لك بحضرة ملائ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك
واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذك ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك
ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبالغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل بقدر نفسه
يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستئمانك وحسن الظن
منك فان الرجال يتصرفون لفراسات الولاية بتضعفهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من
النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين فبذلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة
أثرا وأعرفهم بالأمانة وجهها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل
أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من
عيب فتعايبت عنه ألزمته

ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله
والمترفق ببيدته فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاهم من المباعد والمطارح في برك
وبحرك وسهلك وجبك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم
لاتخاف بأئقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقداً أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم
مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكار المنافع وتحكك في البياعات وذلك
باب مضره للعامة وعيب على الولاية فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله
منع منه ولم يكن البيع بيعا مباحا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع
والمبتاع فن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنسكل به وعاقب في غير اسراف

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى

والزمني فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ الله ما استخفظك من حقه فيهم واجعل لهم
قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوا في الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي
للادنى وكل قد استرعت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه
لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقداً أمور من لا يصل
اليك منهم ممن تتخذه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية
والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين
الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهده أهل
اليتيم وذوى الرأفة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاية ثقيل والحق
كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق وعود
الله لهم

واجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرع لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عما فتواضع
فيه لله الذي خلقك وتتعهد عنهم جندك وأعوانك من احراسك وشرطك حتى يكملك
متكلمهم غير متمتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن (لن
تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متمتع) ثم احقتل الخرق منهم والعي ونح
عنهم الضيق والأنف ييسط الله عليك بذلك كناف رحمة ويوجب لك ثواب طاعته وأعط
ما أعطيت هنياً وامنع في اجمال واعذار

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعي عنه كتابك ومنها
اصدار حاجات الناس يوم وودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك وامض لكل يوم
عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك
الأقسام وان كانت كلها لله اذا صاححت فيها النية وسامحت منها الرعية

وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدئك
في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مشلوم ولا منقوص بالغان من
بدئك ما بالغ واذا قفت في صلاتك للناس فلا تكون منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة
وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم
فقال (صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمومنين رحما)

وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من
الضيقة وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم

الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما أنت أحدر جليل أما امرؤ سخطت نفسك بالبدل فى الحق فقيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فأسرع كف الناس عن مسائلتك اذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكامة مظلة أو طلب انصاف فى معاملة

ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استشار وتناول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة

وأزلم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك صابراً محتسباً واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يشغل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة

وان ظنت الرعية بك حيفاً فأحذر لهم بعدرك وأعدل عنك ظنونهم بما يحاركون فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً بعيتك واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق

ولا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ولله فيه رضى فان فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً للبلاذل ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما

قارب ليتغفل فخذ بالخزم وانهم فى ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فخط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت

فانه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب

العدو فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحرماً يمسكون الى منعته

ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على الخن قول بعد التأكيد والتوثيق ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله

الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمر ترجوانفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبية فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك

اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شئ ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال

نعمه وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لان فيه قودالبدن وان ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فان فى الوكزة فافوقها مقتلته فلا تطمح بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى الى أولياء المقتول حقهم

واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين

واياك والمن على رعيتهك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون

واياك والعجلة بالأمور قبل أو انها أو التسقط فيها عند امكانها أو اللجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه

واياك والاستئثار بما للناس فيه اسوة والتعابى عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك وعما قيل تنكشف عنك أغطية الأمور ويتكشف منك للظلم

املك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكى البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فملاك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك

والواجب عليك أن تمتد كرامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها

وأنا أسأل الله بسمه ورحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى وإياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجيل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة إنا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا والسلام

✽ كتاب طاهر بن الحسين قائد المأمون ✽

لابنه عبد الله بن طاهر المولود المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب اليه أبو طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه وصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسات الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوق

أما بعد - عليك بتقوى الله عز وجل ولا شريك له وخشيته ومراقبته ومزايله سخطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة لمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم وألحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخل الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وممالك عنهم ومسيبك عليه بما قدمت وأخرت وفرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عز وجل به لرشدك وليكن أول ما تلزم به نفسك وينسب اليه فعلك المواظبة على ما افترضه الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وعلى سنتها من أسباغ الوضوء وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في قرائتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك ونبيلك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وإدأب عليها فانها كما قال عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمشاورة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده فاذا ورد عليك أمر فاستعن بالله عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله تعالى في كتاب من أمره ونهيهِ وحلاله وحرامه وانما ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق الله عز وجل عليك ولا تميلن عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد أو أثر الفقه وأهله والدين وجملة وكتاب الله عز وجل والعالمين به فان أفضل ما يزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فان الدليل على الخير كله والقائد اليه والأمر به والنهي عن المعاصي كلها وبها مع توفيق الله يزاد العبد معرفة

واجلا لاودر كاللدرجات العلى فى المعاد مع ما فى ظهوره وللناس من التوقير لامرك والهيبة
لسلطانك والانس بك والثقة لعدلك وعليك بالاعتصاف فى الامور كلها فليس شئ أبين نفعاً ولا
أحضر أمناً ولا أجع فضلاً منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق
قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصاف فأثره فى دنياك كلها ولا تقصر
فى طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية لاستكثار البر
والسعى له اذا كان يطلب به وجهه ومريضاته ومرافقة أولياء الله فى دار كرمته

واعلم ان القصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك
ومر تبك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فإنه واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح
خاصتك وعامتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعيتهك والتمس الوسيلة اليه فى
الامور كلها تستمد به النعمة عليك ولا تهتم من أحد من الناس فيما توليه من عملك قبل أن
تكشف أمره فان ايقاع السهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن
الظن بأصحابك وأطرد عنك سوء الظن بهم وأرفضه فيهم يغنك ذلك عن اصطناعهم
ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمراً فإنه انما يكتفى بالقليل من وهنك
فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينغص لذادة عيشك واعلم انك تجذب بحسن الظن قوة
وراحة وتكتفى به ما حبيت كفايته من أمورك وتدعوا به الناس الى محبتك والاستقامة
فى الأمور كلها ويمنعك حسن الظن بأصحابك والرافقة برعيتهك أن تستعمل المسألة والبحث
عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء والحيطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل
لتكن المباشرة لأمور الاولياء والحيطة للرعية فى النظر فى حوائجهم وحمل موائهم أثر
عندك مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين وأحياء للسنة وأخلص فى نيتك فى جميع هذا وتقر
لتقويم نفسك تقر من يعلم انه مسؤل عما صنع ومجزى بما أحسن وما أخوذاً بأساء فان الله
عز وجل جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من أتبعه وعززه فأسلك بمن تسوسه وترعاه نهج
الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عز وجل فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما
استحقوه ولا تعجل ذلك ولا تهاون فيه ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان فى تفریطك فى
ذلك ما يفسده عليك حسن ظنك وأعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع
والشبهات ليس لك دينك وتقم لك مروءتك واذا عاهدت عهداً فوفى واذا وعدت الخير
فانجزه وأقبل الحسنة وادفع بها واغض عن كل ذنب من رعيتهك واشدد لسانك عن قول
الكذب والنزوروا بغض أهل النية فان أول فساد أمورك فى عاجلها وأجلها تقرىب

الكذب والجراة على الكذب لأن الكذب رأس المأثم والزور والنميمة خاتمها لأن النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لطبعها أمر وأحب أهل الصلاح والصدق وأعز الأشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بدنيك وجه الله تعالى واعزاز أمره والخمس في ثوابه الدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنها رأيك وأظهر برأتك من ذلك لرعيتهك وأنعم بالعدل في سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى واملأ نفسك عند الغضب وأثر الوفاق والحلم وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله وإياك أن تقول أنا مسلط أفعل ما شاء فان ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده ولا شريك له واخلص لله النية فيه واليقين به - واعلم ان الملك لله يؤتيمه من يشاء وينزع من يشاء ولن تجد تغيير النعمة وحلول النعمة إلى أحد أسرع منه إلى جهلة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا نعم الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شرف نفسك ولتكن ذخائر ككنوزك التي تدخر وتكز البر والتقوى والعدل واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والنقد لا مورهم والحفظ لدماهم والاغاثة للمهوفهم

واعلم ان الأموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تنمو واذا كانت في اصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وزكت وصالحت العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة - فليكن كنز خزائنك تقريق الأموال في عمارة الاسلام وأهله وفرق منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وافر رعيته من ذلك حصصهم وتعهده ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيته وعملك أقدر وكان الجميع لما شغلهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك وأطيب نفسا بكل ما أردت فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتتعظم خشيتك فيه فاعلم ان من المال ما أنفق في سبيل الله بحقه واعرف للشاكرين شكرهم واثبهم عليه وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه ارج الثواب فان الله سبحانه وتعالى قد سبغ نعمته عليك في الدنيا وأظهر لديك فضله فاعتمص بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا وإحسانا فان الله عز وجل يثبت بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين وفضل الحق فيما حمل من النعم والبس من الكرامة ولا تحقرن ذنبا ولا تألئين حاسدا ولا ترجن

فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تدهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين
 فاسقا ولا تتبعن غاديا ولا تحمدن مرائيا ولا تحقرن إنسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا
 يحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن موعدا ولا تزهون نفرا ولا تظهرن غضبا
 ولا تأسبن ندما ولا تمشين مراحا ولا تزكين سفها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا تدفعن
 الايام عتابا ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محابة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدينار وأكثر
 مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخدم من أهل التجارب وذوى العقل والرأى
 والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرقة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فان ضررهم أكثر
 من نفعهم وليس شئ أسرع فسادا لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشخ واعلم انك اذا كنت
 حريصا كنت كثيرا الأخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا فان
 رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من
 أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشخ واعلم ان أول ما عصى به الانسان
 وبه دان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل ومن يوق شخ نفسه فأولئك هم المفلحون
 فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمساكين كلهم من فيئك حظا ونصيبا وأيقن ان الجود من
 أفضل أعمال العباد فاعده لنفسك خلقا وارض به عملا ومنهبا وتفقدا الجند في دواوينهم
 ومكاتبهم وادر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم معاشهم لينذهب الله بذلك فاقهم فتقوى لك
 أمرهم وتزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خاوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من
 السعادة أن يكون على جنده ورعيته دارجة في عدله وحيطة وانصافه وعنايته وشقيقته
 وبره وتوسعته فزايلا مكرهه إحدى البابين بالاستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به
 بالحق ان شاء الله تعالى نجاحا وفلاحا

واعلم ان القضاء من الله تعالى بالملك الذي ليس فوقه شئ من الأمور لان ميزان الله
 الذي تعدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة الفضل والعدل في القضاء والعمل تصلح
 أحوال الرعية وتؤمن السبيل وينتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحصل المعيشة
 ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع
 على مجاريها ونجز الحق والعدل في القضاء واشتد في الله عز وجل وتورع عن النطف وامضى
 لاقامة الحدود وقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وليكن ربحك
 وانتقع بتجربتك وانتبه في صمتك واسدد في منطقك وانصف الخصم وقف

(١)

(١) بياض بالاصل

عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا تأخذن في أحد من رعيتهك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم
وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسر عن الى سفك دم فأنت الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم
انتها كالمباغير حقها والنظر الى الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا
ورفعة ولا هله توسعة وله مدده وعددهم كتبوا غيظا ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا
وصغارا فوزعه بين أحبابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئا عن
شريف اشرفه ولا غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذنه
من فوق الاحتمال ولا تكلفن امرأ فيه شطط واجل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك اجتمع
لألفهم والزم لرضى العامة

واعلم انك جعلت لولايتك خازنا وحافظا وراعيا واناسى أهل عملك رعيتهك لانك
راعيهم وقيمهم فخدمهم ما أعطوك من عقوهم ونفذه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم
أودهم واستعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالقلم والعلم بالسياسة
والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة فيما تقلدت وأسند اليك ولا
يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى أثرت فيه بالواجب استدعيت
به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوث في عملك وأحرزت به المحبة من رعيتهك وأعنت على
الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العماره بناحيتهك وظهر الخصب فى كورك وكثر
خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتياض جنك وارضاء العامة باقضاء
العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى
أمورك كلها اذا عدل وآله وقوة وعدة وتنافس فى هذا ولا تقدم عليه شيئا تجد معين أمرك
ان شاء الله تعالى واجعل فى كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب اليك
سيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معين لأموره كلها واذا أردت أن تأمرهم
بأمر فانظر فى عواقب ما أردت فان رأيت السلامة والعافية ورجوت فيه حسن الدماغ
والنصح والصنع فامضه والا فتوقف عنه وارجع أهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما
نظر الرجل فى أمر من أموره وقد أناه على ما هوى فأغراه ذلك وأعجبه فان لم ينظر فى عواقبه
أهلكه الله ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم فى كل ما أردت وباشر بعد عون الله بالقوة
وأكثر من استخارة ربك فى جميع أمورك وافرغ من عمل يومك الذى أخرت واعلم أن
اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى

ثم مرض منه واذا أمضيت كل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك وأحكمت أمور سلطانك وانظر
أحرار الناس وذوى السن منهم فمن تستيقن صفاء طوبيتهم وشهدت مودعهم لك ومظاهرتهم
بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت
عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا خللتهم مساء وافرد نفسك للنظر في
أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر رفع مظالمه اليك والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه
فسل عنه واقض مسأله و وكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم
وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء وأيتامهم وأراهم
واجعل لهم رزقا من بيت المال اقتداء بأمر المؤمنين في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله
بذلك عيشتهم ويرزقك ببركة وزيادة وأجر الاجزاء من بيت المال وقدم حيلة القرآن منهم
والحافظين لأكرهته في الجارية على غيرهم وانصب لمرض المسلمين دورا تودهم وقواما
يرفعونه وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم ما يؤد ذلك الى سرف في بيت المال
واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم لم يرضهم ولم تطلب أنفسهم دون رفع
حوائجهم الى ولايتهم طمعاني نيل الزيادة وفضل الرفق منهم و ربما يرم التصفح لأمور الناس
لكثرة ما يرد عليه ويستغل ذهنه وفكره منها عما تنال به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في
العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقبل ما يقربه الى
الله تعالى ويلتص رحمة فاكثرا الاذن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن لهم حراسك
واخفض لهم جناحك واطهر بشرك ولن لهم في المسألة والنطق واعطف بمجودك وفضلك
واذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والناس للضيعة والأجر من غير تكدير ولا امتنان
فان العطية على ذى تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترك من أمور الدنيا ومن مضى
من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأثم البائدة ثم اعتصم في أحوالك
كلها بأمر الله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعتهم وسنته واقامة دينه وكتابه
واجتنب ما فارقه ذلك وخالفه ودعه الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من
الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم
ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنة واقامتها وايتار مكارم الاخلاق ومعاليها وليكن أكرم
دخلائك عليك وخاصتك عليك من اذ رأى عيبا فيك فلا تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في
سرك واعلانك ما فيك من النقص فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك
الذين يحضرتك وكتابك فوفت لكل رجل منهم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه

ومؤامرنه وما عنده حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك
سحعلك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فامضه
واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه ولا تمن
على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة
والعون في أمور المسلمين ولا تصنع المعروف إلا على ذلك وتفهم كتابي اليك وأكثر النظر
فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك فإن الله عز وجل مع الصالح وأهله وليكن
أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضاء ولدينه نظاما ولأهله عز وثناء كيئنا
وللدمة عدلا وصلاحا وأنا أسأل الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وخلانك
والسلام

✽ رسالة عبد الحميد الكاتب ✽

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه المنشور والمنظوم ومن الرسائل المفردات
رسالة عبد الحميد بن يحيى الى عبد الله بن مروان حين وجه له مائة الضحاك الخارجى في
تعبية الجيوش والحروب فانه يقال انها مثل لها في معناها

أما بعد فإن أمير المؤمنين عند ما اعترزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجاني
الأعرابي المتسكخ في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوى الهلكة ورعا عا الذين عاثوا في الأرض
فسادا وانتهكوا حرمه استخفاوا بدلو انعم الله كفر او استحلوا دماء أهل سامه جهلا أحب أن
يعهد اليك في لطائف أمورك وعوام شؤ ونك ودخائل أحوالك ومضطر تنقلك عهدا يحملك
فيه أدبه ويشمرع لك عظته وإن كنت والحمد لله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله
لولاية العهد مخصصا لك بذلك دون لجتك وبنى أبيك

ولولا ما أمر الله به إلا عليه بتقديم المعرفة لمن كانوا أولى سابقة في (الدين) وخصيصي
في العلم لا عقد أمير المؤمنين منك على اصطناع الله إياك بما يراك أهله في محلك من أمير المؤمنين
وسبقك الى رغائب أخلاقه وانزاعك محمود شيعه واستيلائك على تشابه تديره

ولو كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ولقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم يتعلموا
شيأ من عند غيرهم لتعلمناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم
بوحدانيته وفردانيته في الإهيته واحتجاجهم منهم لتعقب في حكمه وتثبت في سلطانه وتنفيذ
ارادته على سابق مشيئته ولو كان العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبوب بمنزلة العلم

أدرکه معاد اعليه بلطف بحشه واذلال كنفه وصحة فهمه وهجر ساءته

وقد تقدم أمير المؤمنين اليك أخذاً بالحجة عليك مؤدياً حق الله الواجب عليه في
ارشادك وقضاء حقك وما ينظر الوالد المعنى الشفيق لولده وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك
الله عن كل شيء قبيح يهش له طمع وأن يعصمك من كل مكروه حاق بأحد وأن يحصنك من كل
آفة استولت على امرئ في دين أو خلق وأن يبلغه فيك أحسن مالم يزل يعود ويريه
من آثار نعمة سامية بك الى ذروة الشرف ومنجحة لك ببسطة الكرم لأتحة بك في أزهر
معالي الأدب والله استخلف عليك وأسأله حياطتك وأن يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك
دواعي التوفيق معانا على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو

اعلم أن للحكمة مسالك تفضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا وركب خبارها قاصدا
الى سعة عاقبتها وأمن سرحها وشرف عزها وانها لاتعاف بسخف الخفة ولا تنسى بتفريط
الغفلة ولا يتعدى فيها بامن حد وقد تلقتك أخلق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير
تعب البحث في ادراكها ولا متناول المنال لذروتها بل تأملت منها أكرم معانيها واستخلصت
منها أعتق جوهرها ثم شعرت الى لباب مصاصها وأحرزت منفس دوائرها فاقتعد ما أحرزت
ونافس فيما أصبت

واعلم ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثرا
لها واصطبارك على طاعته واعظام ما أنعم به عليك شاكرا لها مرتبها للزبد بحسن الحياطة
له والذب عنه ان تدخلك منه سائمة ملال أو غفلة أو ضياع أو سنة تهاون أو جهالة معرفته فان
ذلك أحق ما بدى به ونظر فيه معتد اعليه من القوة والآلة والانفراد من الأصحاب والحامة
فتمسك به لا جئا اليه واعتد عليه مؤثرا له والتجئ الى كنهه متحرزا به انه أبلغ ما طلب به رضا
الله وأنجح مسألة وأجزله ثوابا وأعوده سعيا وأعمه صلاحا وأرشدك الله لحظك وفهمك
سداده وأخذ بقلبك الى محموده

ثم اجعل لله في كل صباح ينعم عليك ببلوغه ويظهر منك السلامة في اشراقه من نفسك
نصيبا تجعله لله شكرا على ابلاغه إياك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور
كرامة وان تقر أمن كتاب الله عز وجل جزأ تردد رأيك في أدبه وتزين لفظك بقراءته
ويحضره عقلك ناظرا في محكمه وتفهمه متفكرا في متشابهه فان فيه شفاء القلوب من
أمراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسقه وضياء معالم النور تبينا بالكل شيء وهدي
ورحمة لقوم يؤمنون ثم تعهد نفسك بمجاهدة هوأك فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات

واعلم ان كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس
وحبائل مكره ومهائد مكيدة فاحذرها مجانباً وتوقها محترساً منها واستعد بالله من شرها
وجاهد هاذا تنصرت عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مثنوية لرأيك بعد اصداره
عليك وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضادة صارمة لا اناة معها ونية صحيحة لا خلة شك
فيها فان ذلك ظهري صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تتطلع اليه منك وهى واقية لك
سخطه ربك داعية لك رضا العامة ساترة عليك عيب من دونك فازد به ملتحفاً وأصب
باخلاقك مواضعها الحميدة منها وتوق عليها التى تقطعك عن بلوغها وتقصرك عن ساميها
فحاول بلوغ غايته محرزاً لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصناً لأعمالك من العجب فانه
رأس الهوى وأول الغواية ومقادير الهلكة حارساً أخلاقك من الآفات المتصلة بمساوى العادات
وذميمة اثارها من حيث أتت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن فتوق الآفات على عقلك
فان شواهد الحق ستظهر باماراتها تصديق رأيك عند ذوى النهى وحال الرأى وخص النظر
فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصدق بالخذر لما تقدم اليك فيه أمير المؤمنين
متحزراً من دخول الآفات عليك من حيث امنك وقلة ثققتك بمحكمها
ومنها أن تملك أمورك بالقصد وتوصون سررك بالكتمان وتداوى جندك بالانصاف وتذل
نفسك للعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك وأنتك فوقها الملل وفوت العمل ومصابك
فدرعها رؤية النظر واكتنفها باناة الحلم وخلاواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة
وصمتك فانف عنه عى اللفظ وخف فيه سوء القالة واستماعك فارعه حسن التفهم وقوة
بشهاد الفكر وعطاءك فانه له بيونات الشرف وذوى الحسب وتحرز فيه من السرف
وحياءك فامنع من الخجل وحملك فزرعه عن التهاون وأحضره قوة الشكمية وعقوبتك
فقصر بها عن الافراط وتعمد بها أهل الاستحقاق وعفوك فلا تدخلك تعطيل الحقوق وخذ
به واجب المفترض وأقم به أود الدين واستئناسك فامنع منه البداءة وسوء المثافسة وتعهديك
أمورك نخذه أوقانا وقدره ساعات لا يستفرغ قوتك ويستدعى سآمتك وعزمك فانف
عنها محجلة الرأى ولجاجة الاقدام وفرحاتك فاشككها عن البطر وقيدها عن الزهو
وروعاتك فخطها من دهش الرأى واستسلام الخضوع وحوذارتك (فاصرها) عن الجبن
واعمد بها للحزم ورجاءك فقيده بخوف الفائت وامنع من أمن الطلب
هذه جوامع دخائل النقص منها واصل الى العقل بلطائف الله وتصايف حوله فأحكمها
عارفاً وتقدم في الحفظ لها معترماً على الأخذ بمراشدها والانتفاء منها الى حيث بلغت بك عظة

أمير المؤمنين وأدبه ان شاء الله

ثم ليكن بطانتك وجلسائك في خلواتك ودخلك في سر أهلك الفقه والورع من أهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بمصاريف الأمور وخبطته فصالحها بين قرائن البزل وقلبه الامور في فنونهم - او ركب أطوارها عارفا بحاسن الأمور ومواقع الرأي مأمون النصيحة مطوى الضمير على الطاعة

ثم أحضرهم من نفسك وقارأستمدى منهم بك الهيبة واستئناسا يعطف اليك منهم بالموودة وانصافا يغفل أقاصيهم منك عما تكره أن ينتشر عنك من سخافة الرأي ويقطعك دون الفكر

وتعلم ان خلوك بسرفا لقيت دونه ستورك وأغلقت عليه أبوابك فذلك لا محالة مكشوف للعامة ظاهر عنك وان استترت بما ولعل وما أرى اذاعة ذلك فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك وستدخلك عنه فانه ليس أحدا أسرع اليه سوء القالة ولغط العامة بخير أو شر ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت به من دين الله والأمل المرجو المنتظر واياك أن يغمز فيك أحدا من عامتك وبطانة خدمك بضعة يجدها مساغا الى النطق عندك بما لا يعزلك عيبه ولا تخلو من لائمه ولا تأمن سوء القالة فيه ان نجم ظاهرا وعلنا باديا ولن يجترأ على تلك عندك الا أن يرومنك اصغاء اليها وقبولها وترخيصها

ثم اياك أن يفاض عندك بشئ من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها أهل البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجد فيها أهل الحسد مقالا ليعيب يرفعونه ولطعن في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم كمن النار في الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره ولهب في وميضه وقد تضرر به وليست في أحد أقوى سطوة وأظهر توقدا وأعلى كونا وأسرع اليه بالعيب منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوى العنفوان في الخدانة الذين لم يقع عليهم سمات الأمور ناطقا عليهم لأتبعها ظاهرا عليهم وسمها ولم تمحضهم شهامتة مظهره للعامة فضله منديعة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصمت في الحركة مستعانت يدفعون بها عن أنفسهم نواطق السن أهل البغي ومواد أبصار أهل الحسد ثم تعمد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدره من أقطار الذرع ونخوة التيه فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم في مواطن

جدة منهم اقله اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة فمن مقلقل
شخصه يكثر الالتفات تزدهيه الخفة ويبطره اجلاب الرجال حوله ومن مقبل في موكبه
على مداعبة مسايره بالمصاحبة له والتضاحك اليه والايحاف في السير مبهرجا وتحريك
الجوارح مستسر عايجال له أن ذلك أسرع له وأخف لمطيته فلتحسن في ذلك هيئتك ولتجمل
فيه رعتك وليقل على مسائلك إقبالك الا وانت مطرق النظر غير ملتفت الى محدث
ولامقبل عليه بوجهك في موكبك لمحادثة ولا تخف في السير تقلقل جوارحك بالتحريك فان
حسن مسايرة الوالى وابتداعه في تلك من حاله دليل على كثير من عيوب أمره ومستتر
أحواله

واعلم ان أقواما سيسرعون اليك بالسعاية ويأتونك من قبل النصيحة ويستميلونك
بإظهار الشفقة ويستدعونك بالأغراء والشبهة ويوطئوك عشوة خيرة ليحعلوك
لهم ذريعة الى استكمال العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه
بتهمة أو أسرعوا بك في أمره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة
ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع في دينك ويحملك على رعتك مالا حقيقة فيه
ويحملك على اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهم ساعيا وأظهر لك منهم
متنصحا

وليكن صاحب شرطك ومن أحببت أن يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو
المنصوب لاولئك والمستمع لأقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك اليك على ما يرتفع
اليه منه لتأمره بأمرك فيه وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامة فان كان صوابا
نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به جاهل أو فرطه يسعى بها كاذب فنالت الباغى منها أو
المظلوم عقوبة وبد من واليك اليه نكال لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفریطه
وخلوت من موضع الذم فيه

فافهم ذلك وتقدم الى من تولى فلا يقدم على شيء ناظر افيه ولا يحاول أخذ أحد طارقاله ولا
يعاقب أحدا من كلابه ولا يخل سبيل أحد صاخاعنه لاظهار براءته وحقه طريقته حتى يرفع
اليك أمره وينهى اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق

فان رأيت عليه سبيلا لمحبس أو مجازا العقوبة أمرته فتولى ذلك من غير ادخال له عليك
ولا مشافهة منك له فكان المتولى لذلك ولا يجز على يدك مكروه ولا غلط عقوبة وان وجدت
الى العفو عنه سبيلا وكان محاقرف به خليا كنت أنت المتولى للانعام عليه بتخيلة سبيله

والصفح عنه باطلاق أسره فتوليت أجر ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك فقرنت خصلتين
ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكرك في العاجلة

ثم إياك وان يصل اليك أحد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها
لك أو حاجة بيدك بطلبها حتى يرفعها قبيل الى كاتبك الذي أهدفته لذلك ونصبت له فيعرضها
عليك منها لها على جهة صدقها ويكون على معرفته من قدرها فان أردت اسعافه ونجاح
ماسئل منها أذنت له في طلبها باسطا له كنفك مقبلا عليه بوجهك مع ظهور سرور منك
بماسألك بنفسه رأي وبسطة ذرع وطيب نفس وان كرهت قضاء حاجته وأجبت رده
عن طلبته وثقل عليك اسعافه بها أمرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجعتك بها تخفت
عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذكرك وحمل على كاتبك لائمة أنت منها برى والساحة

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل فلا يصلن
اليك أحد منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهه ما هو مكامك وقدر ما هو
سائلك إياه اذا هو وصل اليك فأصدرت رأيك في جوابه وأجلت فكرك في أمره وأنفذت
مصدر رويتك في مرجوع مسألته قبل ما دخوله عليك وعامه بوصول حاله اليك فرفعت
عنه مؤونة البديهة وأرخيت عن نفسك خناق الروية فأقدمه على رد جوابه بعد النظر
والفكرة فان دخل عليك أحد منهم فكلامك بخلاف ما أنهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته
قبلك ودفعته عنك دفعا جسيلا ومنعته جوابك منعاً ودفعاً ثم أمرت حاجبك باظهار الجفوة له
والغلظة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك مما يحكم لك تلك الأشياء صار فاعنك
مؤونتها ان شاء الله

احذر تضییع رأيك واهمال أدبك في مسالك الرضا والغضب واعتموارهما إياك فلا
يزدهينك افراط عجب تستخفك روائعه ويستهيوك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق
خفة لمكروه وان حل بك أو حادث وان طرأ عليك وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ
تتحرز به من آفات الردي وتستعده في مهم نازل وتتعقب به أمورك في التدبير فان احتجت
الى مادة من عقلك وروية من فكرك أو انبساط من منطقك كان انحيازك الى ظهريك
مزداداً ما أجب الامتبار منه وان استدبرت من أمورك بوادر لمهل أو مضى زلل أو معاندة
حق أو خطا نديبر كان ما احتجنت من رأيك عذر لك عند نفسك وظهري قوة على رد ما
كرهت وتخفيفاً لمؤونة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكرك وحصننا من غلوب الآفات
على أخلاقك ان شاء الله

وامنع عن أهل بطنائك وخاص خدمك وعامة رعيتك من استلحام أعراض الناس
عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض والنميمة اليك بشئ من
أحوالهم المستترة عنك أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة فإنه أبلغ
سموا الى منال الشرف وأعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي
وشرف المهمة وقوة التدبير

واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانهقاق وعن القطوب باظهار الغضب
وتخلعه فان ذلك ضعف من سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل
وليكن ضحكك تبسماً أو كبراً في احايين ذلك وأوقاته وعند كل مرأى ملهى ومستخف
مطرب وقطوبك اطراقاً في موضع ذلك وأحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة
دون أن يكتفها روية الحلم وتملك عليها بادرة الجهل

اذا كنت في مجلس ملاك وحضور العامة مجلسك فاياك والرمي ببصرك الى خاص من
قوادك أو ذى أثره من حشمك وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واعارتك سمعك ذا
الحديث بدعة هادئة ووقار حسن وحضور فهم مستجمع وقلة تضجر بالمحدث ثم لا يبرح
وجهك الى بعض قوادك وحرصك متوجهاً بنظر ركين وتفقد محض فان وجه أحد منهم
نظره محدثاً أو رماك ببصره ملحا فاخفض عنه اطراقاً جميلاً بابداع وسكون واياك
والتسرع في الاطراق والخفة في تصارييف النظر والاحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك
رامقاً بنظره

واعلم ان تصحفك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقد ذلك عارفاً بمن
حضرك وغاب عنك عالماً بمواضعهم من مجلسك ثم أعذبهم عن ذلك سائلاً عن اشغالهم التي
منعهم من حضورك وعاقبتهم بالتخلف عنك ان شاء الله

ان كان أحد من أعوانك وحشمك تشق منه بغيب ضميره وتعرف منه لين طاعة
وتشرف منه على صحة رأى وتأمنه على مشورتك فاياك والاقبال عليه في حادث يرد أو
التوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك أو ان تراه أو أحد من أهل مجلسك ان بك اليه حاجة
موحشة وان ليس بك عنه غنى في التدبيراً وانك تقتضى دونه رأياً شامراً كاله في رويتك
وادخاله في مشورتك واضطراراً الى رأيه فان ذلك من دوائر العيوب المنتشرة بها سوء
القالة عن نظرائك وأنفها عن نفسك خائفاً لا غفها ذلك كرك وأحجبها عن رؤيتك قاطعاً
اطماعاً أوائلك عن مثلها عندك أو غلبتهم عليك منك

واعلم ان للمشورة موضع الخلاء وانفراد النظر فابغها محرزا لها ورهطها طالبا لبيانها
وياك والقصور عن غايتها والافراط في طلبها

احذر الاعتزام بكثرة السؤال عن حديث ما أعجبك أو أمر أما زدهاك والقطع لحديث
من ارداك بحديثه حتى تنقضه عليه بالأخذ في غيره والمسألة عما ليس منه فان ذلك عند العامة
منسوب الى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول محاسن الامور والمعرفة لمساوئها وانصت
لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم انك قد فهمت عنه واحطت معرفة بقوله فان أردت اجابته
فمن معرفة حاله وبعد علم بطلبته والا كنت عند انقضائه كلامه كالمطلع من حديثه بالتبسم
والاغضاء فأجرى عنك الجواب وقطع عنك السن العتب

اياك وان يظهر منك تبرم بمجلسك وتضجر بمن حضرك وعليك بالتبثت عند سورة
الغضب وحية الأنف وملال الصبر في الامر تستعجل به والعمل تأمره بانقاذه فان ذلك
سخر سائر وخفة مردية وجهاله بادية وعليك بثبوت المنطق وقار المجلس وسكون
الريح الرقص لحشوا الكلام وترديد فضوله والاعتزام بالزيادات في منطقك والترديد
لفظك من نحو اسمع أو أعجل أو ألا ترى أو ما يلحق به من هذه الفصول المقصرة بأهل العقل
المنسوبة اليهم بالمرديلة لهم في الذكر وخصال من معاييب الملوك والسوقة عيبها عند
النظر الامن عرفها من أهل الادب وقواما حامل لها مضطلع بشقلها أخذ لنفسه بجوامعها فانها
عن نفسك بالحفظ منها واملك عنها اعتقادك معنيها بها كثرة التخم والتبرق والتخنع
والتثاؤب والجشاء والتخطي وتنقيض الاصابع وتحريكها والعبث باللحية والشارب
والمحصرة وذؤابة السيف والايماض بالنظر والاشارة بالطرف الى أحد من خدمك بأمران
أردته والسرار في مجلسك والاستعجال في طمعك وشريك

ليكن مطعمك مبتدعا وشريك انفا ساو جرعك مصا وياك والتسرع في الايمان فيما
صغرا وكبر من الامور أو الشتيمة بان الهيبة أو العمرية لاحد من خدمك وخاصتك
بتسويعهم مفارقة الفسوق بمحضرك أو في دارك وبنائك فان ذلك مما يقيج ذكروه ويسوء
موقع القول فيه ويحمل عليك معاييبه وينالك شينه وينشر عنك سوء نياه فاعرف ذلك
موقيا له وأحذره مجانب السوء عاقبته

استكثر من فوائد الخير فاما تنشر الحمدة وتقبل العثرة واصطبر على الغيظ فانه يورث
العز ويؤمن الساحة وتبعد العامة بمعرفة دخلهم وبظن أحوالهم واستشارة دفائنهم حتى
يكون على مرأى العين ويقين الخبرة فتتعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقيم أودهم وتعلم

جاهلهم وثبت صلح فاسدهم فان ذلك من فعلك بورئك العزة ويقدمك في الفضل ويبقى لك
لسان صدق في العامة ويحمر ذلك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة قلوبهم
المستجينة عنك (وميز) بين منازل أهل الفضل في الدين والحبى والرأى والعقل والتدبير
والصيت في العامة وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله والجود عنه تنهاها
بأهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتستجمع لك أفاويل العامة على التفضيل
وتبلغ درج الشرف في الاحوال المتصرفه بك فاعتقد عليهم مستدخلا لهم وآثرهم
بمجالستك مستمعاً منهم وإياك وتضييعهم مفرطاً لهم وإهمالهم مضياً

هذه جوامع من خصال قد خصها لك أمير المؤمنين وجمع شواهد ما مؤلفاً وأهداها لك
مرشد تقف عنده وأمرها وتنتهى عند زواجرها وتثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم
من معاطب الردى وتنبأ بنفس الخطوط ومزية الشرف وأعلى درج الذكر والله يسأل
لك أمير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الأمل وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى
غبطة يسوء غك إياها وعافية يحللك أكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين
على الارشاد وبتمام الصالحات وهو مؤتى الحسنات عنده مفااتيح الخير وبينه الملك وهو على
كل شئ قدير

فاذا أفضيت نحو عدوك واعتزمت على لقاءهم وأخذت أهبة قتلهم فاجعل دعامتك التي
تليجأ إليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترجى به منال الظفر وتكتنف به لمغالق
الخطر تقوى الله عز وجل مستشعراً له بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لأمره والاجتناب
لمساخطه محتدياً بسنته والتوقى لعاصيه في تعطيل حدوده وتعدى شرائعه متوكلاً عليه فيما
صمدت له واثقاً بنصره فيما وجهت نحوه متبرئاً من الخول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك
من عز راغباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند
الله عز وجل من قتال عدو الله لاسمين أكلهم عليهم وأظهرهم عداوة لهم وافدحهم ثقلاً
لعامتهم وأخذت بربقهم وأعلاه عليهم بغيا وأظهرهم فيهم فسقا وجورا وأشده على فيهم الذي
أصاره الله لهم مؤونة

ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكف معرتهم ورد مستعلى جورهم وأحكام خلاهم
وضم منتشر قواصيمهم ولم تشتب أطرافهم وخذهم بمن مروا به من أهل ذمتك وملتك بحسن
السيرة (وعفة) الطعمة ودعة الوقار وهدى الدعوة وجام (النفس) محكاً ذلك منهم متفقدا لهم
فيه تفقدك إياه من نفسك

ثم اصعد بعدوك المتسمى بالاسلام خارجا من جماعة أهل المعتل ولاية الدين مستحلا
لدماء أوليائه طاعنا عليهم راغبا عن سنتهم مفارقا لشرائعهم يبيغهم الغوائل وينصب لهم
المكاييد اضرم حقا عليهم وارصد عدوهم من الترك وأمم الشرك وطواغي الملل يدعو
الى المعصية والفرقة والمروق من الدين الى الفتنة مخترعا بهواه الى الأديان المنتحلة والبدع
المتفرقة خسار او تخسير واضلالا واضلالا بغير هدى من الله ولا يمان ساء ما كسبت يده وما
الله بظلام للعبيد وبئس ماسولت له نفسه الأماراة بالسوء والله من ورأه بالمرصاد وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

حض جندك واشكهم نفسك في مجاهدة أعداء الله وارح نصره وتجزم وعده متقدما
في طلب ثوابه على جهادهم معتزما في ابتغاء الوسيلة اليه على لقاءهم فان طاعتك إياه فيهم
ومرأيتك له وورجاءك لنصره مسهل لك وعوده وعاصمك من كل سيئة ومنجيتك من كل
هوة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كبوة ودارىء عنك كل شبهة ومنهذب عنك
لطخة كل شك ومقويك بكل أيد ومكيدة ومؤيدك في كل مجمع لقاء وحافظك من كل شبهة
مردية والله وليك وولى أمير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفر ان أحدهما أعم منفعة وأبلغ في حسن الذكركالة وأحوطه سلامة
وأتمه عافية وأعوده عاقبة وأحسن في الأمور مورد أو أسخه في الرواية حزما وأسفهله عند
العامه مصدر امانيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة ويمن النقية بغير اخطار
الجيوش في وقدة جرة الحرب ومنازلة الفرسان في معترك الموت وان ساعدك (الحظ)
ونالك مزية السعادة في الشرف في مخاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض السيوف
والم الجراح وقصاص الحروب وسجها لهما عاورة ابطها على انك لا تدري لأى الفريقين
الظفر في البديهة من المغلوب في الدولة ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص فحاول أبلغهما
في سلامة جندك ورعيتك وأشهرهما في بادى رأيك وأجمعهما لالفة وليك وعدوك
وأعونهما على صلاح رعيتك وأهل ملتك وأقواهما في حربك وأبعدهما من وصم عزمك
وأجزلهما ثوابا عندك وأبدأ بالاعذار والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وأمر الجماعة وعرى
الالفة أخذ بالحجة عليهم متقدما بالانذار لهم باسقاط أمانك لمن لجأ اليه منهم داعيا لهم اليه بالين
لطفك والطف حيلتك متعطفًا عليهم برأفتك مترفقا بهم في دعائك مشفقا عليهم من غلبة
الغواية لهم واحاطة الهلكة بهم منفذارسالك اليهم بعد الانذار تعدهم كل رغبة يهش اليها
طمعهم في موافقة الحق وبسط كل أمان سألوهم لأنفسهم ومن معهم من تبعهم موطننا نفسك

فما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عهدك قابلا توبة
نازعهم عن الضلالة ومراجعة مسيئتهم الى الطاعة مرصدا للخازن الى فئة المسلمين وجماعتهم
اجابة الى مادعوتهم اليه وبصرته من حقك وطاعتك بفضل المنزلة وكرام المنوى
وتشرىف الحال ليظهر من أثرك عليه واحسانك اليه ما يرغب في مثله لصارف عنك المصر
على خلافك ومعصيتك ويدعو الى الاعتلاق بحبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام به
عاجلا وأنجي له من العقاب آجلا وأحوط على دينه ومهجته بدأ وعاقبة فان ذلك مما
يستدعي نصر الله عز وجل به عليهم وتعتصم به في مقدمة الحاجة اليهم معذرا ومنذرا ان
شاء الله

ثم أدك عيونك على عدوك متطلعا لعل أحوالهم التي ينتقلون فيها وما نازلهم التي هم بها
ومطامعهم التي مدوا بها أعناقهم نحوها وأي الأمور أدعى لهم الى الصلح وأقودها لرضاهم
الى العافية ومن أي الوجوه ما ناهم من قبل السدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب
والابعاد والترغيب والاطماع مستنفا في أمرك متخيرا في رويتك متفكنا من رأيك مستشيرا
لذوى النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم الحروب متسرا في حربك آخذنا بالحزم
في سوء الظن معدا للخطر محترسا من الغرة كأنك منزل كله ومنازلك جمع موافق لعدوك
رأى عين تنظر حلالهم وتخوف غاراتهم معدا أقوى مكيدتك واجد شميرك وارهب
عنادك معظم الأمر عدوك لاكثرهما بفرط تبعة له من الاحتراس عظيم من المكيدة
قويا من غير أن يفئأ عن احكام أمورك وتدير رأيك واصدار رويتك والتأهب لحربك
مصغ له بعد استشعار الخذر واطمئنان الحزم واعمال الروية واعداد الأهبة فان لقيت عدوك
كليل الحدو ونم النجوم نضيض الوفر لم يضررك ما أعددت له من قوة وأخذت به من حزم
ولم يزدك ذلك الاجرة عليه وتسرع الى لقائه وان ألفيته متوقفا لجر مستكثف التبع
قوى الجمع مستعلى سورة الجهل معه من أعوان الفتنة وتبع ابليس من يوقد لهب الفتنة
مسعرا ويتقدم الى لقاء ابطالها متسرا كنت لأخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين
الجند ولا مفرط في الرأي ولا ملتهف على اضاءة تدبير ولا محتاج الى الاعداد ومجلة التأهب
مبادرة تدهشك وخوفا تقلقك ومتى تعزم على رقيق التوقيف وتأخذ بالهوين في أمر عدوك
لتصغر المصغر ينتمش عليك رأيك ويكون فيه انتقاض أمرك ووهن تدبيرك واهمال
الحزم في جندك وتضييع له وهو ممكن الاحكام رحب المطالب قوى العصمة ففسح المضطرب
مع ما يدخل رعيته من الاعترار والغفلة عن احكام أسرارهم وضبط مرأى كثرهم لما يرون

من استنامتك الى الغرة وركونك الى الامن وتم اوناك بالتدبير فيعود ذلك عليك في انتشار
الاطراف وضياح الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من اخبار عدوك واياك ومعاقبة أحد منهم
على خبر ان اتاك به انهم فيه أو سوت ظنا عليه وأتاك غيره بخلافه وان تكذبه فيه وترده
عليه ولعله أن يكون من محض النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الأول أو خرج جاسوسك
الاول متقدما قبل وصول هذا من عند عدوك ولقد أبرموا أمر او حاولوا لك مكيدة وازدادوا
منك غرة وان دفعوا اليك في الأمر ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم فأوردوا
رأيا أو حدثا مكيدة وأظهروا قوة وضر بوا موعدا أو ماسلا كالعديد أناهم أو قوة حدثت
لهم أو بصيرة في ضلالة شغلتهم فلا حوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات ولكن
ألبسهم جميعا على الانتصاح وأرجح لهم المطامع فانك لم تستبدهم بمثله وعدمهم جزالة المناوب
في غير ما استنامة منك الى أمر عدوك والاغترار بما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في
الأخذ بالخرم والاستكثار من العدة واجعلهم أوثق من يقدر عليه ان استطعت ذلك وآمن
من تسكن الى ناحيته ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت فتنتقض
عليهم بتدبيرك ورأيك ما لم يرموا وتأتمهم من حيث أقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا
واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك
فنصحوك وغشوا عدوك وغشوك ونصحو أعدوك وكثير ما يصدقونك ويصدقونه فلا
يبدرن منك فرطة في عقوبة الى أحد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اهتمته على ذلك
وأبسط من آمالك فيك من غير أن ترى أحدا منهم انك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع
له أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه أو رددته عليه رد المكذب له والمتمهم المستخف بما أتاك منه
فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتعداوته

احذر أن يعرف جواسيسك في عسكرك أو يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على
كاتب رسائلك وأمين سررك ويكون هو الوجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهتهم
واعلم ان لعدوك في عسكرك عيونا راصدة وجواسيس كمنسة وان رأيه في مكيدتك مثل
ما تكايد به وسيحتال لك كاحتيالك له ويعتلك كاعتدالك له فاحذر أن يشعر رجل من
جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعده المراد ويحتال له
بالمكايد فان ظفر به وأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن تطلب الاخبار
من معانها واستقصاها من عيونها حتى يصير الى أخذها عن عرض من غير الثقة ولا

معينة لغطائهم بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة

واحد أن يعرف بعض عيونك بعضا فانك لا تأمن تواطوهم عليك ومما لا تتم عدوك واجتماعهم على غشك وكذلك وأن يورط بعضهم بعضا عند عدوك وأحكم أمرهم فانهم رأس مكيدهتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حركتك وهو أول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وجنب رجاءك به نيل أمالك من عدوك وقوتك على قتالهم وانتهاز فرصته ان شاء الله فاذا أحكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه فول شرتك وأمر عسكريك أوثق قوادك عندك وأمنهم نصيحة وأقدمهم بصيرة في طاعتك وأقواهم شكية في أمرك وأمضاهم صريخة وصدقهم عفاقا وأجرأهم (جنانا) وكفاهم أمانة وأحكمهم ضميرا وأرضاهم صبرا وأحمدهم خلقا وأعطفهم على جماعتهم رافة وأحسنهم لهم نظرا وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض اليه مقواليه وأبسط من أماله مظهر اعنه الرضا حامدا منه الابتلاء . وليكن عالمنا كثر الجنود بصيرا بتقديم المنازل محرجا إذا رأى وتجربة وحزم في المكيده له نباهة في الذكر وصيت في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه في ضبط معسكرك واذا كاه احراسه في آناء ليله ونهاره ثم حذر له أن يكون له اذن الجنود في الانتشار والاضطراب والتقدم للطائفة فيصاب منهم غرة تجترى بها عدوك ويسرع اقداما عليك ويكسر من أفئدة جنودك ويوهن من قوتهم فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جنودك وعبيدك مطمع لهم منك مقولهم على شجاعتهم عليك وتصغيرهم أمرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكون منه افراط في التضييق عليهم والخصم لهم فيهمهم أزاله ويشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشده المؤونة عليهم وتخبث له ظنونهم وليكن (موضع) انزاله اياهم مستديرا ضاماجا معا ولا يكون منتشر امتداف يشق ذلك على أصحاب الاحراس ويكون فيه الهزة للعدو والبعد من المادة ان طرق طارق في فجأت الليل وبغمتاته وأوعز اليه في احراسه ومرة فليول عليهم رجلا ركيما محرجا بجرىء الاقدام ذكي الصرامة جلد الجوارح بصيرا بموضع احراسه غير مصانع ولا مشفع للناس في التلحى الى الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالى ويوهنه لاستنামته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم ان موضع الاحراس من موضعك ومكانها من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقا أو ارادهم مخاتلا ومراصدها المنسل منها الآبق من أرقائهم وأعبدهم وحفظ العيون والجواسيس من عدوهم واحذر أن يضرب على يديه أو

على الصرامة لمواصرتك في كل أمر حادث وطارق الا في الملم النازل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى نصحك واستوليت على محض ضميره في طاعتك وأجهد نفسه في ترتيبك واغاثتكم وكان ثقتك وزينتك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكيدة عدوك مريحا نفسك من هم ذلك والعناية به ملق عنك مؤونة باهظة وسلفة فادحة ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الاحكام ولا يمثل أحد من الولاة لما يجري على يديه من مغالط الاحكام ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء بين أهل العسكر من ذوى الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجوه القضايا ومواقفها قد حنكته السن وأيدته التجربة وأحكمته الامور ممن لا يتصنع للولاية ويستعد للنزوة ويجترى على المحاباة في الحكم والمداهنة في القضاء عدل الامانة عفيف الطعمة حسن الانصاف فهم القلب وورع الضمير متخشع السمعت هادى الوقار محتسبا للخير ثم أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه وفرغه لما حلت له وأعنه على ما وليته فانك قد عرضته لهلكة الدنيا واثواب الآخرة أو شرف العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقت رويته وصحت سريره وسلط حكم الله على رعيته منفذا قضاءه في خلقه عاملا بسنته في شرائعه آخذا بحدوده وفرائضه

واعلم أنه من جندك ومعسكرك بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية أحكامه عليهم النافذة أفضيته بينهم فأعرف من توليه ذلك وتسند اليه ان شاء الله ثم تقدم في طلائعك فانها أول مكيدتك ورأس حربك ودعامته أمرك فانتهب لها من كل قادة وصحابة رجال ذوى نجدة وبأس وصرامة وخبرة وحماة كفافة قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشربوا من مرارة كؤوسها وتجرعوا غصص درتها وزبنتهم بتمكرارها وحلتهم على أصعب مرأكبها ثم اتبعهم على عينك وأعرض كراهم بنفسيك وتوخ في انتقالمهم ظهور الجلود وسجاجة الخلق وجمال الآلة واياك أن تقبل من دوابهم الا اناث الخيول مملوكة فانها أسرع طلبا وأتجى مهربا وأبعد في اللحق غاية وأصبر في معترك الابطال اقدا ما ونجدهم من السلاح بأبدان الدروع ما ذية الحديد شاكاة السخ متقاربة الخلق متلاحمة المسامير واسوق الحديد ثموهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندى وصوغها فارسى رفاق المعطف بأكف وافية وعمل محكم ويلق البيض مذهبة ومجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابغة الملبس وافية الدين مستديرة الطبع مهمة السر دوافية الوزن كتريك النعام في الصنعة معالجة بأصناف الحرير وألوان الصبغ فانها أهيب لعدوهم وأفت لأعضادهم لقيمهم

والمعلم مخشى محذور له بديهة وادعة معهم السيوف الهندية وذكور البيض اليمانية رفاق السفرات مسنونة الشخذ غير كيدية المشخذ مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر صافية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها أمت الصوغ ولا شأنها خفة الوزن ولا فدح حاملها بهور الثقل قد أشرعوا لدن القناطوال الهوادي زرق الاسنة مستوية الثعالب وميضها متوقد وشخذها مطلب معاقص عقد هام نخوة ووصم أودها مقوم أجناسها مختلفة وكعوبها جعدة وعقد ها حنكة شطبة الأسنان محكمة الجلاء مموهة الاطراف مستعدة الجنبات دقاق الأطراف ليس فيها التواء أود ولا أمت وصم ولا لها سقط عيب ولا عنها وقوع أمانة مستحقب كنائن النيل وقسي الشواحط والنبيع اعرايية التعقيب رومية النصول فانها أبلغ في الغاية وأنفذ في الدروع وأشك في الحديد سامطين حقائبهم على متون خيولهم مستخفين من الآلة والأمتعة الامالا غناء بهم عنه

واحذر أن تكل مباشرة عرضهم الى أحد من أعوانك أو كتابك فانك ان وكتبه اليهم أضعت موضع الخزم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الخزم ودخل عملك ضياع الوهن وخلص اليك عيب المحابة وناله فساد المداهنسة وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين ولا عدة ولا حصان يدرون به ويكتنفون بموضعه

واعلم ان الطلائع عيون وحصون للمسلمين فهم أول مكيدتك وعروة أمرك وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك ثم انتخب لهم رجلا للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وأيام طوال وصولات متقدما قد عرفت نكايته وحذرت شوكمته وهيب صوته وتنكب لقاءه أمين السريرة ناصح الغيب قد بلوت منه ما يسكنك الى ناحيته من لين طباعه وخالص المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب موداتهم واستعداد ضماثرهم وأجر عليهم أرزاقا تسعهم وتمد من أطماهم سوى أرزاقهم في العامة وفي ذلك من القوت لك عليهم والاستئانة الى ما قبلهم

واعلم انهم في أهم الاماكن لك وأعظمها غناء عنك وعن معك وأقمعها كنا وأشجى لعدوك ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنصيحة حيث وصفت لك وأمرتك به تضع عنك مؤونة الهمة وترخي عن خناقك دروع الخوف وتلجى الى أمر متبين وتظهر قوى وأمر حازم تأمن به فجاءت عدوك ويصير اليك علم أحوالهم ومقدمات خيولهم

فانتخبهم رأى عين وقوهم بما يصلحهم من المنال والاطماع والارزاق واجعلهم منك بالمنزل
الذى هم به من محارز علامتك وحصانة كهو قك وقوة سيطرة عسكرك وياك أن تدخل
فيهم أحدا بشفاعة أو تحتله على هوادة أو تقدمه منهم لاثرة وأن يكون مع أحد منهم بغل نقل
أو فضل من الظهر أو ثقل فادح فيستمد عليهم مؤونة أنفسهم ويدخلهم كلال السائمة فيما
يعاجون من أنقالمهم ويستعملون به عن عدوهم أن دهمهم منه رافع أو فاجأهم لهم طليعة فتفقد
ذلك محكاله وتقدم فيه أخذ بالخرم في إمضائه أرشدك الله لاصابة الخط ووفقك لمن التدبير
ولدراجة عسكرك واخراج أهله الى مصافهم ومرا كزهم رجلا من أهل بيوتات
الشرف محمود الخبرة معروف النجدة داسن وتجربة لئين الطاعة قديم النصيحة مأمون
السريرة بصيرة في الحق تقدمه ونية صادقة عن الادهان تحجزه واضم اليه عدة من ثقات
جندك وذوى أسنانهم يكونون شرطة معه ثم تقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس
واذ كاء العيون وحفظ الاطراف وشدة الحذر ومرة فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في
مصافهم كل قائد بازاء موضعه وحيث منزله قد شد ما بينه وبين صاحبه بالرمح شارعة والتراس
موضونة والرجال راصدة اذ كية الاحراس وجلة الروع خائفة طوارق العدو وبيانه ثم
مرا ان يخرج كل ليلة قائدا من أصحابه أو عدة منهم ان كانوا كثيرا على غلوة أو غلوتين من
عسكرك محيطا بمنزلك اذ كية احراسه قلقة التردد مفرطة الحذر معدة الروع متأهبة للقتال
أخذة على اطراف العسكر ونواحيه متفرقين في اخلافهم كردوسا كردوسا يستقبل
بعضهم بعضا في الاختلاف ويكسع متقدما في التردد فاجعل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك
نوبا معروفة وحصصا مفرضة لا يعدمه مز دلفا بمودك ولا يتحامل على أحد فيه بموجدة
ان شاء الله

فوض الى أمراء جندك وقوادهم أمور أصحابهم والأخذ على أيديهم رياضة منك لهم على
السمع والطاعة لامرهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم الى أمراء الاجناد
في النوايب التي ألزمهم اياها والاعمال التي استجبتهم لها والاسلحة والكرراع التي كتبها
عليهم واحذرا اعتلال أحد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين جندك وتقويمهم لطاعتك
وقمعهم عن الاخلال بمرا كزهم لشيئ مما وكلوا بهم من أعمالهم فان ذلك مفسدة للجند معي
للقواد عن الجد والمناجحة والتقدم في الاحكام

واعلم ان استخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمرهم دخول الضياع على أعمالك واستخفاف
بأمرك الذي يأمرون به ورأيك الذي ترتئى وأوعز الى القواد أن لا يتقدم أحد منهم على

عقوبة أحد من أصحابه العقوبة تأديب وتقويم ميل وتثيف أود فاما عقوبة تبلغ ثلث المهجة واقامة الحد في قطع أو افراط في ضرب أو أخذ مال أول عقوبة في سفر فلا يلين ذلك من جندك أحد غيرك أو صاحب شرطتك بأمرك وعن رأيك واذنك ومتى لم نذل الجند لقوادهم وتضرعهم لأمرهم يوجب عليك لهم الحجة بتضييع وان كان منهم لأمرك خلل ان تهاونوا به من عملك أو عجز ان فرط منهم في شيء وكنتم اليه أو اسندته اليهم ولم تجد الى الاقدام عليهم باللوم وعض العقوبة مجازاتصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تدليل أصحابهم لهم وافسادك أيامهم عليهم فانظر في ذلك نظرا محكما وتقدم فيه تقدم ما يليغا وإياك ان يدخل حزمك وهن أو عزمك أمارا من رأيك ضياع والله استودع ديننا في نفسك اذا كانت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر وكان من عسكريك مقربا قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحاجة فتنه فتأهب أهبة المناجزة وأعد أعداد الحذر وكتب خيولك وعب جنوك وإياك والمسير الامقدمة وميمنة وميسرة وساققة قد شروا بالاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جندك مرا كزهم سائر ين تحت ألويتهم قد أخذهم أهبة القتال واستعد واللقاء ملحين الى موافقهم عارفين بمواضعهم من مسيرهم ومعسكرهم وليكن ترجمهم وتنزلهم على رايانهم واعلامهم ومرا كزهم وعرف كل قائد وأصحابه موقعهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقطة والطليلة لازمين لها غير مغلين بما استجدتهم له ولا تهاونين بما أهدبتهم اليه حتى تكون عساكرهم في كل منهل تصل اليه ومسافة تختارها كأنه عسكر واحد في اجتماعها على العدة وأخذها بالخزم ومسيرها على رايانها ونزولها مرا كزها ومعرفتها بمواضعها ان أضلت دابة موضعها عرف أهل العسكر من أي المرا كزهي ومن صاحبها وفي أي المحل حاوله منها فردت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها فان تقدمت في ذلك واحكامك له اطراح عن جندك مؤونة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة ثم اجعل على ساقلك أوثق أهل عسكريك في نفسك صرامة ونفاذا ورضافي العامة وانصافا عن نفسه للرعية وأخذنا بالحق في المعادلة مستشعرا تقوى الله وطاعته أخذنا بهديك وأدبك واقفا عند أمرك ونهيك معترضا على مناصحتك وتزبينك نظيرا لك في الحال وشيها بك في الشرف وعديلا في المواضع ومقاربا في الصيت ثم كشف معه الجمع وأيده بالقوة وقوه بالظهر وأعنه بالاموال واغمره بالاسلح ومره بالعطف على ذوي الضعف من جندك ومن رخت به دابته وأصابته نكبة من مرض أو رجله أو آفة من غير ان تأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكريه أو التخلف بعد ترجمه لا المجهود أو المطروق باقة

ثم تقدم اليه محذرا ومروا جزا وانهم مغلظا بالشدة على من مر به منصرفا عن معسكرك من
جندك بغير جوارك شاداهم اسرا وموقرهم حديدا ومعاقبهم موجعا أو موجههم اليك
فتنهكهم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة
واعلم انه ان لم يكن بذلك الموضع من تسكن اليه واثقا بنصيحتهم عارفا بصيرته قد بلوت منه
امانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مهانتهم ونفاذا في أمرك يرخي عنك خناق الخوف في
اضاعته لم آمن تسلب الجند عنك لو اذاور فضهم مرا كثرهم واخلالهم بمواضعهم وتخلفهم عن
أعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اخترمه منهم ما ذلك في وهناك وأخذ من
قوتك وقلل من كثرتك

اجعل خلف ساقك رجلا من وجوه قوادك جليدا ماضيا عفيفا صار ماشهم الرأي
شديدا الحذر شكيم القوة غير مداهن في عقوبة ولا مهين في قوة في خمسين فارسا من خيلك
تحضر اليك جندك ويلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ في عقوبتهم والنهك لهم
والتسكيل بهم وليكن لعقوتك في المنزل الذي ترتحل عنه والمنزل الذي تتقوض منه مفرطا
في النقص والتبع لمن يتخلف عنك مشيدا في أهل المنزل وساكنه بالتقدم موعزا اليهم في
ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم من مكانهم وابعاد العقوبة الموجهة والنكال المنيل في
الاشعار واصفاء الاموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحدا أو ستر موضعه وأخفى محله
وحذرهم عقوبتك اياه في الترخيص لاحد والمحاباة لدى قرابة والاختصاص بذلك لدى أثرة
أو هوادة

وليكن فرسانه منتخبين في القوة معروفين بالنجدة عليهم سوابغ الدروع ودونها شعار
الحشو وحب الاستحثاث متقلدين سيموفهم سامطين كنائتهم مستعدين لهييج ان يدهم
أو كين أن يظهر لهم واياك أن تقبل في دوابهم إلا فرسا قويا أو برزونا وبجاءا من ذلك من أقوى
القوة لهم وأعوان الظهير على عدوهم ان شاء الله

ليكن رحيلك ابانا واحدا وقما معلوما لتخف المؤونة بذلك على جندك ويعلموا أن
رحيلهم فيقدموا فياير بدون من معالجة أطعمتهم وأعطاف دوابهم وتسكن أفئدتهم الى
الوقت الذي وقفوا عليه ويطمئن ذوو (الحاجات) أبان الرحيل ومتى يكون رحيلك مختلفا
تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ويخلوا بمرأ كثرهم ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون
بالأرجاف وينزلون بالتوهم حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة
اياك ان تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى يأمر صاحب تعبيتك بالوقوف على

معسكرك أخذنا بقوة جنبتيه بأسلحتهم عدة لأمر ان حضر ومفاجأة من طليعة العدو ان أراد نهزة أولمحت عندكم غرة ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنتك واقية حتى اذا استقلتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتكم على تعبيتكم بسكون ریح وهدو وحلة وحسن دعة

فاذا انتهيتم الى منهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به فاياك ونزوله إلا بعد العلم بان تعرف لك أحواله أو يسبر علم دفينه ويستبطن علم أموره ثم ينهيها اليك وما صارت اليه لتعلم كيف احتمال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وهل لك اذا أردت مقامه أو مطاولة عدوك ومكيدتك فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن أن يهجم على منزل يزعمك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع مواده ان أردت بعدوك مكيدة واحتجت من أمرهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غرض العدو ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلا وان أقت به أقت على مشقة حصر وفي أزل وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه

فاذا أردت نزولا أمرت صاحب الخيل التي رحلت الناس فوقفت متخية، معسكرك عدة لأمر ان راعك ومفر عالبدية ان راعتك قد أمنت باذن الله وحوله بخاة عدوك وعرفت موقعها من حربك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الأتقال مواضعها ويأتيك خبر طلائعك وتخرج دباباتك من عسكرك دبابا محيطين بعسكرك وعدة لك ان احتجت اليهم وليكن دباب جندك بعسكرك أهل جلد وقوة قائد أو اثنين أو ثلاثة باحبابهم في كل ليلة ويوم نو باينهم فاذا غربت الشمس ووجب نورها اخرج اليهم صاحب تعبيتك أيداهم عسسا بالليل في أقرب من مواضع دباب النهار يتعاور ذلك قوادك جميعا بلا محاباة لأحد منهم فيه ولا ادهان ان شاء الله

اياك أن يكون منزلك الا في خندق أو حصن تأمن به بيات عدوك وتستقيم فيه الى الحزم من مكيدته اذا وضعت الاتقال وخططت أبنية أهل العسكر لم يمد خباء ولم ينصب بناء حتى يقطع لكل قائد درع معلوم من الأرض بقدر أحبابه فيحتفروه عليهم (ويبنون) بعد ذلك خنادق الخسك طارحين لها دون أشجار الرماح ونصب الترس لها بآبان قد وكلت بعد بحفظ كل باب منهمار جلا من قوادك في مائة رجل من أحبابه فاذا فرغ من الخندق كان ذلك القائد ان أهلا لذلك المركز (وموضع) تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس لذنيك الموضعين ند الى الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالى وپوهنه

لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم انك اذا أمنت باذن الله طوارق عدوك وبغتناهم فاذا راموا ذلك منك كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالجد فيه وتقدمت في الأعداد له ورتقت مخوف الفتق منه ان شاء الله

اذا ابتليت ببيات عدوك أو طرقك رائعا في حذر امعدام شعرا عن ساقك مسرعا لحررك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ما وصفت لك التي قدرت لك وطلائعك حيث أمرتك وجندك حيث عبأت قد خطرت عليهم بنفسك وتقدم الى جندك أن (طرق) طارق أو فاجأهم عدولا يتكلم أحد منهم افعاصوته بالكبير مستغفرا في اجلاب معلل الارهاب الأهل الناحية (التي) يقع بها العدو طارقا وليس عوار ما حهم ما دين لها في وجوههم ويرشقهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمرا كزهم . . قدم عن موضعها ولا منحازين الى غير مر كزهم وليكبر واثلاث مرات متواليات وسائر الجند هادون . . عدوك من معسكرهم فتمد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشركك ومن انتخب قبل ذلك عدة للشدائد وتدس لهم النشاب والرمح واياك أن يشهر واسيفا يتجالدون به وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم بالليل في تلك المواضع من طرقهم إلا بالرمح مسندين لها الى صدورهم النشاب راشقين به وجوههم قد ألبسوا بالترسة واستجنوا بالبيض وألقوا عليهم سوابغ الدروع وحباب الخشوفان صد العدو عنهم حاملين على ناحية أخرى كبر أهل تلك الناحية الأولى وبقية العسكر سكوت والناحية التي صدر عنها العدو لازمة لمرا كزها فعملت في تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك باخوانهم واياك وأن تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعرا لها وأوقدها حطبا جزلا يعرف بها أهل العسكر مكانك وموضع رواقك ويسدن نافر قلوبهم ويقوى واهن قوتهم ويشتم من خذل ظهورهم ولا يرجفون فيك بالظنون ويحيون لك آراء السوء وذلك من فعلك رد عدوك بغیظه ولم يستقل منك بظفر ولم يبلغ من نكايتك سرورا ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه أو كانت لك خيل معدة وكتيبة مشخبة قدرت أن تركب بهم أكتافهم وتحملهم على سننهم فاتبعهم جريد خيل عليها الثقافات من فرسانك وأولوا النجدة من حماك فانك ترهق عدوك وقد آمن بياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك والأخذ بأبواب معسكره والضبط لمحاسنه موهنة حماهم لعبة أبطالهم لما ألقوكم عليه من التشهير والجد قد عقر الله فيهم وأصاب منهم

وجرح من مقاتلهم وكسر من أمانى ضلالتهم ورد من مستعلى جماحهم وتقدم الى من توجه
في طلبهم وتتبعه (أن يكونوا) هم في سكون الريح وقلة الرفث وكثرة التسبيح والتهليل
واستنصار الله عز وجل بقلوبهم وألسنتهم سر او جهر ابلا الجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء
دون أن يردوا على مطلبهم ويتنزهوا فرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فان لها
هيبة رائعة وبديهة مخوفة لا يقوم لها في مهمة الليل إلا البطل المحارب وذو البصيرة المحامي
المستقيم المقاتل وقليل ما هم عند تلك المواضع ان شاء الله

ليكن أول ما تقدم به في التهيؤ لعدوك والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكريك
وحماة جندك ذوى البأس والحنكة والجد والصرامة ممن قد (اعتاد) طراد الكجاة وكسر
عن ناجذهم في الحرب وقام على ساق في منازلة الأقران ثقف الفراسة مستجمع القوة مستحصد
المريرة صبور على أهوال الليل عارفا بمناهز الفرص لم تمنه الحنكة ضعفا ولا أبلغت به
السن ملالا ولا أسكرته غرة الحداثة جهلا ولا أبطرته نجدة الا غمار صلفا جريئاعلى مخاطرة
التلف متقدما على ادراع الموت مكابر المرهوب الهول متقحما مخشى الخوف خائضا غمرات
المهالك برأى يؤيده الخزمونية لا يخلجها الشك وأهواء مجتمعة وقلوب موقنة عارفين بفضل
الطاعة وعزها وشرها وحيث محل أهلها من التأييد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأى عين
على كراهم وأسلحتهم ولتكن دوابهم اثاث عتاق الخيول وأسلحتهم سوابغ الدروع وكال
آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والخيرة من
معادن الأجناس هندية الحديد أو بدنية يمانية الطبع رقاق المضارب مستوية الشحنة مشطبة
الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية التعقيب معامة المقابض بحلق الحديد انحأوها
مريعة ومحارزها بالتجليد مضاعفة ومحملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي قد
استحقبوا وقسي الشريان والنبيع اعرابية الصنعة مختلفة الأجناس محكمة العمل ونصول
النبل مسدودة وتزكيبها عراقى وتريشها بدوى مختلفة الصوغ في الطبع شتى الأعمال في
التشطيب والاستزادة ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض منبسطة السنة سهلة الانعطاف
مقربة الانحناء ممكنة المرمى واسعة الأسهم فرضا سهلة الورود معاطفها غير معنون المواتاة
ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك ونصائحك وتقدم اليهم
في ضبطهم وكف واستنزل نصائحهم واستعداد طاعتهم واستخلاص ضمايرهم وتعهد كراهم
وأسلحتهم معفيالهم من النوائب التى تلزم أهل العسكر وعامة جندك ثم اجعلهم عدة لأمران
فأجأك أو طارق يتيك ومهم أن يكونوا على أهبة معيدة وحذرهم فانك لا تدري أي

الساعات من ليالك ونهارك تكون اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في التشهير والتردى وسرعة الاجابة فانك عسيت أن لا تجد عند جماعة جندك مثل تلك الروعة والمباغته ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معدة بل ذلك كذلك فاذا كره اولي الذين تبحث عدتك وقوتك تقوى يا قد قطعنا على القواد الذين وليتهم أمورهم فسميت أولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت فيما يبدئك ويطرفك لبعث واحد كان بعدا لم تحتج فيه الى امتحانهم في ساعتهم تلك وقطع البعث عليهم عند ما يرهقك وان احتجت الى اثنين وثلاث وجهت منهم ارادتك ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلا أميناً صالحاً ذاروع حازر ودين فاضل واجعل معه خيلا يكون مسيرها ومنزلها وترحلها مع خزائنك وتقدم اليه في حفظها والتوفر عليها واتهام من يستولى على شيء منها على اضعافه والتهاون به والشدة على من دنا منها في مسير أو ضامها في منزل وليكن عامة الجنود والجيش إلا من استصلحت للسير معها متخين عنها مجانبين لها فانه ربما كانت الجولة وحدثت الفرقة فان لم يكن للخرائن ممن يوكل بها أهل حفظ لها وذب عنها أسرع الجنود اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهم الى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فان أهل الفتن وسوء السيرة كثير وانما همته الشرفايل وأن يكون لأحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطمع أو يجردوا الى اغتيا لها وممرتها ان شاء الله

اعلم ان أحسن مكيدتك أثر في العامة وأبعدها صوتا في حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحسن الروية وحزم التدبير ولطف الحيلة فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على اصابته لا بالقتال واخطار التلف وادسس الى عدوك وكاتب رؤوسهم وقادتهم وعدهم المنالات ومنهم الولايات وسوغهم التراب وضع عنهم الأحن واقطع عنهم أعناقهم بالمطامع واملاء قلوبهم بالترهيب وان أمكنتك منهم الدوائر وأصار بهم اليك الرواجع وادعهم الى الوثوب بصاحبهم أو اعزله ان لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ولا عليك أن تطرح الى بعضهم كتباً كأنها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على ألسنتهم كتباً اليك يدفعها اليهم ويحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده منزلة التهمة فلعل مكيدتك في ذلك أن يكون فيها افتراق كلمتهم وتشتيت جماعةهم واحش قلوبهم سوء الظن من واليهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على أنفسهم اذا أيقنوا بانها من اياهم فان بسط يده بقتلهم وأولغ في دمائهم سيفه واسرع في الوثوب بهم أشعرهم جميعا الخوف وشملهم الرعب ودعاهم اليك الهرب وتهافتوا بجوك

بالنصيحة وان كان متأنياً محملاً رجوت أن تستميل اليك بعضهم وتستمدعي بالطمع ذوى
الشر منهم وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم ان شاء الله

اذ اندانى الصغان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب فعبأت أصحابك لقتال عدوهم
فأكثر من لاحول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله والتفويض اليه ومسألته توفيقك
وارشادك وأن يعزم لك على الرشد والعصمة الكائلة والحيمطة الشاملة

ومر جندك بالصمت وقلمة التلفت الى المشارله وكثرة التكبير فى أنفسهم والتسبيح
بضأرهم ولا يظهر واتكبيرا الا فى الكرات والجملات وعند كل زلفة يزدلفونها فأماوهم
وقوفى فان ذلك من الفشل والجبن وليكثر وامن لاحول ولا قوة الا بالله حسبنا الله ونعم
الوكيل اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغى واكفنا شوكتة المستعدة وأبدنا
بملائكتك الغالبين واعصمنا بعونك من الفشل والعجز انك أرحم الراحمين

وليكن فى عسكرك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على
القتال ويحرضونهم على عدوهم ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ويدكرونهم الجنة
ورخاء أهلها وسكانها ويقولون اذكروا الله يذكركم واستنصروه وينصركم وان استطعت
أن تكون أنت المباشر لتعبية جنودك ووضعهم من رأياتك ومعك رجال من ثقات فرسانك
ذو وسن وتجربة ونجدة على التبعية وأمير المؤمنين واصفها لك فى آخر كتابه هذا ان شاء
الله أيدك الله بالنصر وغلب لك على القوة وأعانك على الرشد وعصمك من الزيغ وأوجب
لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الاصفياء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفصل الثانى

فى

(آداب الملوك وأخلاقهم وسياساتهم)

آداب الملوك هى أحوال عرفها الامراء والملوك بالتجارب والرأى الصائب مما ينبغى
أن يفعله ومما ينبغى أن يجتنبه قال معاوية رضى الله عنه لا ينبغى للملك أن يكون كذابا ولا
غاشا لانه ينصح ولا تصح الولاة الا بالنصيحة ولا غشوبا لانه اذا احتد هلكت رعيته ولا

خسود الاله لا يشرف أحد فيه حسد ولا يصلح الناس الا بأشرافهم ولا جبالا لانه يجترى عليه
عدوه وتضيع ثغوره

وقد جاء في كتاب كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك ان الملك المنتصب لتدبير الرعية
يجب أن يتصف بالاوصاف الكريمة ويجعلها خلقا مطبوعا له ولا يهمل منها وصفا واحدا منها
قوام دولته ودوام مملكته وهي خمسة عشر وصفا - العدل - العقل - الشجاعة -
السخاء - الرفق - الوفاء - الصدق - الرأفة - الصبر - العفو - الشكر - الاناة -
الحلم - العفاف - الوقار

✽ العدل ✽

عليك بالعدل ان وليت مرتبة واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على الكفر البهيم ولا يبقى على الجور في بدو وفي حضر
العدل - هو أفضل أوصاف الملوك وأقوم لدولته يدعو الى الطاعة وبه استقام الدين
وتألفت النفوس وعمرت البلاد واتصل التواصل وأمنت السبيل وقد قال في ذلك
أفلاطون بالعدل ثبات المملكة والجور زوالها وحكى ان الاسكندر قال لحكام الهند وقد
رأى قلة الشرائع في بلادهم لم صارت سنن بلادكم قليلة قالوا لا عطائنا الحق من أنفسنا ولعدل
ملوكنا فينا

فالسultan اذا عدل انتشر العدل في رعيته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما
بينهم ولزموا قوانين العدل الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق
فأرسلت السماء غيثها وأخرجت الارض بركتها ومنت تجارتهم ورخصت أسعارهم وامتلاّت
أوعيتهم فواسى الخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق وأعيرت المواعين وتهادوا التحف
وهان الحطام لكثرة وانتشر بعد عزته

وقد ذكر أبو الحسن الاشيلي - ان العدل نوعان ظاهر وباطن وكل نوع منها ينقسم
ويفصل الى أحكام - أما الظاهر فهو في الحكم بين الناس لقوله سبحانه وتعالى وان
حكمت فاحكم بينهم بالقسط وفي عدالة الشهود لقوله عز من قائل واشهدوا ذوى عدل منكم
وفي صدق القول لقوله تعالى واذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى وفي صلاح ذات البين لقوله
جل ذكره وان طائفتان من المؤمنين اختلفتا الى قوله وأصاحوا بينهم بالعدل وأقسطوا ان
الله يحب المقسطين - وفي الوزن لقوله تعالى عز وجل وزنوا بالقسطاس المستقيم وكذلك

في جميع الاشياء فانها مفتقرة الى العدل فيها والاعتداد في جميع معانيها
 أما الباطن فهو في جميع ما يلزم الانسان من محاسبة نفسه فيما بينه وبين الخالق وفيما بينه
 وبين المخلوق فاما الذي بينه وبين الخالق فامثال أحكامه والتزام حدوده عند أوامره ونواهيه
 وأما الذي بينه وبين المخلوق فالانصاف من نفسه فيما كان له وعليه وأخذ الحق واعطائه وقوله
 الصدق وأنصاره وحسن المعاشرة وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وكتمان السر وغير ذلك مما
 يتعلق بحكم الشريعة ويقتضيه الحق وتوجيه مكارم الاخلاق ومن تجرد عن اتیان هذه
 الخصال فقد عدل عن طريق العدل وحاد عن سنن الحق قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق
 الله تعالى وسأل كسرى بعض حكام الفرس أى الرجال خير فقال أرحمهم ذرعا عند الضيق
 وأعدلهم حكما عند الغضب وأبعدهم ظاهرا عند المقدرة وأرحمهم قلبا اذا سلط وأبسطهم وجهها
 اذا سئل انتهى

نخير المولود من عدل في رعيته وحملهم على طاعته فلا يبلغ فيهم من العنف عليهم منزلة
 تحملهم على الذم في أمره والبرم بولايته ولا يبلغ بهم من التراخي والاهمال منزلة تقودهم الى
 الاستخفاف بأمره والاخلال بحقه وان يعم عدله الكبير والصغير والقريب والبعيد
 وليس العدل شئ اختص به الامراء والرؤساء والولاة ممن له في غيره حكم دون غيرهم بل هو
 لازم لكل انسان في جميع أحواله فانه يتعين عليه العدل في أهله وماله وولده وعياله وخوله
 وقرابته وجيرانه ومعاملته وخطبائه في أخذ وعطاءه وفي الخاص والعام من جميع اموره
 واحواله فالناس على دين ملوكهم وقد أخبر الخافض في تاريخه أن العباس بن محمد الهاشمي قال
 أنى لواقف بين يدي المأمون يوما وقد جلس للمنظام اذ دخلت امرأة متظاممة في خريات
 الناس وعليها هيئة واطمار بالية وقد اذن المؤذن الاولى وهم بالقيام فقالت

يا خير من تصف يهدي له الرشدا ويا اماما به قد أشرق البلد
 تشكو اليك سليل الملك ارملة عدا عليها فلن يقوى به أحد
 فابتدمنى ضياعا بعد منعتها وقد تفرق عني الاهل والولد

فأجابها المأمون ارتجالا من

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد منى ودام به في قلبي الكمد
 هذا أو ان صلاة الظهر فانصرفي واحضري الخصم في اليوم الذي أعد
 والمجلس السبب أن يقضى الجلس لنا انصفك فيه والالجلس الاحد
 قال فجلس يوم الاحد ودخلت المرأة فقال لها أين الخصم فقالت هو بين يديك وأشارت

الى ولده العباس فقال لأحمد أبى خالد خديده واجلسه معها موضع الخصوم فأدعت عليه بالضيعة وجعلت ترفع صوتها عليه فقال اخفضى من صوتك فانك بين يدي أمير المؤمنين قال المؤمنون دعها فان الحق انطقه والباطل أسكته ثم ظهر الحق معها فقضى لها وأمر برد ضيعتها لها وغرم ولده ما أخذته من ريعها وأمر عامله ببلدها ان يحسن معاملتها

وحكى العتبي انه بعث هشام ابن عبد الملك يوما الى قاضيه فلما دخل خرج اليه وزيره وأقبل ابراهيم ابن محمد بن طلحة فقعدوا جميعا بين يدي القاضى وقال له الوزير أن أمير المؤمنين قدمنى للسلام عنه مع هذا الرجل يعنى ابراهيم فقال القاضى تأتيني بالبينة على تقديمك قال أترانى قلت عن أمير المؤمنين ما لم يقل وايس بينى وبينه الا هذا السر قال لا ولكن لا يثبت الحق لك ولا عليك الا بذلك فقال ولم يثبت ان فقعت الابواب وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين فقام اليه القاضى فأشار اليه فقصده وبسط له فقعد هو و ابراهيم على البسط اتباعا للحق فتكلموا وحضرت البينة فوجب الحكم على أمير المؤمنين فقضى عليه

ويحكى أيضا عن الحكم بن هشام أحد خلفاء بنى أمية بالاندلس وكان قد قدم للقضاء بقرطبة بمحمد بن بشير وكان فتى وكان اذا خرج وجلس فى مجلس الحكم لبس ردأة معصفرة ورجل شعره وكان الى شعمة أذنه فاذا التمس ما عنده وجد قائما بالحق نافذا الحكم مؤثرا العدل قويافى ذات الله تعالى بعيدا عن الهوى جانحا الى التقوى فرفع اليه رجل من كورة عيمان ان عاملا لا يحكم اغتصب جارية وصيرها الى الحكم فاثبت الرجل عند محمد بن بشير ماجرى عليه فى جاريته وأناه ببينة يشهدون على عين الجارية وعلى معرفة نظامه فوجب الحق حضور الجارية والوقوف على عينها فقام القاضى واستأذن على الحكم فلهادخل عليه قال له انه لا يتم العدل فى العامة دون افاضته فى الخاصة واعلمه بخبر الجارية وكانت وقعت من نفسه موقع لطف وقال لابد من ابرازها أو تعزلى عن القضاء قال الحكم أولاد عول الى خير من ذلك قال وما هو قال تبتاع الجارية من صاحبها بأوفر الاثمان وأجل القيم وأبلغ ما يرضيه فيها فقال له ان الشهود قد شخصوا من هنالك يطلبون الحق فى مظانه فله اوصلاوا بى شئ نصر فهم دون انفاذ الحق لاهله فله فعل قائلا يقول انما باع ما لم يملك يبيع مقتصر على نفسه فله اسمع مقالها أمر باخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينها وقضى لصاحبها

فأفضل الأمراء والملوك من عظم العلم والعلماء وقبل النصيحة وأظهر العدل وانقاد للحكم ورفض التكرم ولزم التواضع ولم يتخل بمال الله على من استوجبه ووصل الرافة ولم يول

الاشرار على العباد شعر

الملك جسم كإنسان تدبره طبائع اربع محمودة الاثر
العدل في الحكم ثم الحكم في غضب والبذل للمعروف ثم الصدق في الخبر
فمن تعدى من الأملاك موضعها فقد خلا من جميع الفضل والنظر
ومنتهى ما وصلت اليه ملوك العرب من العدل أن يحيي ابن أكرم مشى مع المأمون في
بستان والشمس عن يساره والمأمون في الظل فلما رجعا وقعت الشمس أيضا على يحيي
فقال المأمون تحول مكاني وأتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت واقبك الشمس
كما وقيتني فان أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل
الطبقة السفلى فعزم عليه فتحول

وأيضا كتب عامل حصص الى عمر بن عبد العزيز أن مدينة حصص تهدمت واحتاجت الى
اصلاح فكتب اليه عمر حصتها بالعدل ونق طرقها من الجور ومن الحكم المنشورة زين
الأماراة العدل وزين الثروة البذل وقال عبد الملك بن مروان يوما لبنية كلكم يترشح لهذا
الأمر ولا يصلح له الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول وعدل تطمئن معه القلوب وفي
كلام الحكماء خير الملوک من عدل وشهرهم من جهل وبخل

❦ واجبات الملك ❦

ومن الواجبات على الملك نحو الرعية أن يول عليها خيارها ولا يول عليها شرارها لان
خيار العمال تسير بالامة الى الصلاح وشرارها تؤول بها الى الخراب شعر

وما سقطت يوما من الدهر أمة الى الذل الا أن يسود ذمها
اذا ساد فيها بعد ذل لثمتها تصد لنا ذل وقد أديمها
وما قادها للخير الا محرب عليم باقبال الامور كريمها
وكل ذي لب يعاش بفضلها ولكن لتدبير الامور حكيمها

وعلى الملك أن يراقب حرکات عماله ورؤساء مملكته ويبعث عليهم العيون والارصاد
ليأتونه باخبار عماله كبارا كانوا أو صغارا ليقف على حقائق الامور ودقائقها ولا يركن
على قول وزير أو تصديق أمير أو سماع حديث بل يحقق الامر بنفسه وأن يطلع على كل ما
يعرض عليه من أصغر نفق في رعيته وأحقرها الى أكبر واحد منها وأن لا يشدد في الحجاب
لان العرب كانت تقول ما شئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للولي ولا شئ

أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الولاة بسهولة الحجاب
احجمت عن الظلم واذا وثقت بشدة الحجاب تهجمت على الظلم وركب القوى الضعيف
نخير خلال الولاة سهولة الحجاب

وعليه أن يتلطف في التجسس على كل عامل من عماله بالتفتيش على أعماله بواسطة
أعوان يتخذهم لهذا الغرض يكونون أمناء على أسرارهم حتى لا يقع في مملكتهم من الجور
ما يكون سببا لاضمحلالها ونفور رعيته وابتعادها عنه لان جور العمال منسوب
اليه فقد قال المأمون ما وجدت فتقا في الرعية الا وكان سببه العمال

يحكى ان ملكا بلغه ان أحد عماله قد تهاذى في غيه فأرسل رجلا من بطانته اليه ليعرف
خبر عامله ويخبره بأخبار الرعية معه فلما وصل الرجل أخبر به العامل فأرسل اليه بمال
وتحف ثم قال له عرفت ما جئت له واني أرغب اليك في كتاب تكتبه الي الملك تذكر له فيه
أني حسن السيرة سالك طريق العدل فان أنت فعلت ذلك فلك عندي فوق ما تحب وتريد
وان أبيت أمرت بقتلك أما حدا وأما سياسة فاقتلك بمحض من قضى البلد وجوه الناس
فلم يجد بدا من موافقته ولم يمكنه أن يخون الملك فيما قلده ووجهه بصدده فكتب بحضرة
ذلك العامل

أما بعد أعز الله الملك فاني قدمت بلد كذا وكذا فوجدت ان العامل فلانا أخذنا بالجرأتم
عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضيته وأرضى بعضهم بعضا وجعل طاعته
عليهم فرضا وأنزلهم منه منزلة الاولاد وذهب من بينهم التحاسة والاحقاد وأراحهم من السعي
للدنيا وعرفهم العمل للآخرى أغنى القاصد وأرضى الوارد وألزمهم العبادة في المساجد
بجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر الى كريم وجهه والسلام

فلما قرأه الوزير على الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم يكن بمتهم وان كتابه ليداني
على ظلم العامل فالتمس لي رجلا يصلح لعمله فقد عز لته فان معنى قوله أخذنا بالجرأتم انه خائف
منى لما اعتمد من الولاية وأما قوله فانه ساوى بين رعيته لم يخص واحدا منهم بالظلم بل ظلم
الجميع وقوله أرضى بعضهم عن بعض يعني أصابهم بشدة عمتهم فرضى بعضهم عن بعض
وقوله اذهب أحقادهم لانه عند الشدائد تذهب الأحقاد وقوله اني لهم بمنزلة الاولاد أخذ
أموالهم من قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك وقوله أراحهم السعي للدنيا أي أخذ
أموالهم ولم يترك عندهم ما يسعون فيه ويتجرون فيه والزمهم المساجد والعبادة وقوله أغنى
القاصد وأرضى الوارد فانه عني عن نفسه بانه اعطاه ما لا يكتب اليه بذلك وقوله داعون

للملك أى يدعون بان ينصرنا الله بأمره ويطلعنا على ما هم فيه وقوله واشتياقهم إلى النظر
الينا أى يودون الحضور ويستغيثون بنا ثم أمر باحضار ذلك العامل والقاصد فوجد الأمر
كما فهمه وأحضر الناس اليه وأنصفهم منه والله أعلم

ومما يجب على الملك أن يكشف المناجحة لعماله عند توليتهم الاعمال ويفهمهم انه رقيب
على أعمالهم وان له عينا يبصر بهامن وراء ستار عالما بكل ما يجري في ولايته حتى لا يتادوا
في غيهم أو يهملوا في أداء واجبهم وانه مجازيهم بالخير خيرا وبالشر شرا

❁ الرأفة ❁

الرأفة - ومما يلحق العدل ويمائله في الوصف استعمال الرأفة مع الرعايا فيما يخصه بدل
السدة وأن لا يعاقب لأقل سبب لان ذلك مما ينفر طباعهم ويبعد قلوبهم والحلم عند الغضب
والعفو عند المقدرة فمن ذلك ما يروى أن مروان بن الحكم وهو وال على المدينة في خلافة
معاوية حبس غلاما من بني ليث في جناية جناها بالمدينة فأتمته جدّة الغلام وهى أم سنان بنت
جشمية بن حرشة المدحجية فكأتمته في الغلام فأغلظ لها مروان فخرجت الى معاوية
فدخلت عليه فانتسبت له فعرفها فقال مرحبا بابنة جشمية ما أقدمك أرضنا وقد عهدتلك
تشتيننا وتحضين علينا عدونا قالت يا أمير المؤمنين ان لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة وأعلاما
ظاهرة لا يجهلون بعد علم ولا يسهفون بعد حلم ولا يشقون بعد عفو وان أولى الناس باتباع
ماسن أباه لأنت قال صدقت نحن كذلك فكيف قولك

عزب الرقاد فقلتي ما ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مدحج لا مقام فشروا	ان العدو لآل مدحج يقصد
هذا على كالهلال تحفه	وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد	أن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال قدشهد الحروب مظفرا	والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت قد كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا بعده فقال رجل من
جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهى القائلة

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل	بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت	فوق العصور حماسة قريا
قد كنت بعد محمد خلفا لنا	أوصى اليك بنا وكنت وفيها

واليوم لاخلاف يؤمل بعده هيهات نأمل بعده أنسيا
قالت يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق ولئن تحقق فيك ما ظنناه فخطك الأوفر
والله ما أوردك الشنان في قلوب المسامحين إلا هؤلاء فادحض مقالهم وابعدهم نزلتهم فانك
ان فعلت ذلك تزد من الله قربا ومن المسامحين حبا قال وانك لتقولين ذلك قالت سبحان الله
والله ما مثلك من مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان
على والله أحب الينامنك وأنت أحب الينامن غيرك قال ممن قالت من مروان وسعيد بن
العاص قال وبم استحققت ذلك عندك قالت بسعة جاهك وكريم عقوك قال وانهم ما يطمعان
في ذلك قالت هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان قال لقد قاربت من حاجتك
قالت يا أمير المؤمنين ان مروان تبنيك في المدينة تبنيك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا
يقضى بسنة يتتبع عورات المؤمنين حبس ابن ابني فأتيته فقال كيت وكيت فأسمعته
أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصبر ثم رجعت الى نفسي باللائمة وقلت لم لأصرف ذلك
الى من هو أولى بالعقوبة منه فأتيته يا أمير المؤمنين لتسكون في أمرى ناظرا وعليه معديا
قال صدقت لأشملك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلا فقه قالت يا أمير المؤمنين واني
بالرجعة وقد نفذ زادي وكلت راحتي فأمر لها براحلة موطأة وخمسة آلاف درهم

الحلم

الحلم أكرم الخلال وأتم الخصال وافضل شمائل الرجال وأعلى مراتب الكمال فقال
المواردى ان الحلم امساك النفس عند الاستساطة في الغضب وربط الجأش عند الهيجان
وملك الجوارح عند اتقاد جرة الشر والتأبذ والتثبت في تعجيل انفاذ الحكم لما في عواقب
ذلك من وقوع الندم واطهار خفة السفاهة عند حلول البرم لا سيما مع تمكن القدرة
وتحكم القوة

فإن تمام أحكام الحلم وكال أسبابه واجتماع معانيه قبول العذر من المعتذر صادقا كان أو
كاذبا فإن الاعتذار دليل الندم والندم توبة وقد يكون الندم حياء من المعتذر والحياء من
الايان وقد اعتذر رجل الى جعفر بن يحيى بن برمك فقال جعفر أغناك الله بقبول العذر
مناعن الاعتذار وأغنا بنا بالمودعة منك عن سوء الظن بك

وحكى أبو العباس أحمد بن أبي دؤاد قال ما رأيت رجلا عاين الموت ملأ عينه فأذهله
ولا شغله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل الأوس رأيته وقد وافى به الرسول باب أمير

المؤمنين المعتصم بالله في يوم الموكب وقد جلس للعامة فدعا به ودعا بالسيف والنطع فلهما مثل بين يديه وقد بسط له النطع وشهر السياف جعل المعتصم ينظر اليه ويحيل فكره فيه وهو ساكت وكان رجلا وسيا ملاء العين فأحب المعتصم أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره فقال له يا تميم تكلم وان كان لك عذر فأنت به وان كانت لك حجة فأدل بها فقال أما وقد أذن لي أمير المؤمنين في الكلام فاني أقول الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي جبر بك صدع الدين وألم بك شعب الأمة وأوضح لك سبل الحق وأجذبك شهاب الباطل ان الذنب يا أمير المؤمنين يخرس الألسنة ويصدع الأفئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا العقوبة والانتقام وأرجو أن يكون العفو أقرب بهم مامنك وأسرعهما اليك وألاهما بك وأشبههم ما بخلائك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السياف والنطع كما نأ
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي
وأى امرئ يدلى بعذر وحجة
يعز على الاوس بن ثعلب موقف
وما جزعى من أن أموت وأنى
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
كانى أراهم حين أنعى اليهم
فان عشت عاشوا حافظين بعظمة
وكم قاتل لا يبعد الله داره
فضحك المعتصم وقال يا تميم كاد والله ان يسبق السياف العذل فقد وهبتك للصيبة وعفوت
عن الهفوة وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفراء فأحسن وأجل السيرة

﴿ الجور ﴾

أما الجور فهو أذى الخصال لأنه جالب الفتن ومسبب الاحن ومحيل الاحوال ومحق الاموال ومخلى الديار ومجنى البوار وقد كانت الامم الماضية في القرون الخالية على اختلاف عقائدهم مجتمعون على أنكاره واضرارته فالعقل ينكره والشريعة تبعده وتعاماه والسياسة تتنافره وتبغاه

فاذا جار السلطان أو والى انتشر الجور في البلاد وعلم العباد فرقت أديانهم واضمحلت

مروا بهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت أمانتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فنعموا
الحقائق وتعاطوا الباطل وبنحسوا المكيال والميزان وجوزوا البهجة فرفعت منهم
البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الأرض ريعها ونباتها فقل في أيديهم الخطام ففقدوا
فامسكوا الفضل الموجود وتأخروا عن المفقود فنعوا الزكاة المفروضة وبخلوا بالمواساة
المستونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجادوا القدر الخسيس
ففشت فيهم الايمان الكاذبة والختل في البيع والخداع في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء
والاقتضاء ولا يعمنه من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحياء فيظل أحدهم عاريا عن محاسن
دينه متجردا عن جلباب مروآته وأكثرهمه قوت دنياه وأعظم مسرته من هذا الخطام
ومن عاش كذلك فبطن الأرض له خير من ظاهرها قال ابن منبه اذا هم الوالي بالجور أو عمل
به أدخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء وإذا هم بالعدل
أو الخير أو عمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته وقال عمر بن عبد العزيز لله الملك العامة بعمل
الخاصة ولا تملك الخاصة بعمل العامة وفي هذا المعنى قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظاهروا منكم خاصة

حكى ابن العباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متخفيا فنزل على رجل له
بقرة فراحت البقرة فحبلت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه
بأخذها فامار احب عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال
حلابها نقص أرعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن أظن ملكناهم بأخذها فنقص
لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الله سبحانه وتعالى في نفسه أن لا يأخذها
فراحت من الغد فحلبت كعادتها فتاب الملك وعاهد به ليعدلن ما بقي حيا
وحدث بعض الشيوخ كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل
عشرة أرادب تمرا ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فعصها الملك فلم تحمل في ذلك
العام شيئا ولا ثمرة واحدة

فهكذا تنعدي سرائر الملوك وعزائمهم ومكشون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا نفيها وان
شرا فشرها - وعلى السلطان أن لا يتخذ الرعية مالا وقينة فيكونون عليه بلاء وفتنة ولكن
يتخذهم أهلا وخواصا فيكونون له جندا واعوانا فاصلاح الرعية خير من كثرة الجنود
فكلكم مورا وعون رعية وكل يلاقى ربه فيحاسبه

الفصل الثالث

في

(الوزاره)

رأى العرب ان أهم ركن مسؤول ولا بعد الملك في المملكة هم الوزراء ثم يليهم في المسؤولية بقية أركان المملكة فوضعوا لها قوانين وشروطا هي من الأهمية بمكان تأتي على ما نخصها هنا

الاشتقاق

الوزارة اسمها مشتق من معناها واختلف فيه فهو على ثلاثة أوجه أحدها انه مشتق من الوزر وهو الثقل لانه يحمل عن الملك أنقاله والثاني انه مشتق من الازر وهو الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره والثالث انه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أى لا ملجأ لأن الملك يلجأ الى رأيه ومعونته اذ هو عليه مدار السياسة واليه تفضى الأمور

فلو كان الملك أسير الشهوات أو ضعيف الرأي وكان له وزراء علماء منزهون عن حب الأغراض والشهوات فانه يستقيم بهم حال المملكة وتنو أصولها فبمقتضى الطبيعة البشرية ان حال الملوک والوزراء لا تخرج عن ثلاث صور لان الواحد منهم إما أن يكون كامل المعرفة مجبا لخير الوطن قادر على اجراء المصالح بمراعاة المصالح أو يكون كامل المعرفة ولكن له أغراض وشهوات خصوصية تصده عن مراعاة المصالح العمومية أو يكون ناقص المعرفة ضعيف المباشرة لا يقوى على القيام باعباء المملكة وتحمل مسؤوليتها

أول وزير في الاسلام

أول من سمي وزيراً في الاسلام أحمد بن سليمان الخلال وزير السفاح أول خلفاء بني العباس ثم تبعه وزراء الخلفاء والملوك على ذلك وكانوا قبل ذلك يقولون كتاباً وأول من لقب بالصاحب من الوزراء كافي الكفاة اسماعيل بن عباد وكان السبب في ذلك انه كان يصحب

الاستاذ بن العميد فكانوا يقولون صاحب ابن العميد ثم غلب عليه اللقب حتى قيل له
الصاحب مجردا وتبعه الوزراء على ذلك وقد ذكر أبو الفضل الصوري في تذكرته - ان
الوزير يجب أن يكون صريح الوجه فصيح البيان طلق اللسان أصيلا في قومه رفيعا في حسيبه
ونسبه وقورا حليما مؤثرا للجد على الهزل كثير الاناة والرفق قليل العجلة والخرق نزر
الضحك مهيب المجلس ساكن الظل وقور النادى شديد الذكاء بطئ الغضب ويستغنى
عن التصريح بالاشارة والايما لينبه الملك على الأمور من أوائلها ويجب عليه أن يهتدى
النصيحة للملك على هواه ورضاه على رضاه ما لم ير في ذلك خلا على المملكة فانه يجب أن
تهتدى النصيحة فيها الملك من غير أن يظهر له فيما تقدم من رأيه فساد أو نقصا لكن يتحيل لنقض
ذلك وتهجينه في نفسه وايضاح الواجب فيه بأحسن تأن فقد قال المأمون تحتمل الملوك كل
شيء الا ثلاثة أشياء القدح في الملك وافشاء السر والتعرض للحرم وقد قال أفلاطون أول
رياضة الوزير أن يتأمل أخلاق الملك ومعاملته فان كانت شديدة فظة عامل الناس بدونها
وان كانت لينية مطلقة عاملهم بأقوى منها ليقترب من العدل في سعيه وكان ممن اشتهر من
وزرائهم بالبلاغة والفصاحة وحسن الخلق حتى صار يضرب به المثل يحيى بن خالد وزير
الرشد والحسن بن سهل وعمر بن مسعدة كاتب المأمون وابن المقفع وسهل بن هارون
والاستاذ أبو الفضل بن العميد المار ذكره واسماعيل بن عباد وأبو اسحق الصابي وغيرهم
من الوزراء واليك بيان تقسيم الوزارة وعدد الوزراء الواجب اتخاذهم على حسب
ما وضعوه في كتبهم

✽ تقسيم الوزارة ✽

تنقسم الوزارة عند العرب الى قسمين وزارة تفويض ووزارة تنفيذ - فوزارة
التفويض هي أن يستوزر الملك من يفوض اليه الأمور برأيه وامضاءها على اجتهاد ه لان
ما وكل الى الملك من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه الا بالاستنابة عنه ونيابة الوزير
المشارك له في التدبير أصبح في تنفيذ الأمور من تفرد بها ليستظهر بها على نفسه وبها يكون
أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل وتعتبر في تقليد هذه الوزارة شروط الامامة الا النسب
وحده لانه ممضى الآراء ومنفذ الاجتهاد

ويشترط في وزارة التفويض شرطان أحدهما يختص بالوزير وهو مكاشفة الملك
بما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية لئلا يصير بالاستبداد كالملك الثاني يختص بالملك وهو أن

يتصفح أفعال الوزير وتديره الامور ليقرر منها ما يوافق الصواب ويستدرك ما خالفه لان
تدبير الامة اليه موكول وعلى اجتهداه موقوف ويجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه ويقلد
الحكام كما يجوز ذلك للملك وينظر في المظالم ويتولى الجهاد بنفسه ويقلد من يتولاه
ويباشر تنفيذ الامور التي دبرها وأن يستنيب في تنفيذها وكل ما صرح للملك صرح للوزير
الاثلاثة أشياء أحدها ولاية العهد فان للملك أن يعهد الى من يرى وليس ذلك للوزير الثاني للملك
أن يستعفى الامة من الملك وليس ذلك للوزير الثالث أن يعزل من قلده الوزير وليس
للوزير أن يعزل من قلده الملك وما سوى ذلك فحكم التفويض اليه يقتضى جواز فعله
أما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف وشروطها أقل لان النظر فيها مقصور على رأى
الامام وتديره هذه الوزارة وسط بينه وبين الرعية والولاية تؤدي عنه ما أمر وينفذ عنه
ما ذكر ويمضى ما حكم ويخبر بتقليد الولاية وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهم
وتجدد من حدث لم يعمل فيه ما يؤمر به فهو معين في تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا
متقلدا لها فان شورك في رأى كان باسم الوزارة أخص وان لم يشارك فيه كان باسم الوساطة
والسفارة أشبه وهذه الوزارة مقصورة على أمرين أحدهما أن يؤدي الى الملك والثاني
أن يؤدي عنه فيراعى فيه سبعة أوصاف أحدها ان يؤدي الامانة حتى لا يخون فيما قد أؤتمن
عليه ولا يغش فيما قد استنصح فيه الثاني صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل على
قوله فيما ينهيه الثالث قلة الطمع حتى لا يرتشى فيما يلب ولا ينخدع في تساهل والرابع أن يسلم فيما
بينه وبين الناس من عداوة وشحناء فان العداوة تصدع التناصف وتمنع من التعاطف فقد
قال أحد حكماء الهند الاحقاد مؤثرة حيث كانت وأخوفها ما كفى نفس الملوك والوزراء
الخامس أن يكون ذكورا لما يؤديه الى الملك وعنه لانه شاهده عليه السادس الذكاء
والفطنة حتى لا تدس عليه الامور فتشتبه ولا تموه عليه فتلبس فلا يصح مع اشتباهها عزم
ولا يصح مع التباسها حزم وقد أفصح بهذا الوصف وزير المأمون محمد بن زداد حيث يقول
اصابة معنى المرء روح كلامه فان أخطأ المعنى فذاك موات
اذا غاب قلب المرء عن حفظ لفظه فيقنطه للعالمين سببات
السابع أن لا يكون من أهل الاهواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل ويتدلس
عليه الحق من المبطل فان الهوى خادع الالباب وصارف عن الصواب فان كان هذا الوزير
مشار كافي رأى احتاج الى الحسنة والتجربة التي تؤدي الى صحة رأى وصواب التدبير

* عدد الوزراء *

واختلف أهل السياسة في عدد الوزراء فذهب الهند إلى اتخاذ سبعة وبعضهم ذهب إلى خمسة وهو رأي الروم والفرس اختاروا ثلاثة وقد اشترطت العرب أن يكون الوزير جامعاً لخصال الخير متصفاً بعشر صفات لا بد منها حسن الخلق والخلق يجمع بين البشاشة والوقار والحلم والهيبة والعفة والنزاهة وعزة النفس سيد الآراء حسن العبارة سريع الفهم عالماً بالأمور السياسية والضوابط السلطانية والأحوال الدنيوية والأمور الخيرية يجمع ويفرق ويقرب ويشتت ويؤلف ويضاف إلى ذلك أن يكون قد بلغ أشده وكثرت تجاربه وأمنت خيانيته وتحققت أمانته كتوماً للسرار يسكنه الحلم وينطقه العلم له حفظ وبلاغة وإيجاز في العبارة حسن التأني في مخاطبة الملك لطيف التوصل إلى نقل طابعه من الميل إلى اعتدال وليكن مشتملاً برداء الصدق والوفاء وفي الذمام شفوياً بالانامذ كي الفكرة ذكي الفطرة سريع الجواب كثير الصوابه حسناً خطابه متيقظاً في تدبير الدولة مشيراً للأموال هادماً للآلئوزار مقتصد في وجوه صرف الأموال

حكى أن المأمون كتب في اختيار وزير أني التمس لنفسى وتدير أمورى رجلاً جامعاً لخصال الخير ذاعقة في خلائقه واستقامته في طريقه قد هذبته الآداب وحسنته التجارب أن يؤتمن على الأسرار قاصمها وأن قلد مهمات الأمور نهض بها يسكنه الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه اللحظة صولة الأمراء واناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء أن أحسن إليه شكر وأن ابتلى بالأساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه

كانت ملوك العرب لا تراعى السن في تولية الولاية والقواد لجرد كبرهم في السن ما لم يكن مع كبره عاقلاً عالماً بالمصالح مجرباً بالأمور والافتقار إلى الكبار لجرد كبر في السن غير مقبول وقدولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بمكة وكان سنه نيفاً وعشرين سنة وأمر سعيد بن وقاص وسنه دون العشرين

وولى المأمون يحيى بن أكرم قضاء البصرة واستصغره الناس فسألوه تعبير ذلك فقالوا كم سن القاضي قال سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فجعل جوابه احتجاجه

وولى الحجاج محمد بن القاسم قتال الأكراد بفارس فأبادهم ثم ولاه السند والهند وسنه

سبع وعشرين سنة وقال الشاعر

لا تعجبوا من علو همته وسنه في أوان منشاها

ان النجوم التي تضيء لنا أصغرها في العيون أعلاها

ولهذا قيل ليس من المروءة سؤال الرجل عن سنه لانه ان كان شابا استصغروه وان كان كبيرا استهزموه - قال زياد لما قدم العراق واليا عليها - أيها الناس انه قد كانت بيني وبينكم احن فجعلت ذلك دبر أذن وتحت قدمي فمن كان محسنا فليزد من احسانه ومن كان مسيئا فليزغ عن اساءته اني لو علمت أن أحدكم قد بقة له السل من بغض لم أكشف له قناعا ولم أهتك له ستر حتى يبدي صفحته لي

هذه هي آداب الوزراء الذين هم أحد أركان المملكة لخصتها للقراء - وهناك أيضا وظيفة لا تقل عن وظائف الوزير أهمية وهي الحسبة والولاية

الفصل الرابع

في

الحسبة والولاية

ان الحسبة هي النظر في أمور أهل المدينة باجراء ما رسم في الرئاسة الاصطلاحية ونهي ما يخالفها وتنفيذ ما تقرر في الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولها قوانين مخصوصة عندهم وقد كتب عنها الحسن بن عبد الله في الباب الخامس من كتاب آثار الاول في ترتيب الدول ماملا لخصه أن ولاية المدينة هي الرتبة من السياسة العظمى فيجب على والي المدينة أو صاحبها أن يكون فيه من السياسة والحفظ والضبط وحسن التدبير ما هو مذكور في الآداب الملوكية ولا ينبغي له أن يترك في المدينة أهل التعصب والأهواء فنه منشأ الفتن وكانت ملوك الفرس تمنع من الانتساب الى القبائل لهذا السبب وكان أكثر غرضهم تأليف أهل المدينة على نظام مستقيم وهو الأسوس والأصلح فأنما يحتاج الى التجمع وأما انتساب أهل البراري والفلوات فلحماية بعضهم من بعض وتعطف بعضهم على بعض والعصية في المدينة تؤدي الى خرابها والاستيلاء على ملوكها وكثيرا ما خربت بلاد بالشرق مثل

أصفهان والرى وغيرهما بالتعصب في المذاهب والآراء وقال بزرجمهر كل جمع غير جمع
السلطان وكل سيف غير سيفه فهو عليه لاله وعليه قهره وازالته وكذلك يمنع أهل البلد من
البطالة فأنها تدعو الى الشرور والافساد بل يجب أن كل طائفة تنعكف على شغل من
الأشغال أو فن من المصالح العائد نفعها عليهم وعلى المدينة

ويجب على وإلى البلد من المصالح أن ينظر في تحسينها وتزوينها في عمر الخراب فيها فان
الخراب موت والعمارة حياة وينبغي لو اضعها ومرتها أن يفر دكل سوق على حدته حتى
لا تتجاوز الصنائع الخسيسة مع الصنائع النفيسة وان كانت المدينة كبيرة فلا بد من تفرقة
بائع الطعام على مواضع كثيرة لان الحاجة اليه متكررة

ويتعين بان تكون أرباب الصناعات القدرة في أطراف البلد بمنزل عن المواقع
المتوسطة فيها وذلك مثل المساح والمدايح وما أشبه ذلك وينتظر في توسعة رحابها ولا يمكن
أحدا من تضيق الطريق واحداث ما يضر بالمارة ويولى الحسبة لمن يشق بدينه وأمانته
وهيبته فينظر في أمر الموازين والمكاييل ويضبط أمور الرعية من الباعة وأصناف
السوق ولا يمكنهم من ظلم أحد وينظر في تنظيف الطريق والرحاب من الأوساخ والأقدار
ويتفقد حال المياه وصيانتها ولا يمكن من افسادها بالاراث ولا بالمصبات والقنوات لان الماء
مادة الحياة فاذا افسد فسدت الأجسام لما يكسبها من الأمراض وتغيير الأنفس والاخلاق
على ما يدكره أرباب الطب والطبائع ويتبع فساد المياه فساد الأبحر والأهوية المحيطة
بالاجسام ويتقدم باصلاح ما يلزم اصلاحه وعليه مدار نظام المدينة ورقها المادى والادبى
وقد يتوقف اصلاح أمور الرعية على تنفيذ أمورهم على حسب ما ألفوه من عادات
ومعاملات واختلفوا فيها حتى اختلفوا بها لان الناس مجبولون على الحاجة الى أنواع لا يقدر
الواحد أن يقوم بجميعها فحول بين همهم لنفرد كل قوم بنوع منها فيأثقفوا بها فيقوم
الزراع بمزارعهم ويتشاكل الصناع بصنائعهم ويتوفر التجار على متاجرهم وقال حير الملك
لوزيره الناس أربع طبقات طبقة للفروسية وطبقة لاقامة الديانة ألحقهم بالكفاة وطبقة
للزراعة والعمارة أجرهم على الانصاف وطبقة للمهن لا تخليهم من الاحسان عليهم وعليه لهم في
تنفيذها وجهان أحدهما أن لا يعارض صنفا منهم في مطلبه والثاني أن لا يشاركه في مكسبه
وربما كان الملك رأى في الاستسكان من أحد الاصناف فينقل اليه من لا يألفه فيختل النظام
بهم فيما نقلوا وفيما نقلوا اليه لان تميزهم بالهام الطباع أعدل في ائتلافهم من الصنع لها
فصلاح الامة وارتقاؤها متوقف على تمسكها بدينها وعدل أمرائها وزرأها فبالان

العدل يوجب الاجتماع والجور يوجب الافتراق فنزله السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسم فأمن الجسم من التغيير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح أو فسد مزاجها فيا ويح الجسد فتسرى الى الحواس والجوارح كدوره وهي منحرفة من الاعتدال فيأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فترض الجوارح ويتعطل نظام الجسد ويجرى اليه الفساد والهلاك

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئباب

الفصل الخامس

في

ان الحكومة الاسلامية أشرف الحكومات وأسمها مبدأ

وبيان الشورى ودار الندوة عند العرب قديماً

ان الحكومة الاسلامية أشرف الحكومات وأسمها مبدأ لانها مدينة بدين الاسلام فقط بل هي حكومة الأمة لا حكومة الفرد فهي مقيدة بكتاب سماوى كريم وأعني به القرآن الذى هو مغذ للعقول مربى للنفوس مذهب للاخلاق مرق لبنى الانسان الى أقصى مدارج العمران والحياة المادية والادبية وفيه مجال واسع للبحث فى القانون المدنى والقانون الدولى والقانون الشخصى

جاء الاسلام بالقوانين الشرعية المتعلقة بالامور الدينية والدنيوية التى من أصولها المحفوظة اخرج العبد عن داعية هواه وحماية حقوق العباد سواء كانوا من أهل الاسلام أو غيره واعتبار المصالح المناسبة للوقت والحال وتقديم درى المفسد على جلب المصالح وارتركاب أخف الضررين

بنى الاسلام نظام ممالكهم على أساس هذه الشريعة وتقييدها بالامراء والوزراء وجعلوا أمرهم شورى فيما بينهم امتثالاً لقوله تعالى وشاورهم فى الأمر حتى لا يخرجوا عن جادة الحق فى الاعمال والافعال لان الاطلاق المطلق فى الممالك يؤدى بها الى الظلم المؤذن بخراب

العمران كیفما كان كما ذكره ابن خلدون في الفصل الثالث من مقدمته
منحت الشريعة الاسلامية الانسان حرية الاتحاد والمساواة بين الناس جميعا والحرية
السياسة العامة والحرية السياسية الخاصة فقد كان صلى الله عليه وسلم ليس له ارادة مطلقة في
الامة بل كان تحت الأمر السماوى مقيدا بأوامر من له الأمر العالى سبحانه وتعالى مشاركا
للارادة في الرأى والتدبير لا ينفر دبالا امر فقد استشار قومه مرارا عديدة فن ذلك انه استشار
أصحابه لما خرج القوم من مكة على كل صعب وذلول فقال صلى الله عليه وسلم فأتقولون - أليس
أحب اليكم من النفي قالوا بلى

سرت الخلفاء من بعده صلى الله عليه وسلم على سنته واتبعوا شريعته وأشركوا الرعية
معهم في الامر فقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا يوم ولّى الخلافة على المسلمين فقال أيها
الناس قد ولّيت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على
باطل فردوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم الا أن أقواكم
عندى الضعيف حتى أخذ الحق له وأضعفكم عند القوى حتى أخذ الحق منه أقول قولى هذا
واستغفر الله لى ولكم

ولذلك كان الفرد من عامة الناس رجالا ونساء يعارض أشد الخلفاء بأسافى قوله وعمله
كما حصل لعمر رضى الله تعالى عنه عند ما قام خطيبا لهنى الناس على أن لا يزيدوا فى مهور
النساء عن أربع مائة درهم فقامت له امرأة كانت حاضرة فى المجلس وتوجهت نحوه
وقالت له كيف تقول هذا يا أمير المؤمنين والله تعالى يقول فى كتابة العزيز وان أردتم
استبدال زوج مكان زوج وأتيتم احداهن فنتار فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا
وإنما بيننا - فقال عمر عند ذلك اللهم غفرا كل الناس أفعه من عمر ثم علا المنبر وخطب
للحاضرين مصوبا كلام المرأة

كانت دولة الاسلام فى عهده (ص) وفى عصر الخلفاء الراشدين عصر العدل الصحيح
والحرية الكاملة والشورى الشرعية المنصوص عنها فى ثلاث سور - الشورى وآل
عموان والنور ثم آل الأمر الى الحكومة المطلقة وأصبح الملك ملكا عضوا لان الحكومة
لم تتقيد بما قيدها به الاسلام من القانون السماوى والشورى فأصبح الذنب على الحكومة
لاعلى الاسلام

فالمشورة هى عين الهداية وسبيل الرشاء الى الامر المبهم من الرأى قال الضحاك أمر الله
تعالى نبيه بالمشاورة لما علم ما فيها من الفضل وما يعود منها من النفع ولان ارسال الخواطر

الثاقبة واصله الافكار الصافية لا يكاد يعزب عنها ممكن ولا يخفى عليها جائر والمستبد برأيه بعيد من الصواب قريب من الزلل وقال عبد الملك بن مهران لأن أخطئ وقد استشرت أحب الى من أن أصيب وقد اكتفيت برأى وأمضيته بغير مشورة لأن المقتصر برأيه يزرى به أمران تصديقه رأيا الواجب عليه تكذيبه وتركه المشورة التي يزاد بها بصيرة

قد أجمع أهل السياسة من العرب على انه ينبغي أن يجتمع في أهل الشورى سبع شروط عليها مدار المشورة وبها يشقل صواب الرأي احداها الفطنة والذكاء لئلا تشبه عليهم الأمور فتلبس فلا يصح مع اشتباهها عزم ولا يتم مع التباسها حزم الثاني الأمانة لئلا يخونوا فيما ائتمنوا عليه أو يغشوا فيما استنصحو فيه الثالث الصدق صدق اللهجة بخبرهم ليثق الملك فيما ينهون اليه ويعمل برأيهم فيما أشاروا به عليه الرابع أن يساموا فيما بينهم من التحاسد والتنافس فان ذلك يمنعهم من الكشف عن صواب الرأي الخامس أن يساموا فيما بينهم وبين الناس من العداوة والشحناء فان العداوة تستدعي التناصف وتجب عن صواب الرأي السادس أن لا يكونوا من أهل الأهواء فخر جهم الهوى من الحق الى الباطل فان الهوى خادع الألباب وصارف عني الصواب السابع أن يكونوا من كبراء الدولة ومشايخ الاعوان لان المشايخ قد حنكهم التجارب وعركتهم النوائب وشاهدوا من اختلاف الدول ما أوضح لعقولهم صواب الرأي

وينبغي للملك أن لا يدخل في مشورة بخيلا ولا جبانا ولا حريصا ولا معجبا ولا كذابا لان الخيل يقصر بعقله والجبان يخوفه مما لا يخاف منه والحريص يعد ما لا يرجي فالجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجتمعها سوء الظن قال عبد الملك بن مهران لبعض عماله لا تستمعن في أمر دهمك كذابا ولا معجبا فان الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب وأما المعجب فليس له رأى صحيح ولا رواية تسلم وقال عبد الله بن وهب الرأى بن ثلاث فان عيى به فكشف لكم عند محضه

هذا ما ظهر به الاسلام أماما كان عليه العرب في الجاهلية فان عرب اليمن كانوا يعقدون مؤتمراتهم للمشاوراة في أمرهم وواقعة ملكة سباع سليمان عليه السلام المذكورة بالقرآن خير شاهد على ذلك ذكر رجال التاريخ ان مجلس الشورى الذي كان في عهدها كان مركبا من ثلاثمائة وثلاثة عشر عضوا كل عضو يمثل في عاصمة الملك من الرعايا ألفا أما قریش فانها كانت تعقد مجلسها بدار الندوة في مكة المكرمة وقد ذكرها الماوردي في تاريخه فقال ما ملخصه

دار الندوة

قال الماوردي لم تكن مكة ذات منازل وكانت قريش بعد جرحهم والعالمقة يتجمعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها انتسابا إلى الكعبة لاستيلائهم عليها وتخصيصها بالحرم لخلوهم فيه ويرون أن ذلك لهم بشبه شأن وكان كلما كثرت فيهم العدد ونشأت فيهم الرياسة قوى أملهم وعلموا أنهم سيقدمون على العرب وكان فضلائهم يتخيّلون أن ذلك لرياسة الدين وتأسيس النبوة ستكون فأول من لهم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة وكان يخطب فيهم ويذكر لهم أمر نبينا صلى الله عليه وسلم ثم انتقلت الرياسة إلى قصي بن كلاب فبنى بمكة دار الندوة لتحكم فيها بني قريش ثم صارت المشاورة وعقد الألوية في حروبهم وكانت هذه الدار لا ينسحب رجل من قريش إليها ولا يعقد لواء الحرب لهم ولا غيرهم إلا فيها ولا يعتد غلام إلا فيها ولا تدرع جارية من قريش إلا فيها يشق عليها درعها ثم تدرع وتنطلق بها إلى أهلها ولا تخرج غير من قريش إلا منها ولا يقدمون إلا نزولوا فيها

قال السكبي وكانت أول دار بنيت بمكة ثم تتابع الناس فبنوا الدور كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب قال الماوردي صارت بعد قصي لابنه عبد الدار فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ابن قصي وجعلها دار الأمانة وفي رواية أخرى أن معاوية اشتراها لما حج وهو خليفة بمائة ألف درهم وهي في الجانب الشمالي للمسجد الحرام مجعولة مصلى الحنفى اليوم وللعرب حكما كثيرة وأقوالا في الشورى تقتصر عن ذكرها بما قاله بشار بن برد

المتوفى سنة ١٦٧ هجرية

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بعزم نصيح أو مشورة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضا ضرة فإن الخواشي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقاءم
وخل الهوينى بالضعيف ولا تكن نؤ وما فإن الحزم ليس بناثم
وادن إلى القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى أمر غير كاتم
فإنك لا تستطردا لهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم
فالشورى في الإسلام هي أرقى بكثير من الدستور القائم عليه أمر الممالك الأوربية

وغيرها من الدول لان الدستور مقيد بقيود الصوت فيه للنواب المنتخبين عن الأمة
أما الشورى في الاسلام فطلقة غير مقيدة لأنما أباح لكل فرد من أفراد الأمة مهما
كان ذكر أو أنثى شريفا أو وضيعا أبدأ رأيه على سلا من الناس في وسط اجتماع علما
يحضره الأمير والحقير ويخطب فيه الخلفاء والأمراء طالبين من كل فرد إبداء رأيه فيقوم
الفرد الذي لا يعرف له اسم ولا صفة قبل الاجتماع ولربما كان أشعث أغبر فيرد على الأمير بما
يراه سواء كان صائبا أو مخطئا كما حصل في أيام عمر رضى الله عنه وغيره من الأمراء
السالفين فكان لا يحقرن في أمره ولا يسفهن في رأيه كما هو واقع الآن في الامم الاسلامية
التي أصبحت أفرادها مدينين بدين البغضاء والشحناء والحسد والاستئثار بحب النفس
والرياسة للشهرة

الفصل السادس

في

الكتابة

الكتابة عند العرب قديمة جدا لا يعلم تاريخها بالضبط وقد دلت الروايات على ان أول
من كتب بالعربية هم أهل اليمن من قوم هود عليه السلام وهم العرب البائدة وكانت تسمى
كتابتهم بالخط المسند وبقى معروف بالخط الجيرى وكانوا يكتبون كل حرفه منفصلة
ويمنعون العامة من تعليمه فلا يتعلمه أحد إلا باذنهم حتى تعلمه امر بن مرة وأسلم بن
سدره وعامر بن جذرة وهم من عرب طى فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه جزم من
الخط الجيرى ثم علموه أهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم اجتهد في
تحسينه أهل الكوفة في عصر الاسلام حتى عرف بالخط الكوفى وكان الخط خاليا من
النقط والحركات والسكنات الى أن وضع أبو الأسود الدؤلى الشكل في أيام معاوية ووضع
ابن عاصم النقط في أيام عبد الملك بن مروان ومن وقتها أخذ الخط في التحسين شيئا فشيئا الى
أن وصل الى الدرجة التي عليها الآن

وذكر علماء التاريخ أن الذين وضعوا الكتابة وابتدعوا رسومها هم الأنبياء عليهم

السلام فكان يوسف يكتب العزيز وهارون وبشع بن نون كان يكتبان لموسى عليه السلام وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه ويحيى بن زكريا كان يكتب لعيسى عليه السلام وقد كتب بها الخلفاء في زمنه صلى الله عليه وسلم وكان من المواظبين على كتاب الرسائل عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الأرقم الزهري وكان الكاتب لعهدده إذا عهد واصله إذا صالح على بن أبي طالب رضى الله عنه وممن كتب له صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وغيره من الصحابة كثير (راجع كتاب الكتاب) لابن شبة

سبق العرب علماء أوروبا وبافي حل رموز الخطوط القديمة وترجمة كتبها الى اللغة العربية ولا أخال أن أوروبا ما توصلت الى حل رموز الآثار والوقوف على علوم من سبق من الأمم إلا بواسطة كتب العرب وترجمتها الى لغتهم فن ذلك ما رأيت به بعيني وطالعت فيه بنفسى وهو كتاب شوق المستهام الى معرفة رموز الأقلام لأحمد بن وحشية النبطى المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية فان مؤلفه جمع فيه صور الخطوط القديمة التى تداولتها الأمم الماضية وترجمها جميعها الى اللغة العربية ووضعها بطريقة يسهل للمطلع عليها أن يترجم ما على الآثار من الكتابة على اختلاف أنواعها الى اللغة العربية فرحم الله هذا العربى الذى سهل لمن يأتى بعده من الأمم طريق الوقوف على أسرار من مضى وهينئنا لعلماء أوروبا والذين ترجموا هذا الكتاب الى لغتهم فقد ترجمه الانكليز من دماثة وعشرين سنة ووقفوا بواسطته على آثار الأمم الماضية وعلى تاريخ حياتهم وكذلك باقى طوائف أوروبا

فأعمال المستشرقين ووقوفهم على حل رموز الآثار ما هى إلا نتيجة بحثهم فى هذا الكتاب ووقوفهم عليه واخفائه عنا حتى لا نسبهم فيه

فصنعة الكتابة أشرف صنعة وأعظم دليل على رفعة شأنها وجيل قدرها أن الله تعالى نسب تعليمها الى نفسه فقال عز اسمه (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) والآيات فى ذلك كثيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم (فيدوا العلم بالكتابة) مشير الى الغرض المطلوب منها وغايتها المجتناة من ثمها قال القلقشندي فى كتاب صبح الاعشى ان كل ذى صنعة لا بد له فى معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة وآلة تؤدى الى تصويرها وغرض ينقطع الفعل عنه وغاية تستثمر من صنعة والكتابة أحد الصنائع فلا بد من الامور الاربعة فادتها الالفاظ التى يخيّلها الكاتب فى أوهامه وتصور من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة تامة فى نفسه بالقوة والخط الذى يخطه القلم ويقيده تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة صورة محسوسة ظاهرة وآلة القلم وغرضها الذى ينقطع الفعل

عنده الالفاظ بالرسوم الخطية فتكمل قوة النطق وتحصل فائدته للابد كما تحصل للاقرب وتحفظ صورته ويؤمن عليه من التغيير والتبديل وغايتها الشيء المستثمر منها وهى انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة العائدة فى أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسمية فى أمور الدين والدنيا اه

وقد بالغ كتاب العرب فى فائد الكتاب وشرفها وسمو مكانتها لدى الأمراء والملوك ومن أشد مباليغهم فيها ومدحهم لها ما قاله مكحول - لادىة ليد لا تكتب وقد قال المؤيد الكتاب مناصب الدنيا بعد الخلافة اليها ينهى الفضل وعندها تقف الرغبة ومن كلام أبى جعفر الفضل بن أحمد فى جملة رسائل له الكتاب أس الملك وعماد المملكة وأعوان متفرقة من شجرة واحدة والكتاب قطب الادب وملاك الحكمة ولسان الفضل وميزان يدل على راحة العقل فهى حلقة وزينة ولبوس وجمال وهيبته وروح جارية فى أقسام متفرقة والكتاب أرفع درجة وأفضل منزلة ومن جهل حق الكتاب فقد وسم بوسم الفواة الجاهلة وبالكتاب والكتاب قامت السياسة والرياسة

فبالكتاب قد تنبه قوم بعد انحول وصاروا الى المرتب العالية والمنازل السامية وارتفعوا شأنًا وقدرًا فنههم سرجون بن منصور الرومى فانه كان روميًا خا ملافرة فعتة الكتاب وكتب لمعاوية ويزيد ومروان وعبد الحميد الأكبر وعبد الصمد وغيرهم وقخدمته جد الحجاج بن هشام القحطاني وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية وكذلك الوزير المهلبى الذى ترقى بالكتاب حتى وزر لمعز الدولة ابن بويه الديلمي فانه كان أول أمره فى شدة عظيمة من الفقر والفاقة فاتفق انه سافر مرة فلقى فى سفره ضيقا شديدا حتى انه اشتهى اللحم ولم يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فاشترىه فهذا العيش مالا خير فيه
ألا موت لذى الطعم يأتى يخلصنى من الموت الكريه
ألا رجم المهين نفس حر تصدق بالوفاء على أخيه
وكان معه رفيق فاشترى له لحما وأطعمه

وقد كتب أهل البلاغة كثيرا فى شرف الكتاب وفضل الكتاب حتى أن بعضهم رجع القلم عن السيف كما قال ابن الرومى

أن يخدم القلم السيف الذى خضعت له الرقاب وقد دانت الامم
فالموت والموت شئ لا يغالبه مازال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله للأقلام منبرت ان السيوف لها منذ أرهفت خدوم
وكتب صاحب البيان ماملخصه انه لا عبرة بمن قعد به الجذوت تخلف عنه الحظ من أهل
هذه الصناعة ان قعدت به الأيام فلا بد أن يرفع قدره في أخرى لان دولة الفاضل من
الواجبات ودولة الجاهل من الممكنات خصوصا اذا صادف الكاتب الفاضل ملكا فاضلا أو
رئيسا كاملا فانه يوفيه حقه ويرقيه الى حيث استحقاقه فالملوك أحوج الى الكتاب من
الكتاب الى الملوك

❖ الديوان ❖

الديوان هو اسم للموضع الذي يجتمع فيه أرباب الأقلام من الكتاب وقد اختلفوا في
أصله فقال قوم ان أصله عربى وقال آخرون ان أصله فارسى كما اختلفوا في أصل اشتقاقه
قال النحاس ان أصله دووان فأبدلت احدى الواوین ياء ففيل ديوان والمدون عنه في لغة
العرب ان الديوان الاصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه ومنه قول العباس اذا سألتهم عن
شئ من غريب القرآن فالتسوه من الشعر فان الشعر ديوان العرب ويقال دونه أى أثبتته
فهذا أى من قال بأن الديوان أصله عربى أما الفريق القائل بأن الاصل فيه أعجمى
فهم على رأى الاصمعى وعلى ما قاله الجوهرى في صحاحه فانه قال ان الديوان فارسى معرب
وقد كتب أبو الحسن الماوردى في كتاب الاحكام السلطانية ان الديوان محفوظ بحفظ
ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بهامن الجيوش والعمال
وفي تسميته ديوانا وجهان - أحدهما ان كسرى دخل ذات يوم على كتاب ديوانه
فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه (أى مجانين وهى كلمة فارسية) فسمى موضعهم بهذا
الاسم ثم حذفت الهاء مع تداول الزمن عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم ففيل ديوان
الثانى ان الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لخدمهم بالأمور ووقوفهم
على الجلى والخفى وجمعهم لما شئ وتفرق واطلاعهم على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم
باسمهم ففيل ديوان اه

وكان أول ديوان وضع في الاسلام هو ديوان الرسائل الذى سمي أخيرا بديوان الانشاء
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة
ويكتبونه

وتسميته بديوان الانشاء أخيرا يحتمل أمرين - أحدهما ان الأمور السلطانية من

المكاتب والولايات تنشأ عنه وتبتهد أمه - والثاني ان الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا كانت كتابة الدواوين في الصدر الأول من الاسلام أن يجعل ما يكتب صحفا متدرجة ولما انقضت دولة بني أمية وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سامة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى خالد بن برمك في الأمور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم وفي عهده ترفت الدواوين وتبعها في الترفية الكتابة وانتشار العلم

وقد ذكر بعض المؤرخين في تاريخه ان التعليم في زمن الرشيد كان إجباريا وعلى كل فرد من الافراد التعلم وبسبب ذلك انتشرت دور التعليم في بغداد وما جاورها بكثرة لترغيب المتعلمين وتنشيطهم بالمكافآت والعطايا التي كانت توزع على الناجحين منهم في ختام كل سنة

✽ الكاتب ✽

الكاتب هو الذي يتولى تحرير المراسلات والخطابات والاوامر التي تصدر من الملوك والوزراء وهو من الملك بمنزلة الاعضاء من الجسم ومن الامة بمرتبة المهذب للاخلاق والمربي للنفس لان تأثير الاقلام أشد وقعا من ضربات الحسام فقد قال الاسكندر لولا القلم ما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة وقد قال بعض الحكماء أيضا ان عقول الرجال تحت أسنة أقلامها فبنوا الاقلام يصوب غيث الحكمة ولا يهال العسكرى قصيدة فيها

قسم العطايا والمنايا في الوري فاذا نظرت اليه فاحذر وأمل
طعمان شوب حلاوة بمرارة كالدهر يخلط شهده بالحنظل
فاذا تصرف في يدك عنانه ألحقت فيه مؤملا بمؤمل
ومندلا بمعزز ولربما ألحقت فيه معززا بمندل

فالقلم مجهز لجيوش الكلام تخدeme الارادة ولذلك قد اشترطت العرب أن يكون الكاتب متصفا بصفات السكال منزها عن الرذائل متعلما بالفضائل عالما بالعلوم الشرعية والادبية والامور السياسية متكنا من اللغة العربية مطلعا على تواريخ السلف وقد قال ابن الاثير في المثل السائر ان صاحب هذه الصناعة (أي الكتابة) يحتاج للتشبت بكل فن من الفنون لا يستغنى عن علم ولا يسهه الوقوف عن حد وقد قسموا صفة الكاتب الى صفتين

* الصفات الواجبة *

ان الصفات الواجبة التي يجب على الكاتب أن يتصف بها واشترطت العرب وجودها

فيه هي عشر صفات

الاولى أن يكون مؤمناً ليؤمن فيما يكتبه ويمليه قال أبو الفضل الصوري في تذكرته ان من الفطرة التي جبل كل واحد عليها حنين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدن بدينه وهذا أمر يجده كل واحد من نفسه ولذلك اشترط بعضهم في الكاتب أن يكون على مذهب الملك الذي يتذهب به لئلا يكون موافقاً له من كل وجه - الثانية أن يكون ذكوراً - الثالثة الحرية - فقد اشترط أمراء العرب أن يكون الكاتب حراً مافى العبد من النقص فلا يعتقد في كل القضايا ولا يوثق به في كل الاحوال - الرابعة التكليف لان الصبي لا يعمل عليه ولا يوثق به ولا اعتماد عليه - الخامسة - العدالة فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقاً فانه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يحكم في ارواح الناس وأموالهم لانه لو زاد أدنى كلمة أو حذف حرفاً أو كتب شيئاً قد علمه أو تأول لفظاً بغير معناه أو موه على الملك حتى يمدح المذموم ويذم الممدوح فقتل لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب الماثم ويزعه عن اجتناب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع وأثر فعله من الاضرار ما لم تؤثره السيوف وقد قال أبو الطيب والماوردي باشتراط العدالة في الكاتب لانه ربما حمله الفسق وعدم الاكتراث بأمور الدين على وهن يدخله عليه بقلمه أو ضرر يجلبه بلسانه لان الكتابة ولاية شرعية والفاسق لا تصح توليته شيئاً من أمور المملكة - السادسة - البلاغة لان الكاتب البليغ يصيب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتابات وأعمال القلم تكفيه أعمال يبيض القواضب - السابعة - وفور العقل وجزالة الرأي فان العقل أس الفضائل ومن لا عقل له لا انتفاع به وكلام المرء رأيه على قدر عقله - الثامنة - أن يكون عالماً بماواد الاحكام الشرعية والفنون الادبية لان الجاهل لا يميز له بين الحق والباطل ولا معرفة ترشده - التاسعة - قوة العزة وعلا الهمة وشرف النفس لانه يكتب الملوك وكل كاتب يجذبه طبعه في الكتابة الى ما يميل اليه فكما كان الكاتب أقوى نفساً وأشد عزماء على مهمة كان ذلك أمضى وهو عليه أقدر - العاشرة - الكفاءة لما يتولاه لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن وربما أدى عجزه الى الويل وأدى ضعفه الى الاضطراب والاخلال

هذه الصفات الواجبة للكتاب أما الصفة الثانية فهي

﴿ الصفات العرفية ﴾

أما الصفات العرفية فهي ما ذكره المذهب بن ممان في كتابه قوانين الدواوين انه ينبغي أن يكون الكاتب أديبا حاد الذهن قوى النفس حاضر الحس جيد الخدس حلو اللسان له جرأة تثبت بها الامور على حكم البديهة وفيه تؤدة يقف بها فيما لا يظهر على حد الروية شريف الانفة عظيم النزاهة كرم الاخلاق مأمون الغائلة مؤدب الخدام فيه اعتدال القامة وصغر الهامة وخفة اللهازم وصدق القول ولطف المذهب مليح الزى بهى الملبس نظيف المجلس عطر الرائحة حلو الاشارة مليح العبارة

هذه هي الصفات التي ينبغي أن يكون الكاتب متصفا بها لخصتها للقراء من كتب العرب المطولة ككتاب الصناعتين وأدب الكاتب وصناعة الكتاب وكتاب قوانين الدواوين وصح الاعشى وكتاب الكتاب لعمر ابن شبة

ومن اشتهر من كتابهم بالبلاغة وقوة الملائكة في الكتابة حتى انتشر ذكره في الآفاق وصار يضرب به المثل عن ممر الزمان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الذي وضع لهم رسالته المشهورة وأودع فيها من المواعظ والحكم والاخلاق والسياسة التي يجب على أهل هذه الصناعة معرفتها فإن نأشرها ليطلع عليه كتابنا لكي يعلموا أن العرب سبقت أوروبا في وضع علم أدب الكاتب

﴿ رسالة عبد الحميد الى الكتاب ﴾

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين أصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصر فهم في صنوف الصناعات وضر وب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمرآت والعلم والزانة بكم تنظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف إلا منكم فوقعكم من الملوك موقع أسمعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فأمتمكم الله بما خكم من فضل

صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضافه من النعمة عليكم وإيس أحسن أهل الصناعات كلها
أحوج إلى اجتماع خلال الخير المجودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها
الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فإن الكتاب يحتاج من نفسه
ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليفا في موضع الحلم فهما في
موضع الحكيم مقدما في موضع الأقدام محجما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل
والانصاف كتمو اللأسرار وفيات عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع الأمور مواضعها
والطوارق في أما كتبها قد نظرت في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه أخذ منه
بمقدار من الحسن واحتمل على صرفه عما هو له من القبح بالطف حيلة وأجل وسيلة وقد
علمت أن سائس البهية إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت جوارحها
يهاجها إذا ركها وان كانت تشبوا بائقها من بين أيديها وان خاف منها شرودا توقاها من
ناحية رأسها وان كانت حرة ونافع برفق هواها في طرقها فإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس
له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم
والكتاب بفضل أدبه وشر يف صنعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس
وينظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من
سائس البهية التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصيرها إليه
صاحبها الراكب عليها

ألا فارفقوا رحكم الله في النظر واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا بآذن
الله ممن صحبتموه النبوة والاستئصال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيرون منه إلى
المواخاة والشفقة إن شاء الله تعالى

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشر به وبنائه
وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم
خدمة لا تخجلون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تخجل منكم أفعال التضييع والتبذير
واستعينو على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذر وامتالف
السرف وسوء عاقبة الترف فانهم يعقبان الفقر ويدلان الرقاب ويفضحان أهلها ولا سيما
الكتاب وأر باب الآداب وللأمر أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف
أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها بحجة وأصدقها
حجة وأجدها عاقبة

واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ عامه ورويته
فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ
بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن كثاره وليضرع الى الله في
صلة توفيقه وأمداه بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببذنه وعقله وأدبه فانه ان ظن
منكم ظان أو قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن
تدبيره فقد تعرض بظنه أو مقالته الى أن يكلاه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كافي
وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالأمور وأجل لعب ما يكتفي
به يعرف بغرزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه
قبل صدوره فيعدل كل أمر عدته وعتماده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهاوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله
عز وجل والفرائض ثم العربى فانه انما في السننكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم
وارووا الأشعار واعر فواغريها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك
معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج
وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفاسف الأمور ومحارفها فانها مدلة للرقاب
مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما
فيه أصل الجبهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانه اعداوة مجتلبة من غير أحنة
وتحاربوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل
والنبل من سلفكم وان نبأ الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع اليه حاله
ويشوب اليه أمره وان أقعد أحد منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوره وعظموه
وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه
واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في الشغل مجمدة فلا
يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل
عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم أفسد منه لها
فقد علمتم ان الرجل منكم اذا احببه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب
عليه أن يعتقده له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتان سره وتدبير أمره ما هو
جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله - فاستشعروا ذلك
وفقهكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرب والمواساة والاحسان والسر

والضراعة فنعمت التسمية هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة - واذأولى
الرجل منكم أوصير اليه من أمر خالق الله وعباله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته
وليكن على الضعيف رفيقا وللطالم منصفا فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعباله
ثم ليسكن بالعدل حاكما ولا شرافا مكرما ولا في وفرا ولا بلا دعامر ولا لرعية تمتأ لها
وعن أذا هم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجة واستقصاء حقوقه
رفيقا واذأحب أحدكم رجلا فليختبر خلايقه فاذا عرف حسنها وقيمتها أعانها على ما يوافقها
التدبير من مرافقة في صناعته ومصاحبة في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من
رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان صاحبه أعقل منه في طريقته وعلى كل واحد من
الفر يقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تركية لنفسه ولا يكثر
على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتسديد لعزته والتحدث بنعمته
وانا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا
الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتمتته به
تولانا الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بأسعاده وارشاده فان
ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة ختامية

في

أسباب انحطاط الأمم

﴿ من هدم دينه كان لمجده أهدم ﴾

(ومن ظلم نفسه كان لغيره أنظلم)

انحطاط أى أمة من الأمم وارتفاعها متوقف على ارادتها وعمليها فاما ان تفعّل لترتفع
ويعلو شأنها وتقوى شوكتها وأما أن تعمل لتندثر ويذهب ريحها كما ذهب غيرهما من قبل
فانخفاض الأمة وارتقاؤها متوقفان على قدر عسكها بدينها الذى تدين به واتباع أو امره

والانتهاء بنواهييه والعمل بشريعتهما التي سنت لها لتسير عليها لان الشرائع ما وضعت للحفاظ
النظام والتوازن بين الأمم القائمة عليها هذا الكون وأساس العمران لكل مملكة هو الدين
المهذب للنفوس قال الماوردي الدين المتبع يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب
على ارادتها حتى يصير قاهر للسرائر واجر للصائرين رقيبا في خلواتها ناصوحا لها في ملتها وهذه
الأمور لا يوصل بغير الدين إليها ولا يصلح الناس إلا بها فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح
الدنيا واستقامتها وأجدى الأمور نفعا في انتظامها وسلامتها ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه منذ
فطرهم عقلا من تكليف شرعي واعتقاد ديني بنقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآراء
ويستسهلون لامره فلا تتصرف بهم الأهواء وإنما اختلف العلماء رضى الله تعالى عنهم في
العقل والشرع هل جاء مجيئا واحدا أم سبق العقل ثم تبعه الشرع فقالت طائفة جاء العقل
والشرع معا مجيئا واحدا لم يسبق أحدهما صاحبه وقالت طائفة أخرى سبق العقل ثم تبعه
الشرع لان بكال العقل يستدل على صحة الشرع وقد قال تعالى أيحسب الانسان أن يترك
سدى وذلك لا يوجد منه الا عند كمال العقل

فثبت أن الدين من أقوى قواعد صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد في صلاح الآخرة وما
كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق بالعقل أن يكون به متمسكا وعليه محافظا وقال بعض
الحكام الادب أدبان أدب شريعة وأدب سياسة فأدب الشريعة ما أدى الى الفرض وأدب
السياسة ما أدى الى عمارة الارض

فالامة الاسلامية ما بلغت في ابتداء نشأتها الدرجة العليا من الثروة والشوكة وعلا شأنها
وارتفع قدرها ومكنت معرزة الجانب نافذة الكامة لدى من جاورها من الممالك مدة من
الزمان الا لانها كانت محترمة للاصول الشرعية والنواميس الالهية محافظة على دينها متمسكة
بآدابها عاملة بتوصاياه ومنتهية بنواهييه مجتدة في نشر العلم آخذة بأسباب العدل الذي هو
أساس العمران متحدة في القول والعمل

فتحت الأمة الاسلامية في ظرف ثمانين سنة من الأقاليم أكثر مما فتحه الرومان في ثمانية
قرون ففي ذلك دليل على ما كان لها من سعة العمران والقوة الناشئة عن العدل واجتماع
الحكمة واتحاد الممالك في الرأي وحسن السياسة واعتنائها بالعلوم والصنائع ونحوها من
المآثر العرفانية التي ظهرت فيها ونسج الاوروبين على منوالها حتى شهد المنصفون منهم
بالتقدم فيها للأمة الاسلامية كما ذكرنا في هذا الكتاب

فالإسلام دين الفطرة وهو اجتماعي ذو قوانين نظامية ونواميس حيوية وأخروية

يحض على مكارم الأخلاق ومحامد الصفات وينهى عن الفحشاء والمنكر وهجر الأثم ما ظهر
منه وما بطن ويحث على الاتحاد والتآلف بدليل قوله تعالى انما المؤمنون اخوة ويأمر
بالعدل والاحسان في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهد الله ولو على
أنفسكم والأقربين وباحترام الغير في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن

تمسكت الأمة الاسلامية بدينها سنين معدودة فأمد الله سلطان شوكتها على المشرق
والمغرب وأيدها برزح من عنده فدانت لهم الأرض مدة من الزمان وعم العدل ملكهم أما
الآن فأصبحنا في ذل بعد عز وضعف بعد قوة وفقر بعد غناء وصرنا مسودين بعد ان كنا
سادة في الأمم محكومين بعد ان كنا حاكمين بسبب تركنا لديننا وشريعتنا واتباع طريق
الضلالة والغواية والانغماس في الملهيات والشهوات الحيوانية وترك المحاسن من الأمور
وصفات الكمال

فامن أمة سرت فيها الشهوات إلا وكان نصيبها من الانحطاط بقدر انغماسها فيها فن هدم
دينه كان لمجده أهدم ومن ظلم نفسه كان لغيره أظلم

فعوامل انحطاط الأمم وأسباب ابادتها أي أمة كثيرة منها استعمال غير أبناء البلاد في تدبير
شؤونها والوثوق بهم في كل الأمور والاستسلام لهم فقد كان سبب الخراب مبدأه في الدول
الاسلامية السابقة هو ان المعتصم أحد الخلفاء العباسيين جلب له من غير جنس بلاده حرسا
يحرسونه وتعالى في ذلك وولى بعضهم الأحكام فأخذوا يفتلون ويولون ويعزلون كما يشاؤون
ومنها أخذت الدولة في الانحطاط والتقهقر وضعفت شوكة الخليفة ووقيت سلطتهم حتى لم
يبق له إلا الاسم فقط ثم لما تولى المستعصم الخلافة بعده ركن الى وزيره ابن العلقمي الرافضي
فأهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة وأراد قطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي
وأخذ يرسل التتار سرا والمستعصم غريق في بحر لذاته وجع الأموال لا يطلع على الأمور
وقد أشار عليه الوزير بصرف أكثر الجند وان مصانعة التتار وكرامهم يحصل بها المقصود
ففعل ذلك ثم ان الوزير كاتب التتار وأطعمهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون
نائبهم فوعده بذلك وتأهبوا لاحتلال بغداد فوصلوها سنة ٦٥٦ وكان عددهم مائتا ألف
مقاتل ورئيسهم هلا كوخ فرج اليهم عسكر الخليفة فانهزموا امام عسكر التتار فأشار
الوزير على المستعصم بمصانعتهم وقال أخرج اليهم أنافي تقرير الصلح فخرج ووثق لنفسه
منهم وعاد الى الخليفة وقال ان الملك قد رغب أن يزوجه ابنته بابنك ويقبل في منصب الخلافة

كما أتقى صاحب الروم في سلطنته وأن تكون تحت طاعته كما كان أجدادك مع الملوك
السلجوقية وينصرف عنك بجيشه فنجيب يام ولاي الى هذا فان فيه حقن الدماء والرأى أن
تخرج اليه في جميع أعيان المملكة فخرج اليه فأزل في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى
الفقهاء والامائن ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وعمل القتل في
جميع العلماء والامراء والحجاب وأكابر القوم وقتل الخليفة فساتم استقر القتل والنهب
في بغداد أربعين يوما

ولقي هذا الوزير من التتار بعد ذلك مالم يلقى من سوء العذاب ولم يتم له ما أراد فدنا الذل
والهوان ولم تطل أيامه ومات كمد الارحمه الله ولا عفى عنه

ومن أسباب الابادة الجهل الذي هو أساس كل خطيئة وعليه خراب العمران لانه يتولد
منه كل قبيح ومن عواملها أيضا عدم التعاون والاتحاد وانقسام أهل المملكة الواحدة
الى فرق متعددة أو قيامهم ضد ملوكهم أو حاكمهم والتجأهم الى غير ملوكهم المتحدين معهم في
الجنس والدين كما فعل أهل الاندلس فان انقسامهم وانشقاقهم ووقوع الفتن بينهم ساعد
على دخول الافرنج في بلادهم والاستيلاء عليها ومقاتلتهم حتى أهل كوههم وتسلبوا عليهم في
الدين وأجلوهم عن البلاد

فلا تقسام وتعدد الاحزاب التي أساسها الحسد وحب الرياسة يوجب ضعف الامة
وانحلال العصية وتفريق الكلمة

فاتحاد الامة يجعلها كشخص واحد لا يقوى على تفريقها أحد قال ابن مسكويه ان
الضرورة داعية الى استعانة الناس الى بعض لان الناس مطبوعون على النقائص
ومضطرون الى اتمامها ولا سبيل لافرادهم والواحد قالوا احدهم الى تحصيل تمامه بنفسه
فالحاجة صادقه والضرورة داعية الى حال تجمع وتولف بين اشتات الاشخاص
ليصير وبالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع اعضاؤه كلها على الفعل
الواحد النافع له

فالامم الاسلامية الآن منشقة على أنفسها لجهلها بحقائق دينها وأصوله وتفشي
الشهوات فيهم وانغماسهم في بحر الجهل فالدين مفسد وهو باق مابق الزمان ولكن الذين
فسدوا هم أهل لتركهم اياه واتباع أهوائهم فتغيرت بذلك عوائدهم فسلط الله عليهم من يأخذ
له بحقه منهم فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم

بحمد الله العلي مكانه المنير برهانه العزيز سلطانة الثابتة كلماته قد تم طبع هذا
الكتاب ووضع على هذا النسق والترتيب في يوم السبت المبارك ٣٠ ربيع الثاني
سنة ١٣٢٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩١١
ميلاديه وهو يوم افتتاح المؤتمر الاسلامي المصري وكان طبعه بمطبعة السعادة العامة
التي أظهر صاحبها براعة فائقة وهمه شائقة في انجازه في مسافة لا تتجاوز الثمانية
عشر يوما من تقديمه اليه فهو فضل يشهد له بالسبق على من يماثله من أرباب هذا
الفن وبهمة من خدم الادب وأهله والعلم بفضلته حتى زيننت صحائف التاريخ
بذكره الساعد على نشره في كافة الاقطار الحاج محمد أفندي الساسي
المغربي التاجر الشهير بمصر من أحياسنة العرب ومدموائد
الادب واستخرج من كنوزهم المدفونة كتاب المبسوط
والمدونة وغير ذلك مما هو موجود لديه من
نقائسهم وآثارهم الثمينة وأسأله
تعالى في البادية والنهاية أن
يوفقنا لما فيه صلاح
ديننا ودنيانا
ويرحمنا
برحمته



اعلان

من محل محمد افندى الساسى التاجر

بالعتبة الخضراء

يتشرف صاحب هذا المحل باعلان أهل الأدب والفضل وذوى الحسب والتبيل بانه
يوجد بمحله الكتب الآتية مطبوعة على أحسن ورق وأحسن حرف وهى

المدونة فى مذهب الامام مالك ١٦ جزء

المبسوط لشمس الأئمة السرخسى فى مذهب أبى حنيفة ٣٠ جزء

مقدمة ابن رشد ٢ جزء

الأغاني وفهرسته ٢٥ جزء

كتاب الحيوان للجاحظ ٧ أجزاء

احدى عشر رسالة للجاحظ ١ جزء

كتاب البخلاء للجاحظ ١ جزء

ويوجد بها غير ذلك خرائط مدرسية من جميع الأشكال على أحسن شكل وآخر
طرز كبير ووسط وأطالس جغرافية لزوم تلامذة المدارس لجميع القارات

وبها غير ذلك كتب عربية أدبية وتاريخية وخلافها والمكتبة مستعدة لتقديم جميع

ما يلزم للمدارس من الطلبات جميعها وللأهالى

ويطلب منها كتاب مدينة العرب

فهرس

﴿ كتاب مدينة العرب ﴾

صفحة

خطبة الكتاب	٢
المقدمة - الفصل الأول	٣
الفصل الثاني	٤
العلوم العلمية	٥
العلوم العملية	٨
العلوم الشرعية	٨
العلوم المتعلقة بالتصفيه وهى ثمرة العلم بالعمل	٨

﴿ المقالة الاولى ﴾

(وفيها ثلاثة فصول)

الفصل الأول فى جغرافية بلاد العرب	١١
الفصل الثانى فى فضل العرب على الغرب فى المدنية والحضارة	١٣
الفصل الثالث فى علم الكهانة والنفوس	١٥
رؤيا ربيع وتأويل شق وسطيح لها	١٦
أصل الكهانة	١٧
الانسان الحساس	١٨
علم العرافة	١٩
علم العزائم والاستحضار وانهما أصلا علم التنويم المغناطيسى	٢٠

﴿ المقالة الثانية ﴾

(فى العلوم والفنون والصنائع - وفيها أربعة فصول)

الفصل الأول فى علم الطب	٢١
-------------------------	----

- ٢٢ أول من تكلم بالطب
٢٢ أساس علم الطب عند العرب
٢٣ اكتشافاتهم
٢٣ أطباؤهم
٢٧ ماء النيل والآبار
٣١ المداواة بالوهم
٣٢ ما يحتاج اليه الطبيب من العلوم
٣٢ وصايا الأطباء
٣٣ الطب بالكهرباء
٣٥ علم الصيدلة
٣٥ علم تدير الصحة
٣٧ الفصل الثاني في علم الجغرافيا وتعريفه
٣٩ الفصل الثالث في علم الموسيقى
٤٠ الطرب والأسباب الباعثة اليه
٤١ أول من غنى في الجاهلية من الرجال
٤١ أول من غنى في الجاهلية من النساء
٤٢ أول من غنى في الاسلام من الرجال
٤٤ أول من غنى في الاسلام من النساء
٤٥ أول من دون الغنى
٤٦ الفصل الرابع في اختراعات العرب واكتشافاتهم

﴿ المقالة الثالثة ﴾

(في اهتمام العرب بنشر العلوم والمعارف والتجارة والسياسة برّاً وبحراً وفضائلها)

﴿ وفيها سبعة فصول ﴾

- ٥١ الفصل الأول في الاهتمام بنشر العلوم وطرق التعليم
٥٢ الفصل الثاني في خزان الكتب وأسباب ضياع أغلبها

- ٥٤ الفصل الثالث في السياحة برًا
٥٥ الفصل الرابع في السياحة بحرا
٥٦ الفصل الخامس في فضائل السياحة
٥٧ الفصل السادس في التجارة عند العرب
٥٩ الفصل السابع في أسواق العرب وحرب الفجار

﴿ المقالة الرابعة ﴾

(في ان العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم)

﴿ وفيها ثمانية فصول ﴾

- ٦١ الفصل الاول في عادات العرب قبل الاسلام والتي أقرها وحلف الفضول
٦٤ الفصل الثاني في صفات العرب
٦٦ الفصل الثالث في ان السخاء والكرم في شيم العرب
٧١ الفصل الرابع في الشجاعة وانها هي والاقدام من صفات العرب
٧٦ الفصل الخامس في اخلاق العرب وأدبهم
٨٦ الفصل السادس في خطباء العرب وطرفا من خطبهم
٩٢ الفصل السابع في أخلاق نساء العرب وأدبهن وفصاحتهم وذكر بعضهم مع
حكمهن وأشعارهن ونوادرهن في الجاهلية والاسلام
١١٠ الفصل الثامن في الغيرة وانها أشد وجودا في العرب

﴿ المقالة الخامسة ﴾

(في الحكمة والعملية - وفيها ثلاثة فصول)

- ١١١ الفصل الاول في الحكمة الالهية
١١٢ الفصل الثاني في موضع علم الاخلاق
١١٣ الفصل الثالث في موضع علم تدبير المنزل وفيه رسالة ابن سينا في السياسة ورسالة
الغزالي في تربية الطفل من بدأ نشأته

﴿ رسالة ابن سينا ﴾

١١٣ التفاوت بين الناس في الصفات والرتب

١١٤ في لزوم التدبير والسياسة لجميع الناس

١١٥ في أهل الانسان

١١٦ في سياسة الرجل نفسه

١١٩ في سياسة الرجل دخله وخرجه

١٢٠ في سياسة الرجل أهله

١٢١ في سياسة الرجل ولده

١٢٣ في سياسة الرجل خدمه

﴿ رسالة الغزالي ﴾

١٢٥ في كيفية تربية الطفل وتعويد يده على الاخلاق الحميدة والمعاملة والادب من بدء نشأته

﴿ المقالة السادسة ﴾

(في السياسة والرياسة - وفيها ستة فصول)

١٢٩ الفصل الاول في تعريف السياسة وفيه ثلاثة رسائل

١٣٠ كتاب الامام على اللاشتر النخعي لما ولاه مصر

١٣٩ كتاب طاهر بن الحسين قائد المأمون لابنه عبد الله لما ولي الرقة ومصر وما بينهما فقد

وصاه فيها والده بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطنته من الآداب الدينية والخلقية

والسياسة الشرعية والمالوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم مما لا يستغنى

عنه ملك ولا سوق

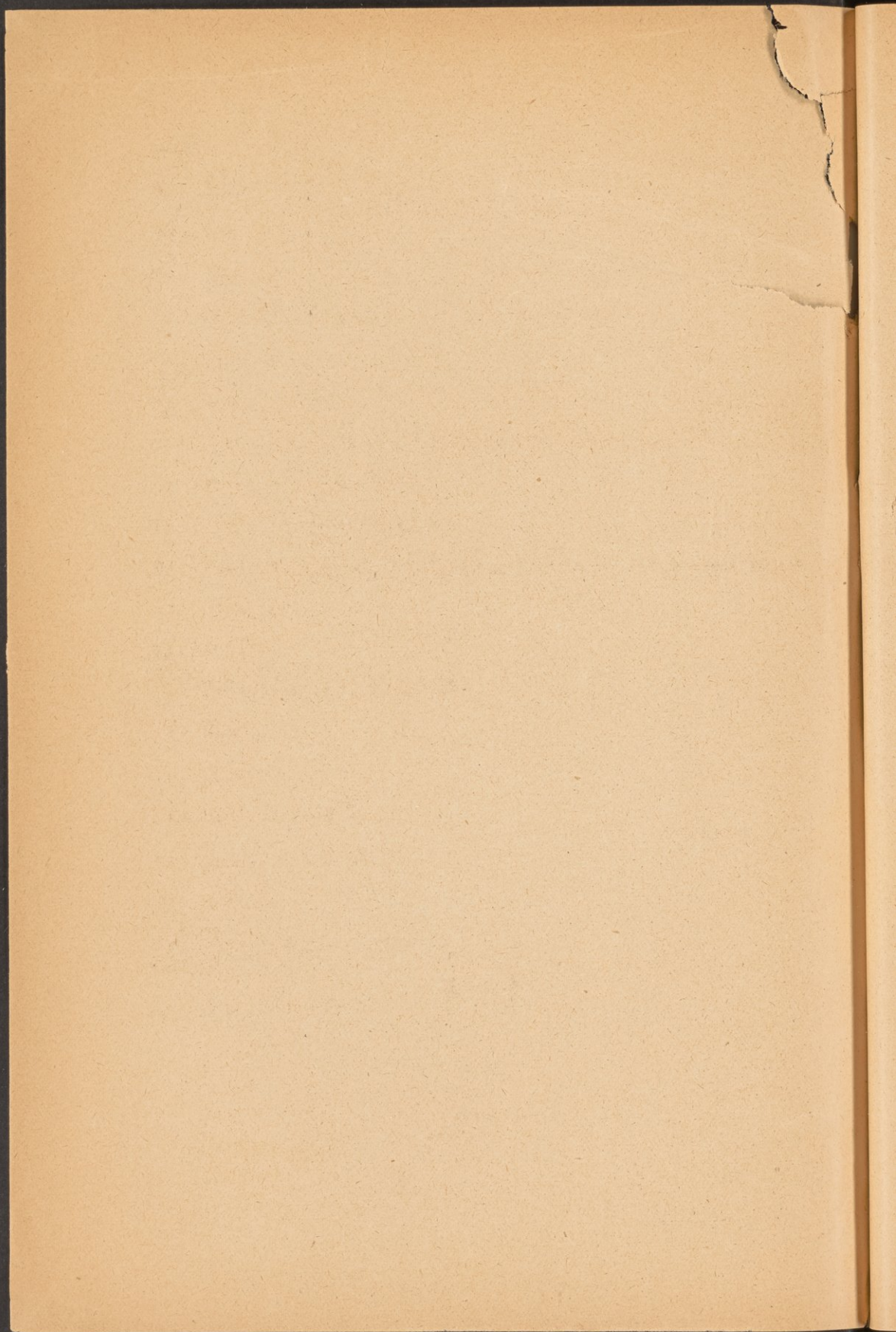
١٤٥ رسالة عبد الحميد الكاتب في سياسة الحروب وتدبير المملكة

١٦٧ الفصل الثاني في آداب الملوك وأخلاقهم وسياساتهم وصفات الملك

١٦٨ العدل

١٧١ واجبات الملك

صفحة	
١٧٣	الرافة
١٧٤	الحلم
١٧٥	الجور
١٧٧	الفصل الثالث في الوزارة
١٧٧	اشتقاق الوزارة
١٧٧	أول وزير في الاسلام
١٧٨	تقسيم الوزارة الى قسمين وزارة تفويض ووزارة تنفيذ
١٨٠	عدد الوزراء الواجب اتخاذهم
١٨١	الفصل الرابع في الحسبة والولاية
١٨٣	الفصل الخامس في ان الحكومة الاسلامية أشرف الحكومات ودار الندوة
	والشورى
١٨٦	دار الندوة
١٨٧	الفصل السادس في الكتابة والكتاب
١٩٠	الديوان
١٩١	الكتاب
١٩٢	الصفات الواجبة للكتاب
١٩٣	الصفات العرفية للكتاب
١٩٣	رسالة عبد الحميد الى الكتاب
١٩٦	كلمة ختامية في أسباب انحطاط الامم
	* تمت *



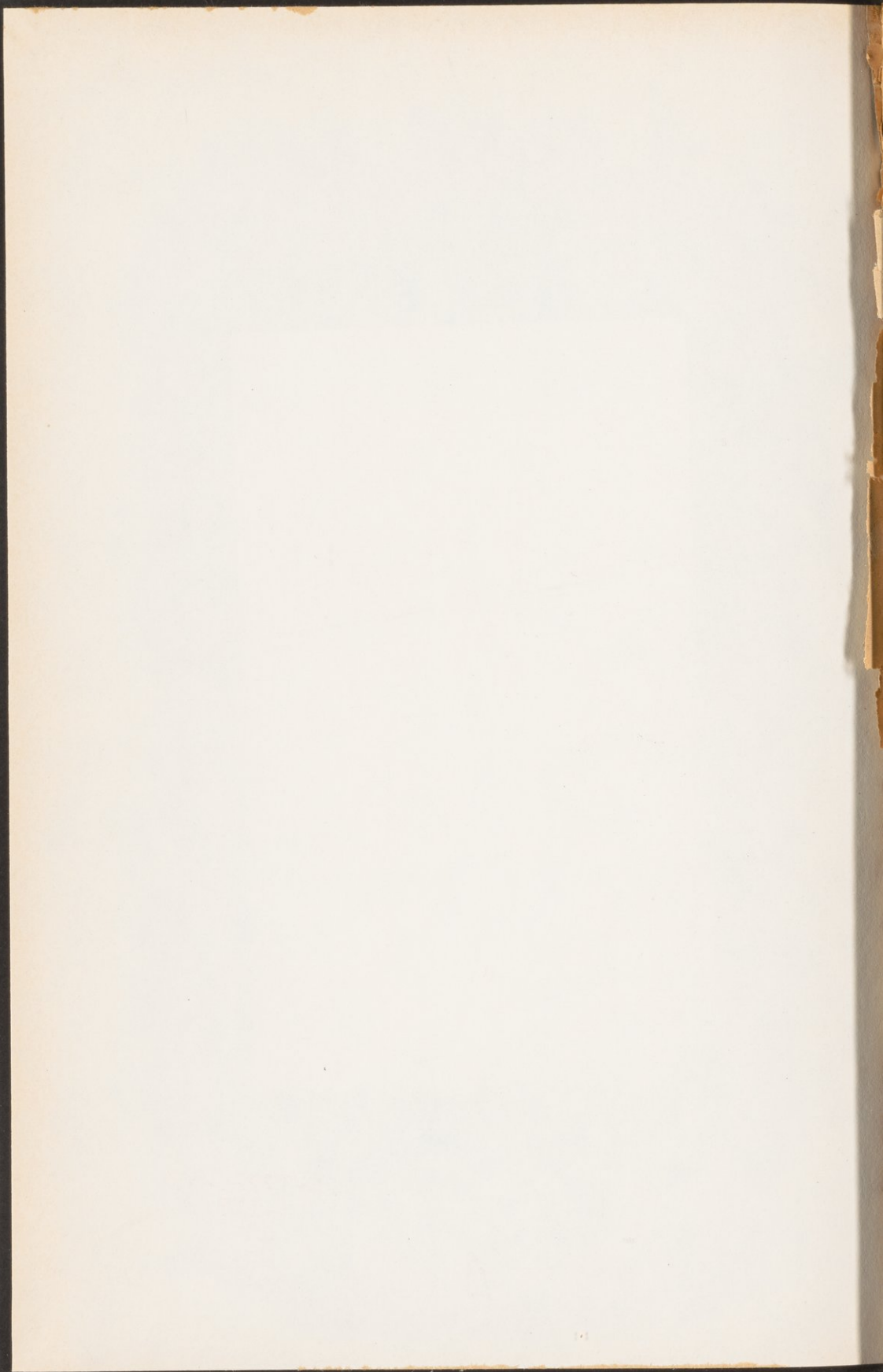
+

S

Back

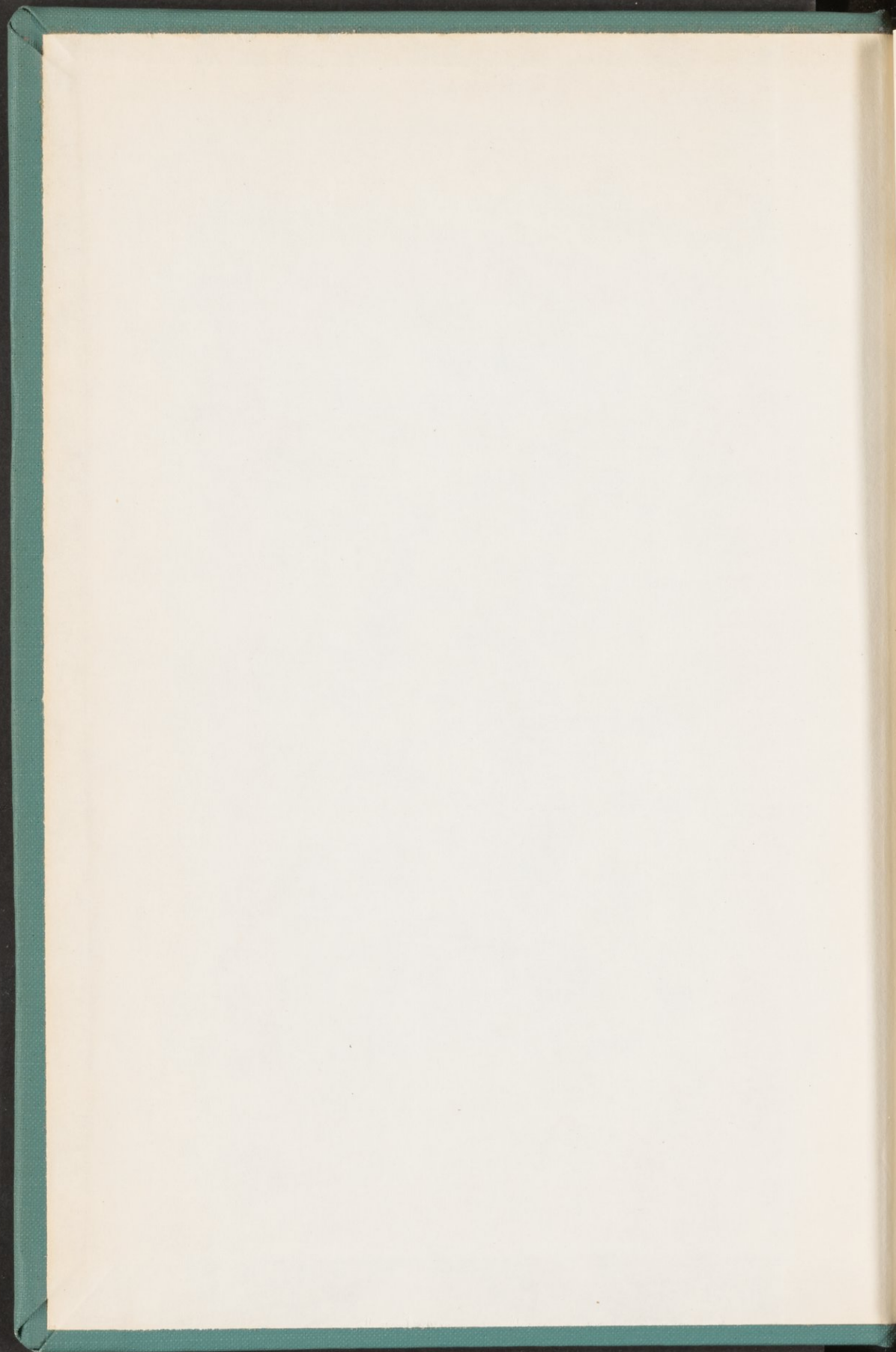
PB-37725-SB
5-17T
CC

B



Date Due

Demco 38-297



NYU - BOBST



31142 02824 6489

DS215 .R8

Madaniyat al-Arab fi al-Jahili